الأحكام الشرعية لشهداء الثورات العربية

جمعه وأعده

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن هذه الثورات المباركة التي حدثت ببعض الدول العربية،تمخض عنها قتلى،فما حكمهم ؟

وما حكم الخروج على حكام اليوم ؟

وكيف نحرض هؤلاء الشباب على الاستماتة في سبيل الله وفق الضوابط الشرعية المحكمة ؟

طبعا بعض العلماء ضيقي الأفق حرم الخروج على الحكام،واعتبر من قتل من هؤلاء الثائرين مات ميتة جاهلية ونحو ذلك،واستندوا لحجج أوهى من بيت العنكبوت...

وهذا البحث قد خصصته للكلام عن الأحكام الشرعية المتعلقة بشهداء الثورات العربية،وقد كتب في هذا الموضوع الدكتور حاكم المطيري حفظه الله وبعض أهل العلم .

وقد ذكرت فيه المباحث التالية:

المبحث الأول=الحث على الشهادة في القرآن والسنة

المبحث الثاني=عقبات أمام هذا الطريق

المبحث الثالث=أنواع الشهادة في سبيل الله

المبحث الرابع=عوائق في طريق الجهاد في سبيل الله

المبحث الخامس=جزاء الشهيد عند الله تعالى

المبحث السادس=الأحكام الفقهية لشهداء الحرية والثورات العربية

المبحث السابع=شهداء الثورات العربية بين جرائم الطغاة وفتنة الدعاة

المبحث الثامن=تعليق على استشهاد المقدم أحمد حلاق من محافظة إدلب قضاء أرمناز طيب الله ثراه

المبحث التاسع=دروس وعبر من استشهاد البطل أسامة أحمد الصياصنة رحمه الله

المبحث العاشر=يا نساء الشام أين أنتن من الخنساء رضي الله عنها ؟؟؟؟

المبحث الحادي عشر=رسالة مفتوحة إلى كل امرأة فقدت أبا زوجا أخا ابنا قريبا

المبحث الثاني عشر=الشهيد الذي حفر قبره بيده

المبحث الثالث عشر=العصابات الأسدية تريد نقل جثامين الشهداء من الحدائق لمقابر عادية لأنه منظر غير حضاري!!

المبحث الرابع عشر=الشهيدة زينب الحصني رحمها الله وطبيعة النظام الطاغوتي الطائفي الأسدي

خاتمة=في الحث على الجهاد في سبيل الله

وفي كل بحث تفاصيل تليق به،وكلها مشفوعة بأدلتها من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة،مع تخريج الأحاديث من مصادرها الأساسية،وشرح غريبها ...

وشبابنا اليوم هم بأمس الحاجة لمعرفة هذه الأحكام الشرعية وضوابطها لكي يسيروا وفقها،لعل الله تعالى أن يفتح عليهم،ويهيئ لهم من أمرهم رشداً .

قال تعالى:{وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } [البقرة:١٥٤]

أسأل الله تعالى أن ينفع به كاتبه وقارئه وناشره والدال عليه في الدارين

كتبه

الباحث في القرآن والسنة

علي بن نايف الشحود

في ١٢ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ الموافق ل ٩/١٠/٢٠١١ م

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

المبحث الأول

الحث على الشهادة في القرآن والسنة

المطلب الأول – في القرآن الكريم:

١ –الحث على بيع الأنفس لله تعالى:

قال تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)} [التوبة]

يُرَغِّبُ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ فِي الجِهَادِ،وَيُخْبِرُهُمْ بِأَنَّهُ سَيُعَوِّضُ المُؤْمِنِينَ بِالجَنَّةِ عَنْ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ،لِتَكُونَ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ العُلْيَا،ولإِحْقَاقِ الحَقِّ،وَإِقَامَةِ العَدْلِ فِي الأَرْضِ،فَهُمْ حِينَ يُجَاهِدُونَ يَقْتُلُونَ أَعْدَاءَهُمْ،وَيُقْتَلُونَ هُمْ،وَهُمْ فِي كِلاَ الحَالَيْنِ مُثَابُونَ عَلَى ذَلِكَ.وَقَدْ وَعَدَ اللهُ عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ بِهَذَا الجَزَاءِ الحَقِّ،وَجَعَلَهُ حَقّاً عَلَيهِ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالقُرْآنِ .

ثُمَّ يَدْعُو اللهُ تَعَالَى مَنِ التَزَمَ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِعَهْدِهِ للهِ إِلَى الاسْتِبْشَارِ بِذَلِكَ الفَوْزِ العَظِيمِ،وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ،لأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنَ اللهِ تَعَالَى وَفَاءً بِالْعَهْدِ،وَلاَ أَكْثَرَ مِنْهُ التِزَاماً بِالوَعْدِ الذِي يَقْطَعُهُ عَلَى نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ،وَلَيْسَ هُنَاكَ رِبْحٌ أَكْبَرُ مِنَ الرِّبحِ الذِي يُحَقّقُهُ المُؤْمِنُونَ فِي هَذِهِ الصَّفْقَةِ .

وَهُنَا يُعَدِّدُ اللهُ تَعَالَى صِفَاتِ المُؤْمِنِينَ الذِينَ اشْتَرَى مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِالجَنَّةِ،وَهُمُ:التَّائِبُونَ مِنَ الذُّنُوبِ كُلِّها،التَّارِكُونَ لِلْفَوَاحِشِ،القَائِمُونَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ،وَالمُحَافِظُونَ عَلَيهَا،وَالحَامِدُ نَ للهِ عَلَى نِعَمِهِ وَأَفْضَالِهِ،السَّائِحُونَ فِي الأَرْضِ،لِلاعْتِبَارِ وَالاسْتِبْصَارِ بِمَا خَلَقَ اللهُ مِنَ العِبَرِ وَ الآيَاتِ،(وَقِيلَ أَيْضاً إِنَّ مَعْنَى السَّائِحِينَ هُنَا الصَّائِمُونَ) وَالمُصَلُّونَ.وَهُمْ مَعْ ذَلِكَ كُلِّهِ يَسْعَوْنَ فِي نَفْعِ خَلْقِ اللهِ،وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى

طَاعَته،بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ،وَنَهيهِمْ عَنِ الْمُنْكَرِ،مَعَ العِلْمِ بِمَا يَنْبَغِي فِعْلُهُ،وَيَجبُ تَرْكَهُ طَاعَةً للهِ (أَيْ إِنَّهُمْ يَحْفَظُونَ حُدُودَ اللهِ).وَيُبَشِّرُ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّصِفِينَ بِهَــذِهِ الصِّــفَاتِ الكَرِيمَــةِ بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .[1]

٢- الذين أنعم الله عليهم:

قال تعالى:{ وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّــهُ عَلَــيْهِم مِّــنَ النَّبِــيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} (٦٩) سورة النساء

وَمَنْ أَطَاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ،وَعَمِلَ بِمَا أَمَرا بِهِ،وَانْتَهَى عَمَّا نَهَيَا عَنْهُ،فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُسْــكِنُهُ دَارَ كَرَامَتِهِ،وَيَجْعَلُهُ مُرَافِقاً للأَنْبِيَاءِ،ثُمَّ لِمَنْ بَعْــدَهُمْ فِــي الرُّتْبَــةِ،وَهُمُ الصِّــدِّيقُونَ،ثُمَّ الشُّهَدَاءُ،ثُمَّ عُمُومُ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ الذِينَ صَلُحَتْ سَرَائِرُهُمْ وَعَلاَنِيَتُهُمْ وَمَا أَحْسَنَ رِفْقَةَ هَؤُلاءِ الذِينَ لاَ يَشْقَى جَلِيسُهُمْ .[2]

٣- شراء الآخرة بالدنيا:

قال تعالى:{ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} (٧٤) سورة النساء

فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَ الحَيَاةَ الدُّنْيا،وَيَبْذُلَهَا،وَيَجْعَلَهَا ثَمَنــاً للآخِرَةِ،لأَنَّــهُ يَكُونُ قَدْ أَعَزَّ دِينَ اللهِ،وَجَعَلَ كَلِمَةَ اللهِ هِيَ العُلْيا.وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَظْفَرْ بِهِ عَدُوُّهُ وَيَقْتُلُهُ،أَوْ يَظْفَرْ هُوَ بِعَدُوِّهِ،فَإِنَّ اللهَ سَيُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً مِنْ عِنْدِهِ.(وَفِي هَذِهِ الآيَةِ إِشَــارَةٌ إِلَى أَنَّ هَمَّ الْمُقَاتِلِ الْمُسْلِمِ يَجبُ أنْ يَكُونَ الظَّفَرَ أَوِ الشَّهَادَةَ فِي سَــبِيلِ اللهِ،وَعَلَيْــهِ أنْ لاَ يُفَكِّرَ فِي الهَرَبِ وَالنَّجَاةِ بِالنَّفْسِ،فَالهَرَبُ لاَ يُنَجِّي مِنْ قَدَرِ اللهِ،وَفِيهِ غَضَبُ اللهِ وَسَخَطُهُ) .[3]

٤-التجارة الرابحة:

[1] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٣٤٧، بترقيم الشاملة آليا)

[2] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

[3] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٦٧، بترقيم الشاملة آليا)

قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} (١٣) سورة الصف

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللهِ،وَالمُصَدِّقُونَ بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَآيَاتِهِ،أَلاَ تُرِيدُونَ أَنْ أَدُلَّكُمْ عَلَى صَفْقَةٍ رَابِحَةٍ،وَتِجَارَةٍ نَافِعَةٍ،تَفُوزُونَ فِيهَا بِالرِّبْحِ العَظِيمِ،وَتُنْقِذُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ الأَلِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ؟

وَهذِهِ الصَّفَقَةُ هِيَ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَتَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،وَتَصَدِّقُوا بِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ،وَمَا أَنْزَلَهَ عَلَيْهِ مِنَ القُرْآنِ وَتُجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ رَفْعِ كَلِمَةِ اللهِ،وَعِزَّةِ دِينِهِ،بِأَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ،فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ،كَانَ ذَلِكَ خَيْراً لَكُمْ مِنْ كُلِّ شَيءٍ فِي الدُّنْيَا:مِنَ النَّفْسِ وَالمَالِ وَالزَّوْجِ وَالوَلَدِ،هَذَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنِينَ المُخْلِصِينَ المُجَاهِدِينَ فِي الآخِرَةِ مِنْ جَزِيلِ الثَّوَابِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .

وَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ سَتَرَ اللهُ ذُنُوبكُمْ وَمَحَاهَا،وَأَدْخَلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي الأَنْهَارُ فِي جَنَبَاتِهَا،وَأَسْكَنَكُمْ مَسَاكِنَ طَيبةً تَقَرُّ بِهَا العُيُونَ،وَهَذا هُوَ مُنْتَهَى مَا تَصْبُوا إِليهِ النُّفُوسُ،وَهُوَ الفَوْزُ الذي لاَ فَوْزَ أَعْظَمَ مِنْهُ.

وَلَكُمْ يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى،مَعَ الفَوْزِ فِي الآخِرَةِ،الذي وَعَدَكُمْ اللهُ بِهِ،نِعْمَةٌ أُخْرَى تُحِبُّونَها،وَهِيَ نَصْرٌ مِنَ اللهِ،وَفَتْحٌ قَرِيبٌ،تَجْنُونَ مَغَانِمَهُ،وَبَشِّرْ يَا مُحَمَّدُ المُؤْمِنِينَ بِهَذَا الجَزَاءِ .[4]

٥–من قتل في سبيل الله فهو حي (١):

قال تعالى:{ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ} (١٥٤) سورة البقرة

[4] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٠٥١، بترقيم الشاملة آليا)

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِفَضْلِ الشَّهَادَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ:إِنَّ الشُهَدَاء الذِينَ يُقْتَلُونَ فِي سَبيلِ اللهِ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ بِغَيرِ حِسَاب،وَلكِنَّ الأَحيَاءَ لاَ يَشْعُرُونَ بِذلِكَ،لأَنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ فِي عَالَمِ الحِسِّ الذِي يُدْرَكُ بِالمَشَاعِرِ .[5]

٦-من قتل في سبيل الله فهو حي (٢):

قال تعالى:{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) } سورة آل عمران

يُخبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ،وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرْزَقُ عِنْدَ اللهِ .وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ:عَلَيهِمْ ألاَّ يَنْخَدِعُوا بِمَا يَقُولُهُ المُنَافِقُونَ،وَمَا يَفْعَلُونَهُ،فَهُمْ يُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا عَلَى الآخِرَةِ،لارْتِيَابِهِمْ فِي البَعْثِ وَالحِسَابِ فِي الآخِرَةِ،فَالشُّهَدَاءُ أحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقاً حَسَناً يَعْلَمُهُ هُوَ .

وَيَكُونُ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَرِحِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالغَبْطَةِ،التي مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَيهِمْ،مُسْتَبْشِرِينَ بِإِخْوانِهِمْ الذِينَ يُقْتَلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ،أَنَّهُمْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ حِينَمَا يَسْتَشْهِدُونَ،لاَ يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ،وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوهُ فِي الدُّنيا .

وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ مِنْ تَلَقِّيهِمْ مَا يُفِيضُهُ اللهُ عَلَيهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالفَضْلِ وَالثَّوَابِ،وَمِنْ يَقِينِهِمْ بِأنَّ اللهَ لاَ يُضَيِّعُ أجْرَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ .[6]

٧- الحشر إلى الله تعالى:

قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ اللّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوْ

[5] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦١، بترقيم الشاملة آليا)

[6] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى الله تُحْشَرُونَ (١٥٨) سورة آل عمران

يَنْهَى اللهُ تَعَالَى عِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ عَنْ مُشَابَهَةِ المُنَافِقِينَ (الكَافِرِينَ) فِي اعْتِقَادِهِمُ الفَاسِدِ،إذْ يَقُولُونَ عَنْ إخْوَانِهِم الذِينَ قُتِلُوا فِي الحُرُوبِ (كَانُوا غُزَّى)،أوْ مَاتُوا وَهُمْ فِي أَسْفَارِهِمْ سَعْياً وَرَاءَ الرِّزْقِ فِي التِّجَارَةِ (ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ):لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا أَقَامُوا،وَتَرَكُوا ذَلِكَ لَمَا أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَهُمْ،وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الاعْتِقَادَ فِي نُفُوسِهِمْ لِيَزْدَادُوا أَلَماً وَحَسْرَةً عَلَى مَوْتَاهُمْ،يَزِيدَانِهِم ضَعْفاً،وَيُورِثَانِهُم نَدَماً عَلَى تَمكِينِهِمْ إيَّاهُمْ مِنَ التَّعَرُّضِ لِمَا ظَنُّوهُ سَبَباً ضَرُورِياً لِلْمَوتِ .

وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالى عَلَيهِمْ قَائِلاً:إنَّ المَوْتَ وَالحَيَاةَ بِيَدِ اللهِ،وَإلَيهِ يَرْجِعُ الأمْرُ،وَعِلْمُهُ وَبَصَرُهُ نَافِذَانِ فِي جَمِيعِ خَلْقِهِ،فَعَلَى المُؤْمِنِينَ أنْ لاَ يَكُونُوا مِثْلَ هَؤُلاءِ فِي قَوْلِهِمْ وَاعْتِقَادِهِمْ،وَإلاَّ أَصَابَهُمُ الضَّعْفُ وَالوَهَنُ وَالفَشَلُ؛ وَالإِيمَانُ الصَّادِقُ يَزِيدُ صَاحِبَهُ إيقَاناً وَتَسْلِيماً بِكُلِّ مَا يَجْرِي بِهِ القَضَاءُ،وَأنَّ مَا وَقَعَ كَانَ لاَ بُدَّ لَهُ مِنَ أنْ يَقَعَ .

فَالَّذِينَ يُقْتَلُونَ وَهُمْ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ إعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ،وَنَصْرِ دِينِهِ،أَوْ يَمُوتُونَ فِي أَثْنَاءِ الجِهَادِ،سَيَجِدُونَ عِنْدَ رَبِهِمْ مَغْفِرَةً تَمْحُو مَا كَانَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ،وَرَحْمَةً وَرِضْوَاناً خَيْراً مِنْ جَمِيعِ مَا يَتَمَتَّعُ بِهِ الكُفَّارُ مِنَ المَالِ وَالمَتَاعِ فِي هَذِهِ الدُّنيا الفَانِيةِ،فَهَذَا ظِلٌّ زَائِلٌ،وَذَاكَ نَعِيمٌ خَالِدٌ .

وَبِأيِّ سَبَبٍ كَانَ هَلاَكُكُمْ،فَإِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إلى اللهِ لِيَجْزِيَكُمْ عَلَى أَعْمَالِكُمْ مَا تَسْتَحِقُّونَ،فَآثِرُوا مَا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ،وَيُحَقِّقُ لَكَ رِضَاهُ،فَعَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ اللهِ وَالجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ .[7]

٨-الشهادة في سبيل الله من قدر الله:

قال تعالى:{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا

---

[7] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٩، بترقيم الشاملة آليا)

يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨)} سورة آل عمران

مَا أَصَابَكُمْ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أحُد،حينَمَا التَقَيْتُمْ بعَدوكُمْ فِي مَيْدَان المَعْرَكَة،وَمَا حَلَّ بكُمْ منْ هَزيمَة وَقَتْل،إنَّمَا كَانَ بإذْن الله وَقَدَره وَقَضَائه السَّابق،الذي جَعَلَ المُسَبَبَات نَتَائجَ لأسْبَابِهَا،فَكُلُّ عَسْكَرٍ يَعْصِي قَائدَهُ،وَيَكْشفُ ظَهْرَهُ لعَدُوِّه يُصَابُ بمثْل مَا أُصبْتُمْ به،وَأَكْثَر منْهُ،وَلله الحكْمَةُ البَالغَةُ في ذَلكَ،لأنَّ الشَّدَائدَ تَكْشفُ عَنْ حَقيقَة المُؤْمنينَ الذينَ صَبَرُوا وَثَبَتُوا،وَلَمْ يَتَزَلْزَلُوا أَمَام العَدُوِّ .

وَالشَّدَائدُ تُظهرُ المُنَافقينَ الذينَ تَبَطَّنُوا بالكُفْر،وَأَظْهَرُوا الإيمَانَ،منْ جَمَاعَة ابْنِ أُبَيِّ بْنِ سَلُول،الذينَ رَجَعُوا إلَى المَدينَة قَبْلَ المَعْرَكَة،فَلَحقَ بهمْ رجَالٌ منَ المُؤْمنينَ يَدْعُونَهُمْ للْعَوْدَة إلَى الصَّفِّ،وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى القتَال وَمُسَاعَدَة المُسْلمينَ،وَإكْثَار عَدَدهمْ أمَامَ المُشْركينَ (أو ادْفَعُوا)،فَرَدُّوا مُتَعَلِّلينَ:لَوْ نَعْلَمُ أَنَّكُمْ سَتَلْقَونَ حَرْباً لاتَّبَعْنَاكُمْ،وَلَكنَّنَا في قُلُوبهمْ يَعْتَقدُونَ غَيْرَهُ.وَهُمْ حينَما قَالُوا هَذَا القَوْل كَانُوا في تلْكَ اللَّحْظَة أقرَبَ للْكُفْر منْهُمْ إلَى الإيمَان،وَاللهُ أعْلَمُ بمَا يَكْتُمُونَ في قُلُوبهمْ وَفي نُفُوسهمْ منَ الكُفْر وَالكَيْد للْمُسْلمينَ،وَسَيُعَاقبُهُمْ عَلَيه في الدُّنْيا وَالآخرَة.

وَهَؤُلاء المُنَافقُونَ الذين قَعَدُوا عَن الجهَاد،هُمُ الذينَ قَالُوا عَنْ إخْوَانهم الذينَ قُتلُوا في المَعْرَكَة:لَوْ سَمعُوا مَشُورَتَنَا في القُعُود،وَعَدَم الخُرُوج لَمَا قُتلُوا مَعَ مَنْ قُتلَ .وَيَرُدُّ اللهُ تَعَالَى عَلَيهمْ مُسْتَنْكراً قَوْلَهُمْ هَذَا:قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ:لَوْ كَانَ القُعُودُ يَسْلَمُ به الشَّخْصُ منَ القَتْل وَالمَوْت،فَيَنْبَغي عَلَيْكُمْ إلاَّ تَمُوتُوا.وَلَكنَّ المَوْتَ آت لاَ بُدَّ منْهُ،فَادْفَعُوا عَنْ أَنْفُسكُمُ المَوْتَ إنْ كُنْتُمْ صَادقينَ في قَوْلكُمْ .[8]

٩– استجابة الدعاء ومغفرة الذنوب:

قال تعالى:{ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ

8 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٥٩، بترقيم الشاملة آليا)

النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (١٩٢) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) } سورة آل عمران

إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ،وَمَا فِيها مِنْ مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ،وَكَوَاكِبَ وَسَيَّارَاتٍ،وَفِي خَلْقِ الأَرْضِ،وَمَا فِيها مِنْ بِحَارٍ،وَأَنْهَارٍ وَجِبَالٍ وَأَشْجارٍ وَنَبَاتٌ،وَفِي تَعَاقُبِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ،وَتَقَارُضِهِمَا الطُّولَ وَالقِصَرَ،وَيَطُولُ هَذا تَارةً،وَيَطُولُ الآخَرَ تَارَةً أخْرَى...لآيَاتٍ وَبَرَاهِينَ وَحُجَجَاً وَدَلائِلِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللهِ،وَعَظِيمَ قُدْرَتِه،لأهْلِ العُقُولِ وَالأَلْبَابِ الزّكِيَّةِ .

وَيَصِفُ اللهُ تَعَالَى أُوْلِي الأَلْبَابِ فَيَقُولُ عَنْهُمْ:إِنَّهُمُ الذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قَائِمِينَ وَقَاعِدِينَ وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَلاَ يَقْطَعُونَ ذِكْرَ اللهِ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ،بِسَرَائِرِهِمْ،وَأَلْسِنَتِهِمْ...وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لِيَفْهَمُوا مَا فِيهَا مِنْ أَسْرَارِ خَلِيقَتِهِ،وَمِنْ حِكَمٍ وَعِبَرٍ وَعِظَاتٍ،تَدُلُ عَلَى الخَالِقِ،وَقُدْرَتِه،وَحِكْمَتِه،ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلى أَنْفُسِهِمْ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَكَ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا الخَلْقَ عَبَثاً وَبَاطِلاً،رَبَّنَا تَنَزَّهْتَ عَنِ العَبَثِ وَالبَاطِلِ،وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ بِالحَقِّ،وَالإِنْسَانِ مِنْ بَعْضِ خَلْقِكَ لَمْ تَخْلُقْهُ عَبَثاً،وَإِنَّمَا خَلَقْتَهُ لِحِكْمَةٍ.وَمَتَى حُشِرَ الخَلْقُ إِلَيكَ حَاسَبْتَهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ،فَتَجْزِي الذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا،وَتَجْزِي الذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى.ثُمَّ يُتِمُّونَ دُعَاءَهُمْ سَائِلِينَ رَبَّهُمْ أنْ يَقِيَهُمْ عَذابَ النَّارِ .

ثُمَّ يُتَابِعُونَ دُعَائَهُمْ وَرَجَاءَهُمْ لِرَبِّهِمْ قَائِلِينَ:رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلَهُ النَّارَ فَقَدْ أَهَنْتَهُ وَأَذْلَلْتَهُ،وَأَظْهَرْتَ خِزْيَهُ لأَهْلِ الجَمْعِ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَالظَّالِمُونَ لاَ يَجِدُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ مِنَ اللهِ .

وَبَعْدَ أَنْ عَرَفُوا اللهَ حَقَّ المَعْرِفَةِ بِالذِّكْرِ وَالفِكْرِ،عَبَّرُوا عَنْ وُصُولِ دَعْوَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِمْ،وَاسْتِجَابَتِهِمْ لِدَعْوَتِهِ سِرَاعاً،فَقَالُوا:رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا دَاعِياً يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِيمَانِ بِكَ (

وَهُوَ الرَّسُولُ)،وَيَقُولُ:آمنُوا بربِّكُمْ،فآمَنَّا مُسْتَجيبينَ لَهُ،رَبَّنا فَاغْفرْ لَنا ذُنُوبَنَا،وَتَجاوَزْ عَــنْ سَيِّئاتنَا،فيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ،وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارَ الصَّالحينَ وَأَلْحقْنَا بهِمْ .

رَبَّنَا وَآتنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى لسَان رُسُلكَ،وَلاَ تُخزنَا يَوْمَ القيَامَة أَمَامَ الخَلْق،إنَّكَ لاَ تُخلــفُ الميْعَادَ الذي أَخْبَرَ عَنْهُ رُسُلُكَ الكرَامُ،وَهُوَ قيَامُ الخَلْق يَوْمَ القيَامَة بَيْنَ يَدَيْكَ،وَإنَّكَ تَجْــزي العَاملينَ الصَّالحينَ بالخَيْر وَالحُسْنَى،وَتَجْزي الذينَ أسَاؤُوا بمَا يَسْتَحقُونَ منْ عَذَاب النَّار .

لَمَّا سَأَلَ المُؤْمنُونَ ذَوُو الأَلْبَاب رَبَّهُمْ مَا سَأَلُوا في الآيات السَّابقَات،اسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُــمْ لصدْقهمْ في إيمَانهمْ،وَذكْرهمْ وَتَفَكُّرهمْ في خَلْق السَّمَاوَات وَالأَرْض،وَتَنْزيههمْ رَبَّهُمْ عَن العَبَث،وَتَصْديقهمْ رُسُلَهُ،وَقَالَ لَهُمْ:إنَّهُ لاَ يُضَيِّعُ عَمَلَ عَاملٍ منْهُمْ منْ ذَكَرٍ أوْ أُنْثَى،وَإنَّــهُ سَيُوَفِّي كُلَّ عَاملٍ أَجْرَهُ،وَجَميعُهُمْ لَدَيه سَوَاءٌ في الثَّوَاب (بَعْضُكُمْ منْ بَعْضٍ)،فَالــذينَ هَاجَرُوا منْ دَار الشِّرْك وَأَتَوا إلى دَار الإيمَان،وَضَايَقَهُمُ المُشْركُونَ حَتَّــى اضْــطَرُّوهُمْ إلى الخُرُوجِ منْ ديَارهمْ،وَمُفَارَقَة أَهْلهمْ وَأَمْوَالهمْ،لاَ لشَيءٍ إلاَّ أنْ يَقُولُــوا رَبَّنَــا اللهُ،وَالَّــذينَ يُقَاتلُونَ في سَبيلِ الله،وَيُقْتَلُونَ صَابرينَ مُحْتَسَبينَ...فَهؤُلاء جَميعــاً سَــيُكَفِّرُ اللهُ عَــنْهُمْ سَيِّئَاتهمْ وَخَطَايَاهُمْ،وَسَيُدْخلُهُمْ جَنَّات تَجْري الأنْهَارُ في جَنَبَاتهَا،وَيُنيلُهُمْ ذَلكَ جَزَاءً لَهُمْ منْ عنْد الله،وَثَوَاباً جَزيلاً منْهُ،لأنَّ اللهَ عَظيمٌ،وَالعَظيمُ لاَ يُعْطي إلاَّ جَزيلاً.وَللْعبَاد الصَّالحينَ عنْدَ الله خَيْرُ الجَزَاء وَالثَّواب .[9]

١٠- الرزق الحسن:

قال تعالى:{ وَالَّذينَ هَاجَرُوا في سَبيلِ اللَّه ثُمَّ قُتلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رزْقًا حَسَنًا وَإنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازقينَ} (٥٨) سورة الحـــج

والذينَ هَاجَرُوا في سَبيلِ الله تَعَالَى،ابْتغَاءَ مَرْضَاته،وَطَلَباً لمَا عنْدَهُ منْ أَجْرٍ وَثَوَاب،وَتَرَكُوا الأَهْلَ والأَوْطَانَ،ثُمَّ قُتلُوا وَهُمْ يُجَاهدُونَ في سَبيلِ الله،أَوْ مَــاتُوا في مَهْجَــرهم حَتْــفَ أَنْفهم،فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُمْ عَلَى الله،وَسَيَجْزيهمْ رَبُّهُم الجَزَاءَ الأَوْفَى،وَسَيُجْري عَلَــيْهم مــنْ فَضْله وَرزْقه في الجَنَّة لتَقَرَّ عُيُونُهُمْ،واللهُ خَيْرُ الرَّازقينَ،فَهُوَ تَعَالَى يَرْزُقُ بغَيْر حسَابٍ .[10]

---

[9] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٨٣، بترقيم الشاملة آليا)

[10] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٥٣٣، بترقيم الشاملة آليا)

١١- لن يضل الله أعمالهم:

قال تعالى:{ فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} (٤) سورة محمد

يُرشدُ اللهُ تَعَالى المُؤْمنينَ إلى وُجُوب قتَال المُشْركينَ الذينَ يَكْفُرُونَ بالله،وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبيله حَتَّى يَنْخَذلَ الشِّرْكُ وَأَهْلُهُ،وَيُبيِّنُ لَهُمُ الأَسْلُوبَ الذي يَعْتَمدُونَهُ في قتَالهمْ فَيَقُولُ تَعَالى:إذا لَقيتُمُ المُشْركين في سَاحَة الحَرب فَاحْصُدُوهُم حَصْداً بالسيُّوف،حَتَّى إذا تَمَّتْ لَكُمُ الغَلَبَةُ عَلَيهم،وَقَهَرْتُم مَنْ تَبَقَّى منْهُمْ حَيّاً،وَصَارُوا أسْرى في أيديكم،شُدُّوا وثَاقَهُمْ لكَيلاَ يَعْمَدُوا إلى الهَرَب،أو العَوْدة إلى القتَال،وَبَعْدَ انتهَاء الحَرْب فأنْتُم بالخيار بَيْنَ المَنِّ عَلَيهم وإطْلاق سَرَاحهمْ بدُون فدَاء،وَبَيْنُ مُفَادَاتهمْ.وَقَدْ تَكُونُ المُفَادَاةُ بمال يُؤْخَذُ منْهُمْ لإضْعَاف شَوْكَتهْم،وَقَدْ تَكُونُ بأسْرى منَ المُسْلمينَ.وهذه هيَ السُّنَّةُ في قتَال المُشْركينَ والكُفَّار حَتَى تَنْتَهيَ الحَرْبُ وَتَضَعَ أوْزَارَهَا،وَلَوْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَنْتَقمَ منهُمْ بعُقُوبة عَاجلَة لَفعَلَ،وَلَكَفَاكُمْ أَمْرَهُمْ،وَلكنَّهُ شَرَعَ الجهَادَ،وَقتَالَ الأعداء،لخْتَبرَ المُؤمنينَ وَصَبْرَهُمْ عَلَى القتَال،وَيخْتَبرَ المُشركينَ،فَيُعَاقبَ مَنْ شَاءَ منْهُمْ بأيدي المُؤْمنينَ،وَيَتَّعظَ منْهُمْ مَنْ شَاءَ وَيَرْجعَ إلى الحَقِّ.واللهُ يَجْزي الشَّهَداءَ الذينَ قُتلُوا في سَبيله تَعَالى،وَيَتَجَاوزُ عَنْ سَيِّئَاتهمْ،وَيُثَمِّرُ لَهُمْ أعْمالَهُمْ وَيُنَميِّها لَهُمْ .[11]

المطلب الثاني – الحث على الشهادة في السنة النبوية:

١-الترغيب في الرباط في سبيل الله:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْد السَّاعديِّ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ،قَالَ:«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا،وَمَوْضعُ سَوْط أَحَدكُمْ منَ الجَنَّة خَيْرٌ منَ الدُّنْيَا وَمَا

---

[11] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٢٨، بترقيم الشاملة آليا)

عَلَيْهَا،وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».أخرجه البخاري [12]

الغدوة بفتح الغين المعجمة هي المرة الواحدة من الذهاب،والروحة بفتح الراء المرة الواحدة من المجيء

وعَنْ سَلْمَانَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ،وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ،وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ،وَأَمِنَ الْفَتَّانَ».رواه مسلم [13]

وعن فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَيَأْمَنُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ»،قَالَ:وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».[14]

وعَنْ المِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ،وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ ".رواه الترمذي [15].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:«مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ،رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ،يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ،كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً،أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ،يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ،أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ،أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ

---

12 - صحيح البخاري (٤/ ٣٥)(٢٨٩٢)

13 - صحيح مسلم (٣/ ١٥٢٠)١٦٣ - (١٩١٣)

[ش (السمط) يقال بفتح السين وكسر الميم ويقال بكسر السين وإسكان الميم (رباط) أصل الرباط ما تربط به الخيل ثم قيل لكل أهل ثغر يدفع عمن خلفه رباط(وأمن الفتان) ضبطوا أمن بوجهين أحدهما أمن بفتح الهمزة وكسر الميم من غير واو والثاني أومن بضم الهمزة وبواو وأما الفتان فقال القاضي رواية الأكثرين بضم الفاء جمع فاتن قال ورواية الطبري بالفتح]

14 - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٠/ ٤٨٤)(٤٦٢٤)صحيح

15 - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨٧)(١٦٦٣) صحيح

الْأَوْدِيَةِ،يُقِيمُ الصَّلَاةَ،وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ،وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ،لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ» رواه مسلم [١٦].

٢ــ الترغيب في الحراسة في سبيل الله تعالى:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ:عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ،وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ".رواه الترمذي[١٧]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ أَبَدًا:عَيْنٌ بَاتَتْ تَكْلَأُ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَعَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ".أخرجه أبو يعلى[١٨] -تكلأ مهموزا أي تحفظ وتحرس

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِلَيْلَةٍ أَفْضَلَ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ حَارِسٌ حَرَسَ فِي أَرْضِ خَوْفٍ لَعَلَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِه».رواه النسائي في السنن الكبرى [١٩]

وعَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ،قَالَ:قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،يَقُولُ:إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" حُرِّمَ عَلَى عَيْنَيْنِ أَنْ تَنَالَهُمَا النَّارُ:عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ،وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ " أخرجه الحاكم.[٢٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي جَوْفِ عَبْدٍ أَبَدًا،وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا»[٢١]

---

16 - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٣)١٢٥ - (١٨٨٩)

[ش (معاش الناس) المعاش هو العيش وهو الحياة وتقديره والله أعلم من خير أحوال عيشهم رجل ممسك (ممسك عنان فرسه) أي متأهب ومنتظر وواقف بنفسه على الجهاد في سبيل الله (يطير على متنه) أي يسرع جدا على ظهره حتى كأنه يطير(هيعة) الصوت عند حضور العدو(أو فزعة) النهوض إلى العدو (يبتغي القتل والموت مظانه) يعني يطلبه من مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة(غنيمة) تصغير غنم أي قطعة منها(شعفة) أعلى الجبل]

17 - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٧٥)(١٦٣٩) صحيح

18 - مسند أبي يعلى الموصلي (٧/ ٣٠٧)(٤٣٤٦) صحيح لغيره

19 - السنن الكبرى للنسائي (٨/ ١٣٩)(٨٨١٧) صحيح

20 - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٩٢)(٢٤٣١) صحيح لغيره

21 - الأدب المفرد مخرجا (ص: ١٠٦)(٢٨١) صحيح

وعَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ قَالَ:خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةٍ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:" حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ،حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَنَسِيتُ الثَّالِثَةَ،وَسَمِعْتُ بَعْدُ أَنَّهُ قَالَ:«حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ».[٢٢]

٣ ــ الترغيب في النفقة في سبيل الله وتجهيز الغزاة وخلفهم في أهلهم:

عَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كُتِبَتْ لَهُ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ». رواه الترمذي [٢٣].

وعن زَيْدَ بْنِ خَالِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا،وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا» رواه البخاري ومسلم[٢٤].

٤ــ الترغيب في الغدوة في سبيل الله والروحة:

عن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:«لَرَوْحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوْ غَدْوَةٌ،خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ،أَوْ مَوْضِعُ قِيدٍ - يَعْنِي سَوْطَهُ - خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَلَوْ أَنَّ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ اطَّلَعَتْ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا،وَلَمَلَأَتْهُ رِيحًا،وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».رواه البخاري [٢٥]

وعَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا أَيُّوبَ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«غَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ،أَوْ رَوْحَةٌ،خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرَبَتْ»،.رواه مسلم [٢٦]

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا،وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا

---

22 – السنن الكبرى للنسائي (٨/ ١٣٩)(٨٨١٨) حسن

23 – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٦٧)(١٦٢٥) صحيح

24 – صحيح البخاري (٤/ ٢٧)(٢٨٤٣) وصحيح مسلم (٣/ ١٥٠٦)(١٣٥ - (١٨٩٥)

[ش (جهز غازيا) هيأ له ما يحتاجه في سفره وغزوه والغزو الجهاد.(فقد غزا) كتب له أجر الغزو وإن لم يغز لأنه ساعد عليه.(خلف غازيا) قام مقامه في قضاء حاجات أهله حال غيبته.(بخير) بإحسان وأمانة وإخلاص]

25 – صحيح البخاري (٤/ ١٧)(٢٧٩٦)

[ش (موضع قيد) مقدار قيد وهو السوط المتخذ من الجلد الذي لم يدبغ.(ما بينهما) ما بين السماء والأرض.(ريحا) عطرا.(لنصيفها) خمارها وهو ما يغطى به الرأس]

26 – صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٠)(١١٥ - (١٨٨٣)

عَلَيْهَا،وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا».البخاري [٢٧].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ،لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي،وَإِيمَانًا بِي،وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي،فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ،نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ،إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ،لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ،وَرِيحُهُ مِسْكٌ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا،وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ،وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً،وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ» رواه مسلم [٢٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ،وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ» رواه الترمذي [٢٩]

---

[27] - صحيح البخاري (٤/ ٣٥)(٢٨٩٢)

[28] - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٥)(١٠٣ - (١٨٧٦)

[ش (تضمن الله) وفي الرواية الأخرى تكفل الله ومعناهما أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} الآية(إلا جهادا في سبيلي) هكذا هو في جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعده وإيمانا بي وتصديقا وهو منصوب على أن لا مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق ومعناه لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى(نائلا ما نال من أجر) قالوا معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنموا أو من الأجر والغنيمة معا إن غنموا وقيل إن أو هنا بمعنى الواو أي من أجر أو غنيمة ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرا بكل حال فإما أن يستشهد فيدخل الجنة وإما أن يرجع بأجر وإما أن يرجع بأجر وغنيمة(ما من كلم يكلم في سبيل الله) أما الكلم فهو الجرح ويكلم أي يجرح والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى(خلاف سرية) أي خلفها وبعدها(لا أجد سعة فأحملهم) أي ليس لي من سعة الرزق ما أجد به لهم دواب فأحملهم عليها(ولا يجدون سعة) فيه حذف يدل عليه ما ذكر قبله أي ولا يجدون سعة يجدون بها من الدواب ما يحملهم ليتبعوني ويكونوا معي(ويشق عليهم أن يتخلفوا عني) أي ويوقعهم تأخرهم عني في المشقة يعني يصعب عليهم ذلك]

[29] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٥٥٥)(٢٣١١) صحيح

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرٍ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ». رواه البخاري [30]

وعَنْ عَائِشَةَ،أَنَّ مُكَاتَبًا لَهَا دَخَلَ عَلَيْهَا بِبَقِيَّةِ مُكَاتَبَتِهِ،فَقَالَتْ لَهُ:أَنْتَ غَيْرُ دَاخِلٍ عَلَيَّ غَيْرَ مَرَّتِكَ هَذِهِ،فَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ،فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:" مَا خَالَطَ قَلْبَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ رَهَجٌ فِي سَبِيلِ اللهِ،إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ النَّارَ " رواه أحمد [31].

٥ ــ الترغيب في سؤال الشهادة في سبيل الله تعالى:

عَنْ سهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ،،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:«مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ،بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ،وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ».رواه مسلم [32]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا،أُعْطِيَهَا،وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ».رواه مسلم [33]

وعن مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ،أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ حَدَّثَهُمْ،أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ،وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْقَتْلَ مِنْ نَفْسِهِ صَادِقًا،ثُمَّ مَاتَ أَوْ قُتِلَ،فَإِنَّ لَهُ أَجْرَ شَهِيدٍ" وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً،فَإِنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ:لَوْنُهَا لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ وَرِيحُهَا رِيحُ الْمِسْكِ،وَمَنْ خَرَجَ بِهِ خُرَاجٌ فِي سَبِيلِ اللَّهَ،فَإِنَّ عَلَيْهِ طَابَعَ الشُّهَدَاءِ ".رواه أبو داود والترمذي [34]

٦ ــ الترغيب في الجهاد في سبيل الله تعالى وما جاء في فضل الكلم فيه والدعاء عند الصف والقتال

---

30 - صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨١١)

31 - مسند أحمد ط الرسالة (٤١/ ١٠٠)(٢٤٥٤٨) والجهاد لابن أبي عاصم (١/ ٣٤٨)(١٢٢) صحيح

قال السندي: قوله: رهج، ضبط بفتحتين: الغبار.هو ما يداخل باطن الإنسان من الخوف والجزع ونحوه

32 - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٧)١٥٧ - (١٩٠٩)

33 - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٧)١٥٦ - (١٩٠٨)

[ش (من طلب الشهاة صادقا أعطيها ولو لم تصبه) وفي الرواية الأخرى من سأل الله الشهادة بصدق معنى الرواية الأولى مفسر من الرواية الثانية ومعناهما جميعا أنه سأل الشهادة بصدق أعطى من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه وفيه استحباب سؤال الشهادة واستحباب نية الخير]

34 - سنن أبي داود (٣/ ٢١)(٢٥٤١) وسنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨١)(١٦٥٠)صحيح

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ:أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ:«إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ».قِيلَ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:«الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:«حَجٌّ مَبْرُورٌ» رواه البخاري [٣٥]

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«الْإِيمَانُ بِاللهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ» قَالَ:قُلْتُ:أَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا» قَالَ:قُلْتُ:فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ:«تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ» قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قَالَ:«تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ».أخرجه مسلم [٣٦]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ،قَالَ:قَالَ رَجُلٌ:أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:«مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ»،قَالَ:ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ:«ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ».مسلم [٣٧]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ جُلُوسٌ،فَقَالَ:" أَلا أُحَدِّثُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ مَنْزِلَةً؟ " فَقَالُوا:بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:" رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ،حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يُقْتَلَ،أَفَأُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَلِيهِ؟ " قَالُوا:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:" امْرُؤٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ،يُقِيمُ الصَّلاةَ،وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ،وَيَعْتَزِلُ شُرُورَ النَّاسِ،أَفَأُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ مَنْزِلَةً؟ " قَالُوا:نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ،قَالَ:" الَّذِي يُسْأَلُ بِاللهِ وَلا يُعْطِي بِهِ " أحمد [٣٨].

وعَنْ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ فَقَالَ:تُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ وَدِينَ آبَائِكَ وَآبَاءِ أَبِيكَ،فَعَصَاهُ فَأَسْلَمَ،ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ،فَقَالَ:تُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ وَسَمَاءَكَ،وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ

---

[35] - صحيح البخاري (١/ ١٤)(٢٦) وصحيح مسلم (١/ ٨٨)١٣٥ - (٨٣)

[ش(أفضل) أكثر ثوابا عند الله تعالى.(مبرور) مقبول وهو الذي لا يقع فيه ارتكاب ذنب]

[36] - صحيح مسلم (١/ ٨٩)١٣٦ - (٨٤)

[ش (أنفسها عند أهلها) معناه أرفعها وأجودها قال الأصمعي مال نفيس أي مرغوب فيه (تصنع لأخرق) الأخرق هو الذي ليس بصانع يقال رجل أخرق وامرأة خرقاء لمن لا صنعة له]

[37] - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٣)١٢٣ - (١٨٨٨)

[38] - مسند أحمد ط الرسالة (٤/ ٢٣)(٢١١٦) صحيح

كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ،ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ فَقَالَ:تُجَاهِدُ فَهُوَ جَهْدُ النَّفْسِ وَالْمَالِ فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ وَيُقْسَمُ الْمَالُ فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،وَمَنْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،قَالَ:وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ وَقَصَتْهُ دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ".رواه النسائي [٣٩]

وعَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ الْجَنْبِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْدٍ يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«أَنَا زَعِيمٌ وَالزَّعِيمُ الْحَمِيلُ لِمَنْ آمَنَ بِي وَأَسْلَمَ،وَهَاجَرَ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ،وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ،وَأَنَا زَعِيمٌ لِمَنْ آمَنَ بِي،وَأَسْلَمَ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ،وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ،وَبِبَيْتٍ فِي أَعَلَى غُرَفِ الْجَنَّةِ،فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَمْ يَدَعْ لِلْخَيْرِ مَطْلَبًا،وَلَا مِنَ الشَّرِّ مَهْرَبًا يَمُوتُ حَيْثُ شَاءَ أَنْ يَمُوتَ».رواه النسائي [٤٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا،فَقَالَ:لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ،فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ،وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ:«لَا تَفْعَلْ،فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا،أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ،اغْزُو فِي سَبِيلِ اللَّهِ،مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ» رواه الترمذي [٤١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَجُلًا،مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ:مَرَّ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةُ مَاءٍ عَذْبٍ،فَأَعْجَبَهُ طِيبُهُ،فَقَالَ:لَوْ أَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ فَاعْتَزَلْتُ النَّاسَ،وَلَا أَفْعَلُ حَتَّى أَسْتَأْمِرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:" لَا تَفْعَلْ،فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةِ سِتِّينَ عَامًا خَالِيًا،أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ،مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ،وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ " أحمد [٤٢]

فواق الناقة هو ما بين رفع يدك عن ضرعها وقت الحلب ووضعها وقيل هو ما بين الحلبتين

---

[39] – السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٨٣)(٤٣٢٧) صحيح

[40] – السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٨٢)(٤٣٢٦) صحيح

[41] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨١)(١٦٥٠) حسن

[42] – مسند أحمد ط الرسالة (١٦/ ٤٥٨)(١٠٧٨٦) حسن

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«مَقَامُ الرَّجُلِ فِي الصَّفِّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ عُبَادَةِ رَجُلٍ سِتِّينَ سَنَةً» رواه الحاكم [٤٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ:«لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»،قَالَ:فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ،أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ:«لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»،وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ:«مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ،لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ،وَلَا صَلَاةٍ،حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى».رواه مسلم[٤٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ،وَأَقَامَ الصَّلاَةَ،وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ:«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ،فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ».أخرجه البخاري [٤٥]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«يَا أَبَا سَعِيدٍ،مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا،وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا،وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا،وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»،فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ،فَقَالَ:أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ،فَفَعَلَ،ثُمَّ قَالَ:«وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ،مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»،قَالَ:وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:«الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ،الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ» رواه مسلم [٤٦]

---

43 – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٧٨)(٢٣٨٣) صحيح

44 – صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٨)١١٠ – (١٨٧٨)

[ش (لا تستطيعوه) كذا هو في معظم النسخ لا تستطيعوه وفي بعضها لا تستطيعونه بالنون وهذ جار على اللغة المشهورة والأول صحيح أيضا وهي لغة فصيحة حذف النون من غير ناصب ولا جازم وقد سبق بيانها ونظائرها مرات (القانت) معنى القانت هنا المطيع]

45 – صحيح البخاري (٤/ ١٦)(٢٧٩٠)

[ش (الفردوس) هو البستان الذي يجمع ما في البساتين كلها من شجر وزهر ونبات.(أوسط الجنة) أفضلها وخيرها.(أراه) أظنه وهذا من كلام يحيى بن صالح شيخ البخاري أي أظنه قال (فوقه..) (تفجر) تنشق]

46 – صحيح مسلم (٣/ ١٥٠١)١١٦ – (١٨٨٤)

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبِي،وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ،يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»،فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ،فَقَالَ:يَا أَبَا مُوسَى،آنْتَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ هَذَا؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:" فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ،فَقَالَ:أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ،ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ،ثُمَّ مَشَى بِسَيْفِهِ إِلَى الْعَدُوِّ فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ ".رواه مسلم [47]

وعَنْ أَبِي إِسْحَاقَ،قَالَ:سَمِعْتُ البَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،يَقُولُ:أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ أَوْ أُسْلِمُ؟ قَالَ:«أَسْلِمْ،ثُمَّ قَاتِلْ»،فَأَسْلَمَ،ثُمَّ قَاتَلَ،فَقُتِلَ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا».رواه البخاري [48]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ،فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي،وَغَيْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نِسَائِهِ،قَالَ:فَحَدَّثَهُ الْحَدِيثَ،قَالَ:فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَتَكَلَّمَ،فَقَالَ:«إِنَّ لَنَا طَلِبَةً،فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»،فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذِنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ،فَقَالَ:«لَا،إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»،فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ،وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»،فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»،قَالَ:- يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ:- يَا رَسُولَ اللهِ،جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قَالَ:بَخٍ بَخٍ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ:لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ،إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا،قَالَ:«فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا»،فَأَخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ،فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ،ثُمَّ قَالَ:لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ

---

47 - صحيح مسلم (٣/ ١٥١١)١٤٦ - (١٩٠٢)

[ش (بحضرة) هو بفتح الحاء وضمها وكسرها ثلاث لغات ويقال أيضا بحضر(تحت ظلال السيوف) قال العلماء معناه أن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها(جفن سيفه) هو غمده]

48 - صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨٠٨)

[ش (رجل) هو الأصرم عمرو بن ثابت الأشهلي رضي الله عنه.(مقنع) وجهه مغطى]

تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ،قَالَ:فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ،ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ".رواه مسلم [٤٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا» رواه مسلم [٥٠]

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - يَعْنِي يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ -:«الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِي هُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ،إِنْ قَبَضْتُهُ أَوْرَثْتُهُ الجَنَّةَ،وَإِنْ رَجَعْتُهُ رَجَعْتُهُ بِأَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ» .رواه الترمذي [٥١]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ:رَجُلٌ خَرَجَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ،وَرَجُلٌ رَاحَ إِلَى الْمَسْجِدِ،فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ يَرُدَّهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ وَغَنِيمَةٍ،وَرَجُلٌ دَخَلَ بَيْتَهُ بِسَلَامٍ فَهُوَ ضَامِنٌ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ".أبو داود [٥٢]

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُنَجِّي اللهُ بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ " أحمد [٥٣]

---

[49] - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٠)١٤٥ - (١٩٠١)

[ش (بسيسة) قال القاضي هكذا هو في جميع النسخ قال والمعروف في كتب السيرة بسبس بن عمرو ويقال ابن بشر من الأنصار من الخزرج ويقال حليف لهم قلت (أي الإمام النووي) يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له والآخر لقبا (عينا) أي متجسسا ورقيبا(عير أبي سفيان) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره قال في المشارق العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات قال ولا تسمى عيرا إلا إذا كانت كذلك وقال الجوهري في الصحاح العير الإبل تحمل الميرة جمعها عيرات(طلبة) أي شيئا نطلبه

(ظهره) الظهر الدواب التي تركب(ظهرانهم) أي مركوباتهم(حتى أكون أنا دونه) أي قدامه متقدما في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها(بخ بخ) فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منونا وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير(إلا رجاءة) هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة رجاءة بالمد زنصب التاء وفي بعضها رجاء بلا تنوين وفي بعضها بالتنوين وكله صحيح معروف في اللغة ومعناه والله ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها(قرنه) أي جعبة النشاب]

[50] - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٥)١٣٠ - (١٨٩١)

[51] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٦٤)(١٦٢٠) صحيح

[52] - سنن أبي داود (٣/ ٧)(٢٤٩٤) صحيح

[53] - مسند أحمد ط الرسالة (٣٧/ ٣٥٥)(٢٢٦٨٠) حسن لغيره

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟ قَالَ:«لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»،قَالَ:فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ،أَوْ ثَلَاثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ:«لَا تَسْتَطِيعُونَهُ»،وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ:«مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ،لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ،وَلَا صَلَاةٍ،حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى» أخرجه مسلم [54]

وعَنْ سَهْلٍ،عَنْ أَبِيهِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْهُ،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ،انْطَلَقَ زَوْجِي غَازِيًا،وَكُنْتُ أَقْتَدِي بِصَلَاتِهِ إِذَا صَلَّى،وَبِفِعْلِهِ كُلِّهِ فَأَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُبْلِغُنِي عَمَلَهُ حَتَّى يَرْجِعَ،فَقَالَ لَهَا:" أَتَسْتَطِيعِينَ أَنْ تَقُومِي وَلَا تَقْعُدِي،وَتَصُومِي وَلَا تُفْطِرِي،وَتَذْكُرِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،وَلَا تَفْتُرِي حَتَّى يَرْجِعَ؟ " قَالَتْ:مَا أُطِيقُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ،فَقَالَ:" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَوْ طُوِّقْتِيهِ مَا بَلَغْتِ الْعُشْرَ مِنْ عَمَلِهِ حَتَّى يَرْجِعَ " أحمد [55] -العشور:جمع عشرة وهو الواحد من عشرة أجزاء

وعَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ السَّكْسَكِيِّ قَالَ:سَمِعْتُ مُعَاذًا يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْنُهُ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ،وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ عَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ،وَمَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ مُخْلِصًا أَعْطَاهُ اللهُ أَجْرَ شَهِيدٍ،وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ وَمَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ".أحمد [56]

وعَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ،قَالَ:هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللهِ،ثُمَّ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا إِذَا طُعِنَتْ،تَفَجَّرُ دَمًا،اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ،وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ»

---

[54] - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٨)١١٠ - (١٨٧٨)

[ش (لا تستطيعوه) كذا هو في معظم النسخ لا تستطيعوه وفي بعضها لا تستطيعونه بالنون وهذ جار على اللغة المشهورة والأول صحيح أيضا وهي لغة فصيحة حذف النون من غير ناصب ولا جازم وقد سبق بيانها ونظائرها مرات(القانت) معنى القانت هنا المطيع]

[55] - مسند أحمد ط الرسالة (٢٤/ ٣٩٥)(١٥٦٣٣) حسن

[56] - مسند أحمد ط الرسالة (٣٦/ ٤٢٤)(٢٢١١٠) صحيح لغيره

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ فِي يَدِهِ،لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ،وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ،وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً فَيَتَّبِعُونِي،وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَقْعُدُوا بَعْدِي».أخرجه مسلم [٥٧]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ،قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ،وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَأَمَّا الأَثَرَانِ:فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ ".رواه الترمذي [٥٨]

وعن نِمْرَانَ بْنِ عُتْبَةَ الذِّمَارِيِّ،قَالَ:دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ أَيْتَامٌ،فَقَالَتْ:أَبْشِرُوا،فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءَ يَقُولُ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«يُشَفَّعُ الشَّهِيدُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» أبو داود [٥٩]

وعَنْ قَيْسٍ الْجُذَامِيِّ،رَجُلٍ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:" يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتَّ خِصَالٍ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ:يُكَفَّرُ عَنْهُ كُلُّ خَطِيئَةٍ،وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ،وَيُؤَمَّنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ،وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ ".أحمد [٦٠]

٧ ـ الترغيب في إخلاص النية في الجهاد:

عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ الرَّجُلُ:يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ،وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ،وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ،فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ:«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ».رواه البخاري ومسلم [٦١]

---

[57] - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٧)١٠٦ - (١٨٧٦)

[ش (كهيئتها) الضمير في هيئتها يعود على الجراحة(العرف عرف المسك) العرف هو الريح أصل العرف الرائحة مطلقا وأكثر استعماله في الرائحة الطيبة]

[58] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٩٠)(١٦٦٩) حسن

[59] - سنن أبي داود (٣/ ١٥)(٢٥٢٢) صحيح

[60] - مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٣٢٢)(١٧٧٨٣) حسن

[61] - صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨١٠) وصحيح مسلم (٣/ ١٥١٣)١٥٠ - (١٩٠٤)

[ش(رجل) قيل هو لاحق بن ضميرة الباهلي رضي الله عنه.(للمغنم) أي من أجل الغنيمة.(للذكر) الشهرة بين الناس.(ليرى مكانه) مرتبته في الشجاعة]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَجُلًا قَالَ:يَا رَسُولَ اللَّه،رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّه،وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا،فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:«لَا أَجْرَ لَهُ».فَأَعْظَمَ ذَلِكَ النَّاسُ،وَقَالُوا لِلرَّجُلِ:عُدْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ فَلَعَلَّكَ لَمْ تُفَهِّمْهُ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّه،رَجُلٌ يُرِيدُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّه،وَهُوَ يَبْتَغِي عَرَضًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا،فَقَالَ:«لَا أَجْرَ لَهُ».فَقَالُوا:لِلرَّجُلِ عُدْ لِرَسُولِ اللَّه ﷺ،فَقَالَ لَهُ:الثَّالِثَةَ.فَقَالَ لَهُ:«لَا أَجْرَ لَهُ» رواه أبو داود[٦٢]

العرض:بفتح العين المهملة والراء جميعا هو ما يقتنى من مال وغيره

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّاب،قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّة،وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُوله،فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُوله،وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه».البخاري ومسلم [٦٣]

---

62 - سنن أبي داود (٣/ ١٤)(٢٥١٦) حسن

63 - صحيح البخاري (٧/ ٤)(٥٠٧٠) وصحيح مسلم (٣/ ١٥١٥)١٥٥ - (١٩٠٧)

[ش (إنما الأعمال بالنية) أجمع المسلمون على عظم موقع هذا الحديث وكثرة فوائده وصحته قال الشافعي وآخرون هو ثلث الإسلام وقال الشافعي يدخل في سبعين بابا من الفقه وقال آخرون وهو ربه الإسلام وقال عبد الرحمن بن مهدي وغيره ينبغي لمن صنف كتابا أن يبدأ فيه بهذا الحديث تنبيها للطالب على تصحيح النية ونقل الخطابي هذا عن الأئمة مطلقا وقد فعل ذلك البخاري وغيره فابتدؤا به قبل كل شيء وذكره البخاري في سبعة مواضع من كتابه قال الحفاظ و لم يصح هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من رواية عمر بن الخطاب ولا عن عمر إلا من رواية علقمة بن وقاص ولا عن علقمة إلا من رواية محمد بن إبراهيم التيمي ولا عن محمد إلا من رواية يحيى بن سعيد الأنصاري وعن يحيى انتشر فرواه عنه أكثر من مائتي إنسان أكثرهم أئمة ولهذا قال الأئمة ليس هو متواترا وإن كان مشهورا عند الخاصة والعامة لأنه فقد شرط التواتر في أولهوفيه طرفة من طرف الإسناد فإنه رواه ثلاثة تابعيون بعضهم عن بعض يحيى ومحمد وعلقمة قال جماهير العلماء من أهل العربية والأصول وغيرهم لفظة إنما موضوعة للحصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه فتقدير هذا الحديث أن الأعمال تحسب إذا كانت بنية ولا تحسب إذا كانت بلا نية

(وإنما لامرئ ما نوى) قالوا فائدة ذكره بعد (إنما الأعمال بالنية) بيان أن تعيين المنوى شرط فلو كان على إنسان صلاة مقضية لا يكفيه أن ينوي الصلاة الفائتة بل يشترط أن ينوي كونها ظهرا أو غيرها ولولا اللفظ الثاني لاقتضى الأول صحة النية بلا تعيين أو أوهم ذلك(فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله) معناه من قصد بهجرته وجه الله وقع أجره على الله ومن قصد بها دنيا أو امرأة فهي حظه ولا نصيب له في الآخرة بسبب هذه الهجرة وأصل الهجرة الترك والمراد هنا ترك الوطن وذكر المرأة مع الدنيا يحتمل وجهين أحدهما أنه جاء أن سبب هذا الحديث أن رجلا هاجر ليتزوج امرأة يقال لها أم قيس فقيل له مهاجر أم قيس والثاني أنه للتنبيه على زيادة التحذير من ذلك وهو من باب ذكر الخاص بعد العام تنبيها على مزيته]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا شَيْءَ لَهُ»،ثُمَّ قَالَ:«إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ» رواه النسائي [64]

قوله يلتمس الأجر والذكر:يعني يريد أجر الجهاد ويريد مع ذلك أن يذكره الناس بأنه غاز أو شجيع ونحو ذلك

وعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ،قَالَ:تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ:أَيُّهَا الشَّيْخُ،حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،قَالَ:نَعَمْ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:" إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ،فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا،قَالَ:فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ:قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ،قَالَ:كَذَبْتَ،وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ:جَرِيءٌ،فَقَدْ قِيلَ،ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ،وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ،فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا،قَالَ:فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ:تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ،وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ،قَالَ:كَذَبْتَ،وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ:عَالِمٌ،وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ:هُوَ قَارِئٌ،فَقَدْ قِيلَ،ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ،وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ،وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ،فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا،قَالَ:فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ:مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ،قَالَ:كَذَبْتَ،وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ:هُوَ جَوَادٌ،فَقَدْ قِيلَ،ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ،ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ " رواه مسلم [65]

---

64 - السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٨٦)(٤٣٣٣) حسن

65 - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٣)١٥٢ - (١٩٠٥)

[ش (ناتل أهل الشام) وفي الرواية الأخرى فقال له ناتل الشامي وهو ناتل بن قيس الحزامي الشامي من أهل فلسطين وهو تابعي وكان أبوه صحابيا وكان ناتل كبير قومه(قوله صلى الله عليه وسلم في الغازي والعالم والجواد وعقابهم على فعلهم ذلك لغير الله وإدخالهم النار - دليل على تغليظ تحريم الرياء وشدة عقوبته وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين} وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصا وكذلك الثناء على العلماء وعلى المنفقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصا)]

وعن عُقْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ،أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ،حَدَّثَهُ أَنَّهُ،دَخَلَ المَدِينَةَ،فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ،فَقَالَ:مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا:أَبُو هُرَيْرَةَ،فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ،فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ:أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ،فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ:أَفْعَلُ،لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ،ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ،فَقَالَ:لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ،ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً،ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ:أَفْعَلُ،لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ،ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً،ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا،ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ:حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ،فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ،وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ،فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ:أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ:بَلَى يَا رَبِّ.قَالَ:فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ:كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ،فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ:كَذَبْتَ،وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ:كَذَبْتَ،وَيَقُولُ اللَّهُ:بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ:إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ،وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ:أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ:بَلَى يَا رَبِّ،قَالَ:فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ:كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ،فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ:كَذَبْتَ،وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ:كَذَبْتَ،وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ:فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ،وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ:فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ:أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ،فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ:كَذَبْتَ،وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ:كَذَبْتَ،وَيَقُولُ اللَّهُ:بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ:فُلَانٌ جَرِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ "،ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ:«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ،أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ» وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ:فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ «أَنَّ شُفَيًّا،هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا» قَالَ أَبُو عُثْمَانَ:وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ،أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ،فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،فَقَالَ مُعَاوِيَةُ:" قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ

بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ،وَقُلْنَا قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ،ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ،وَقَالَ:صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود:١٦] " رواه الترمذي [٦٦]

جريء:هو بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد أي شجاع

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ،أَنَّ رَجُلًا،مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ:أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ،فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ،غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا «فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ» فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ،وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ:مَا هَذَا؟ قَالُوا:قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ،فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ:مَا هَذَا فَقَالَ:«قَسَمْتُهُ لَكَ» قَالَ:مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ،وَلَكِنِ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ،فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَالَ:«إِنْ تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا» ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَهُوَ هُوَ» فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ:«صَدَقَ اللَّهَ فَصَدَّقَهُ» ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ،ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ «اللهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِ» رواه النسائي [٦٧]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ غَازِيَةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُصِيبُونَ الْغَنِيمَةَ،إِلَّا تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْآخِرَةِ،وَيَبْقَى لَهُمُ الثُّلُثُ،وَإِنْ لَمْ يُصِيبُوا غَنِيمَةً،تَمَّ لَهُمْ أَجْرُهُمْ» رواه مسلم [٦٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ».رواه الترمذي [٦٩]

---

66 – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٥٩١)(٢٣٨٢) صحيح

67 – السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٣٣)(٢٠٩١) صحيح

68 – صحيح مسلم (٣/ ١٥١٤)١٥٣ - (١٩٠٦)

69 – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٩٠)(١٦٦٨) صحيح

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:ذُكِرَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ:«لَا تَجفُّ الْأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى تَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ،كَأَنَّهُمَا ظِئْرَانِ أَضَلَّتَا فَصِيلَيْهِمَا فِي بَرَاحٍ مِنَ الْـأَرْضِ،وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».ابن ماجة [٧٠]

٨- تمني الشهيد العودة إلى الدنيا

عن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ،يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ» أخرجه البخاري [٧١]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ،لَهَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ،يَسُرُّهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا،وَلَا أَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،إِلَّا الشَّهِيدُ،فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ،فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ» أخرجه مسلم [٧٢]

وعَنْ أَنَسٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:«مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،إِلَّا الشَّهِيدُ،لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ،فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى».رواه الترمذي [٧٣]

وعَنْ ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«مَا مِنَ النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ مُسْلِمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا تُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكُمْ،وَأَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرُ الشَّهِيدِ» قَالَ ابْنُ أَبِي عَمِيرَةَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«وَلَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ» النسائي [٧٤]

---

[70] - سنن ابن ماجه (٢/ ٩٣٥)(٢٧٩٨) ضعيف

[ش - (تبتدره) تسبق إليه.(ظئران) الظئر المرضعة غير ولدها (أضلتها فصيليهما) أضللت الشيء إذا ضاع منك فلم تعرف موضعه.كالدابة والناقة وما أشبههما.والفضل ولد الناقة لأنه يفصل عن أمه.فهو فعيل بمعنى مفعول.(براح) هو المتسع من الأرض الذي لازرع فيه ولا شجر.]

[71] - صحيح البخاري (٤/ ٢٢)(٢٨١٧)

[ش (ما على الأرض من شيء) الدنيا وما فيها.(لما يرى من الكرامة) لأجل ما يراه من فضل الشهادة]

[72] - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٨)(١٠٨ - (١٨٧٧)

[73] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٧٧)(١٦٤٣) صحيح

[74] - سنن النسائي (٦/ ٣٣)(٣١٥٣) حسن

وعَنْ عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" الْقَتْلُ ثَلَاثَةٌ:رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ،حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَلَ،فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ فِي خَيْمَةِ اللهِ تَحْتَ عَرْشِهِ،لَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِدَرَجَةِ النُّبُوَّةِ،وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا،جَاهَدَ بِنَفْسِهِ،وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ،حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى يُقْتَلَ،فَمَصْمَصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبُهُ وَخَطَايَاهُ،إِنَّ السَّيْفَ مَحَّاءُ الْخَطَايَا،وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ،فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ،وَلِجَهَنَّمَ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ،وَبَعْضُهَا أَسْفَلُ مِنْ بَعْضٍ،وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ،حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ حَتَّى يُقْتَلَ،فَإِنَّ ذَلِكَ فِي النَّارِ،السَّيْفُ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ " أحمد [75]

٩- التحذير من ترك الغزو في سبيل الله:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:«مَنْ لَمْ يَغْزُ،أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا،أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».الدارمي [76]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ،وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ،مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ» مسلم [77]

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

---

[75] - مسند أحمد ط الرسالة (٢٩/ ٢٠٣)(١٧٦٥٧) حسن

[76] - سنن الدارمي (٣/ ١٥٦٨)(٢٤٦٢) حسن

[77] - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٧)١٥٨ - (١٩١٠)

[ش (فنرى) بضم النون أي نظن وهذا الذي قاله ابن المبارك محتمل وقد قال غيره إنه عام والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق]

المبحث الثاني

عقبات أمام هذا الطريق

لكن هذا الطريق طويل ومحفوف بالمطبات والحواجز التي قد تصرف سالك طريق الجنة أن يبتعد عنه،قليلا أو كثيرا فمنها:

حب الشهوات:

قال تعالى:{ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِنـــدَهُ حُسْـــنُ الْمَآبِ} (١٤) سورة آل عمران

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَطَرَ النَّاسَ عَلَى حُبِّ الشَّهَوات فِي هَذِه الحَيَاةِ الدُّنْيَا،مِنْ أَنْواعِ المَلَذَّاتِ مِنَ النِّساءِ وَالبَنِينَ،وَالأَمْوَالِ وَالخَيْلِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ،وَهِيَ زَهْرَةُ الحَيَاةِ الدُّنيا الفَانِيَةِ،وَزِينَتُها الزَّائِلَةُ،وَهِيَ لاَ تُقَاسُ بِمَا ادَّخَرَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ المُؤْمِنينَ الصَّالِحِينَ فِي الآخِرَةِ،وَعِنْدَ اللهِ حُسْـــنُ المَرْجعِ،وَعِنْدَهُ حُسْنُ الثَّواب .[78]

ومنها حب المال والأولاد:

قال تعالى:{ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلَّا مَـــنْ آمَـــنَ وَعَمِـــلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاء الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} (٣٧) سورة سبأ

إِنَّ اَمْوَالَكُمُ التِي تُفَاخِرُونَ النَّاسَ بِها،وَأَوْلادَكُم الذينَ تَسْتَكْبِرُونَ بِهِـــمْ عَلَـــى النَّـــاسِ،لا تُقَرِّبُكُمْ مِنَ اللهِ،وَلَيسَتْ دَليلاً عَلَى عِنَايَتِه بِكُمْ،وَاللهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً جَزَاءَ عَمَلِه فَيَجْزِيهِ بِالحَسَنَةِ عَشَرَةَ أَمْثَالِها إِلى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ،وَيُدْخِلُهُ الجَنَّةَ،وَيَجْعَلُ مَسْكَنَهُ فِي غُرُفَاتِها العَالِيَةِ،وَهُوَ آمِنٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ وَشَرٍّ وَهَوْلٍ .[79]

ومنها إيثار الحياة الدنيا على الآخرة:

---

[78] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٠٨، بترقيم الشاملة آليا)

[79] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٥٢٤، بترقيم الشاملة آليا)

قال تعالى:{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ اتَّقَواْ فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ } (٢١٢) سورة البقرة

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ زَيَّنَ الحَيَاةَ الدُّنيا،وَحَسَّنَها فِي أَعْيُنِ الكَافِرينَ الذينَ رَضُوا بِهَا،وَجَمَعُوا الأَمْوالَ،وَمَنَعُوا إِنْفَاقَهَا فِيمَا أَمَرَ اللهُ،وَسَخِرُوا مِنَ الذينَ آمَنُوا،الذينَ أَعْرَضُوا عَـنِ الحَيَـاةِ الدُّنيا وَزُخْرُفِهَا،وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللهُ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ رَبِّهِمْ،فَفَـازُوا بِالمَقَـامِ الأَوَّلِ يَـوْمَ القِيَامَةِ،فَكَانُوا بِذلِكَ فَوْقَ الذينَ كَفَرُوا يَوْمَ القِيَامَةِ .وَيُعْطِي اللهُ مَنْ يُرِيدُ مِنْ خَلْقِهِ عَطَـاءً جَزِيلاً بِلا حَصْرٍ وَلا تَعْدَادٍ فِي الدُّنيا،لأَنَّ الرِزْقَ لاَ يُقَدَّرُ عَلَى حِسَابِ الإِيمَانِ وَالكُفْرِ،بَـلْ يَجْرِي تَبَعاً لِمَشِيئَةِ اللهِ،فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُزَادُ لَهُ الرِّزْقَ اسْتِدْراجاً،وَمِنْهُمْ مَنْ يُقْتَرِ عَليهِ اخْتِبَاراً .[80]

ومنها أن الجنة حفت بالمكاره:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ:«حُفَّـتِ النَّـارُ بِالشَّـهَوَاتِ،وَحُفَّتِ الْجَنَّـةُ بِالْمَكَارِهِ».[81]،وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ،وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ»[82]

ومنها أن الشياطين تحاول إبعادهم عن الطريق الصحيح

فعَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:" أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ،مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا،كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُـهُ عَبْـدًا حَلَـالٌ،وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ،وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُـلْطَانًا،وَإِنَّ اللهَ نَظَـرَ إِلَـى أَهْـلِ الْأَرْضِ،فَمَقَتَهُمْ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ،إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ،وَقَالَ:إِنَّمَا بَعَثْتُـكَ لِأَبْتَلِيَـكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ،وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ،تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَـانَ،وَإِنَّ اللهَ أَمَرَنِـي أَنْ

80 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢١٩، بترقيم الشاملة آليا)

81 – صحيح ابن حبان – مخرجا (٢/ ٤٩٤)(٧١٩) صحيح وهو في الصحيح بنحوه

82 – صحيح البخاري (٨/ ١٠٢)(٦٤٨٧)

[(حجبت) غطيت.(بالشهوات) الملذات التي منع الشرع من تعاطيها أو التي قد تؤدي إلى ترك الواجبات أو الوقوع في المحرمات.(بالمكاره) المشاق التي تستلزمها الطاعات وترك المحرمات.قال في الفتح وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليـه وسلم وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها]

أُحَرِّقَ قُرَيْشًا،فَقُلْتُ:رَبِّ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً،قَالَ:اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ،وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ،وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ،وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ،وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ،قَالَ:وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ،وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ،وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ،قَالَ:وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ:الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ،الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَبْتَغُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا،وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ،وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ،وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ «وَذَكَرَ» الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ وَالشِّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ "[٨٣]

وبما أنه محفوف بالمكاره والشهوات والشبهات فهو مخيف،فلا بد أن يستعين العبد بربه ويلجأ إليه دائما حتى لا يسقط على الطريق قبل نهايته

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

---

[83] – صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٧)٦٣ - (٢٨٦٥)

[ش (كل مال نحلته عبدا حلال) في الكلام حذف أي قال الله تعالى كل مال الخ ومعنى نحلته أعطيته أي كل مال أعطيته عبدا من عبادي فهو له حلال والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك وأنها لم تصر حراما بتحريمهم وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق (حنفاء كلهم) أي مسلمين وقيل طاهرين من المعاصي وقيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية (فاجتالتهم) هكذا هو في نسخ بلادنا فاجتالتهم وكذا نقله القاضي عن رواية الأكثرين أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل وقال شمر اجتال الرجل الشيء ذهب به واجتال أموالهم ساقها وذهب بها (فمقتهم) المقت أشد البغض والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم (إلا بقايا من أهل الكتاب) المراد بهم الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل (إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك) معناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده والصبر في الله تعالى وغير ذلك وأبتلي بك من أرسلتك إليهم فمنهم من يظهر إيمانه ويخلص في طاعته ومن يتخلف وينابذ بالعداوة والكفر ومن ينافق (كتابا لا يغسله الماء) معناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على ممر الزمان (إذا يثلغوا رأسي) أي يشدخوه ويشجوه كما يشدخ الخبز أي يكسر (نغزك) أي نعينك (لا زبر له) أي لا عقل له يزبره ويمنعه مما لا ينبغي وقيل هو الذي لا مال له وقيل الذي ليس عنده ما يعتمده (لا يتبعون) مخفف ومشدد من الاتباع أي يتبعون ويتبعون وفي بعض النسخ يبتغون أي يطلبون (والخائن الذي لا يخفى له طمع) معنى لا يخفى لا يظهر قال أهل اللغة يقال خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيته إذا سترته وكتمته هذا هو المشهور وقيل هما لغتان فيهما جميعا (وذكر البخل أو الكذب) هكذا هو في أكثر النسخ أو الكذب وفي بعضها والكذب والأول هو المشهور في نسخ بلادنا (الشنظير) فسره في الحديث بأنه الفحاش وهو السيئ الخلق]

المبحث الثالث

أنواع الشهادة في سبيل الله

وهذا الطريق على نوعين:

النوع الأول – الصدع بالحق ولو أدى إلى قتله في سبيل الله:

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»[84]

بل هذا أفضل الجهاد في سبيل الله،فعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ،أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ».[85]

وهناك نماذج عديدة في القرآن والسنة لهذه الصورة:

النموذج الأول – سحرة فرعون:

فهاهم سحرة فرعون لما أيقنوا أن موسى عليه السلام على حق آمنوا برسالته وصدعوا بالحق فقتلهم فرعون وصلبهم،فكانت لهم الجنة فهنيئا لهم .

قال تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَانقَلَبُواْ صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) قَالُواْ آمَنَّا بِرِبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَن آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلاَفٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُواْ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)} سورة الأعراف

وقال تعالى:{ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٣) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٤) فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٥)

---

[84] – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢١٥)(٤٨٨٤) والمعجم الأوسط (١/ ٢٨١)(٩١٨) صحيح لغيره

[85] – السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٩٣)(٧٧٨٦) صحيح

فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٦) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (٤٨) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٤٩) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (٥٠) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥١) } [الشعراء]

النموذج الثاني– ماشطة بنت فرعون:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مَرَّ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ،فَقَالَ:«يَا جِبْرِيلُ مَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ » قَالَ:هَذِهِ رِيحُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا،بَيْنَمَا هِيَ تَمْشُطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ،إِذْ سَقَطَ الْمِدْرَى مِنْ يَدِهَا،فَقَالَتْ:بِسْمِ اللَّهِ،فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ:أَبِي،قَالَتْ:بَلْ،رَبِّي وَرَبُّكِ اللَّهُ،قَالَتْ:وَإِنَّ لَكِ رَبًّا غَيْرَ أَبِي؟قَالَتْ:نَعَمْ،اللَّهُ،قَالَتْ:فَأُخْبِرُ بِذَلِكَ أَبِي،قَالَتْ:نَعَمْ،فَأَخْبَرَتْهُ،فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَقَالَ:أَلَكِ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَتْ:نَعَمْ،رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ،فَأَمَرَ بِنُقْرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ،فَأُحْمِيَتْ،فَقَالَتْ لَهُ:إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَجَعَلَ يُلْقِي وَلَدَهَا وَاحِدًا وَاحِدًا،حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى وَلَدٍ لَهَا رَضِيعٍ،فَقَالَ:يَا أُمَّتَاهُ اثْبُتِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ"[86]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي أُسْرِيَ بِي فِيهَا وَجَدْتُ رَائِحَةً طَيِّبَةً فَقُلْتُ:مَا هَذِهِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ:هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَةِ بِنْتِ فِرْعَوْنَ وَأَوْلَادِهَا فَقُلْتُ:مَا شَأْنُهَا؟ قَالَ:بَيْنَا هِيَ تَمْشُطُ بِنْتَ فِرْعَوْنَ إِذْ سَقَطَ الْمُشْطُ مِنْ يَدِهَا فَقَالَتْ:بِسْمِ اللهِ،فَقَالَتْ بِنْتُ فِرْعَوْنَ:أَبِي فَقَالَتْ:لَا وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبُّكِ وَرَبُّ أَبِيكِ اللهُ،قَالَتْ:وَإِنَّ لَك رَبًّا غَيْرَ أَبِي؟ قَالَتْ:نَعَمْ،قَالَتْ:نَعَمْ،قَالَتْ:فَأُعْلِمُهُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ:نَعَمْ،فَأَعْلَمَتْهُ فَدَعَا بِهَا،فَقَالَ:يَا فُلَانَةُ،أَلَك رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَتْ:نَعَمْ،رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ،فَأَمَرَ بِبَقَرَةٍ مِنْ نُحَاسٍ فَأُحْمِيَتْ،ثُمَّ أَخَذَ أَوْلَادُهَا يُلْقُونَ فِيهَا وَاحِدًا وَاحِدًا،فَقَالَتْ:إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً،قَالَ:وَمَا هِيَ؟،قَالَتْ:أُحِبُّ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامِي وَعِظَامَ وَلَدِي فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ فَتَدْفِنَّا جَمِيعًا،قَالَ:وَذَلِكَ لَك عَلَيْنَا فَلَمْ يَزَلْ أَوْلَادُهَا يُلْقُونَ فِي الْبَقَرَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلَى ابْنٍ لَهَا رَضِيعٍ فَكَأَنَّهَا تَقَاعَسَتْ مِنْ أَجْلِهِ فَقَالَ لَهَا:يَا أُمَّهْ،اقْتَحِمِي،فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ

86 – صحيح ابن حبان – مخرجا (٧/ ١٦٣)(٢٩٠٣) صحيح

عَذَابِ الْآخِرَةِ ".قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:فَتَكَلَّمَ أَرْبَعَةٌ صِغَارٌ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ،وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ،وَشَاهِدُ يُوسُفَ،وَابْنُ مَاشِطَةِ فِرْعَوْنَ."[87]

النموذج الثالث- مؤمن آل ياسين،فقد صدع بالحق فهنيئا له:

قال تعالى:{وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} سورة يس

النموذج الرابع- في قصة أصحاب الأخدود:

عَنْ صُهَيْبٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ،فَلَمَّا كَبِرَ،قَالَ لِلْمَلِكِ:إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ،فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ،فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ،فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ،إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ،فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ،فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ،فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ،فَقَالَ:إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ،فَقُلْ:حَبَسَنِي أَهْلِي،وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ:حَبَسَنِي السَّاحِرُ،فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ،فَقَالَ:الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا،فَقَالَ:اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ،حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ،فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا،وَمَضَى النَّاسُ،فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ،فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ:أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي،قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى،وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى،فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ،وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ،وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ،فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ،فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ،فَقَالَ:مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ،إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي،فَقَالَ:إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ،فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ،فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ،فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ،فَقَالَ لَهُ

---

87 -المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٤٥٠)(١٢٢٧٩) صحيح

الْمَلكُ:مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ:رَبِّي،قَالَ:وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ:رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ،فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ،فَجِيءَ بِالْغُلَامِ،فَقَالَ لَهُ الْمَلكُ:أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ،وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ،فَقَالَ:إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا،إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ،فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ،فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ،فَقِيلَ لَهُ:ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،فَأَبَى،فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ،فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ،فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ،ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ:ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ،فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ،ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ،فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،فَقَالَ:اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا،فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ،فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ،فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ،وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ،فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ،فَقَالَ:اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ،فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا،وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ،فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ:كَفَانِيهِمُ اللَّهُ،فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ،فَقَالَ:اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ،فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ،فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ،فَذَهَبُوا بِهِ،فَقَالَ:اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ،فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا،وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ،فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ:مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ:كَفَانِيهِمُ اللَّهُ،فَقَالَ لِلْمَلِكِ:إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ،قَالَ:وَمَا هُوَ؟ قَالَ:تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ،ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي،ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ،ثُمَّ قُلْ:بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ،ثُمَّ ارْمِنِي،فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي،فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ،وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ،ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ،ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ،ثُمَّ قَالَ:بِاسْمِ اللهِ،رَبِّ الْغُلَامِ،ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ،فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ،فَقَالَ النَّاسُ:آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ،آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ،آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ،فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ:أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ،قَدْ آمَنَ النَّاسُ،فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ،فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ،وَقَالَ:مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا،أَوْ قِيلَ لَهُ:اقْتَحِمْ،فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا،فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ:يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ "[88]

[88] – صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٩)٧٣ – (٣٠٠٥) [ش (الأكمه) الذي خلق أعمى (بالمئشار) مهموز في رواية

النموذج الخامس– عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ:لَمَّا أَنْشَأَ النَّاسُ الْحَجَّ سَنَةَ تِسْعٍ قَدِمَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مُسْلِمًا فاسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلوكَ»،فقَالَ:لَو وَجَدُونِي نَائمًا مَا أَيْقَظُونِي،فَأَذِنَ لَه رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ مُسْلِمًا فَقَدَّمَ عَشَاءً فَجَاءَتْهُ ثَقِيفٌ يُحَيُّونَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَاتَّهَمُوهُ وَأَغْضَبُوهُ وَأَسْمَعُوهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَحْتَسِبُ،ثُمّ خَرَجُوا مِن عِنْدِهِ حَتَّى إِذَا اسَّحَّرُوا وَطَلَعَ الْفَجْرُ قَامَ عَلَى غُرْفَةٍ فِي دَارِهِ فَأَذَّنَ بِالصَّلَاةِ وَتَشَهَّدَ،فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِن ثَقِيفٍ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَثَلُ عُرْوَةَ مَثَلُ صَاحِبِ يَاسِينَ دَعَا قَوْمَهُ إِلَى اللهِ فَقَتَلُوهُ»[89]

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ زَيْدِ بْنِ جُدْعَانَ،أَنَّ عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ،قَالَ لِقَوْمِهِ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَةِ:أَيْ قَوْمِ،إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ وَكَلَّمْتُهُمْ،فَابْعَثُونِي إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ،فَأَتَاهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ،فَجَعَلَ عُرْوَةُ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ وَيَتَنَاوَلُ لِحْيَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ شَاكٍ فِي السِّلَاحِ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ لَهُ الْمُغِيرَةُ:كُفَّ يَدَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ لَا تَصِلَ إِلَيْكَ،فَرَفَعَ عُرْوَةُ رَأْسَهُ،فَقَالَ:أَنْتَ هُوَ وَاللَّهِ،إِنَّكَ لَفِي غَدْرَتِكَ مَا خَرَجْتَ مِنْهَا بَعْدُ،فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى قَوْمِهِ،فَقَالَ:أَيْ قَوْمِ،إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الْمُلُوكَ وَكَلَّمْتُهُمْ،مَا رَأَيْتُ مِثْلَ مُحَمَّدٍ قَطُّ مَا هُوَ بِمَلِكٍ،وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْهَدْيَ مَعْكُوفًا يَأْكُلُ وَبَرَهُ،وَمَا أَرَاكُمْ إِلَّا سَتُصِيبُكُمْ قَارِعَةٌ،فَانْصَرَفَ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ،فَصَعِدَ سُوَرَ الطَّائِفِ،فَشَهِدَ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ

الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى المنشار بالنون وهما لغتان صحيحتان (ذروته) ذروة الجبل أعلاه وهي بضم الذال وكسرها (فرجف بهم الجبل) أي اضطرب وتحرك حركة شديدة (قرقور) القرقور السفينة الصغيرة وقيل الكبيرة واختار القاضي الصغيرة بعد حكايته خلافا كثيرا (فانكفأت بهم السفينة) أي انقلبت (صعيد) الصعيد هنا الأرض البارزة (كبد القوس) مقبضها عند الرمي (نزل بك حذرك) أي ما كنت تحذر وتخاف (بالأخدود) الأخدود هو الشق العظيم في الأرض وجمعه أخاديد (أفواه السكك) أي أبواب الطرق (فأحموه فيها) هكذا هو في عامة النسخ فأحموه بهمزة قطع بعدها حاء ساكنة ونقل القاضي اتفاق النسخ على هذا ووقع في بعض نسخ بلادنا فأقحموه بالقاف وهذا ظاهر ومعناه اطرحوه فيها كرها ومعنى الرواية الأولى ارموه فيها من قولهم أحميت الحديدة وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى (فتقاعست) أي توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار]

89 – المعجم الكبير للطبراني (١٧/ ١٤٧)(٣٧٤ و٣٧٥) صحيح لغيره

اللَّهِ،فَرَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ بِسَهْمٍ،فَقَتَلَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَ صَاحِبِ يَاسِينَ»[٩٠]

النوع الثاني – الشهادة في سبيل الله أثناء القتال:

وهو الذي عنته الآيات الأولى التي ذكرناها

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قِيلَ – يَعْنِي – لِلنَّبِيِّ ﷺ:فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ:«مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ،وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»[٩١]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشِيٍّ قَالَ:قِيلَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَيُّ الْقَتْلِ أَشْرَفُ؟ قَالَ:«مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ،وَأُهْرِيقَ دَمُهُ»[٩٢]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«إِنَّ أَشْرَفَ الْقَتْلِ أَنْ تُقْتَلَ ثُمَّ تُقْتَلَ دَابَّتُكَ»[٩٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«مَنْ أُهْرِيقَ دَمُهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ»[٩٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:«مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ،رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ،يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ،كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً،أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ،يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ،أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هَذِهِ الشَّعَفِ،أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِنْ هَذِهِ الْأَوْدِيَةِ،يُقِيمُ الصَّلَاةَ،وَيُؤْتِي الزَّكَاةَ،وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْيَقِينُ،لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ»[٩٥]

---

90 – مسند أبي يعلى الموصلي (٣/ ١٧٣)(١٥٩٨) حسن لغيره

91 – الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٣)(٢٣٢) صحيح

92 – الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٥)(٢٣٤) صحيح لغيره

93 – الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٤)(٢٣٣) حسن

94 – الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٢)(٢٣١) حسن لغيره

95 – صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٣)١٢٥ – (١٨٨٩)

[ش (معاش الناس) المعاش هو العيش وهو الحياة وتقديره والله أعلم من خير أحوال عيشهم رجل ممسك(ممسك عنان فرسه) أي متأهب ومنتظر وواقف بنفسه على الجهاد في سبيل الله (يطير على متنه) أي يسرع جدا على ظهره حتى كأنه

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ،فَقَالَ:«يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ،لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ»،فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ،وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ،قَالَ:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِي أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ،- يَعْنِي المُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ»،فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ،فَقَالَ:«يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ،الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»،قَالَ سَعْدٌ:فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ،قَالَ أَنَسٌ:فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ،أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ،فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ:" كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ:{مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب:٢٣] إِلَى آخِرِ الآيَةِ ".[٩٦]

وعَنْ شَدَّادِ بْنِ الْهَادِ،أَنَّ رَجُلًا،مِنَ الْأَعْرَابِ جَاءَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ ثُمَّ قَالَ:أُهَاجِرُ مَعَكَ فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ،فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ،غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا «فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ» فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ،وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ فَقَالَ:مَا هَذَا؟ قَالُوا:قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ،فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ:مَا هَذَا فَقَالَ:«قَسَمْتُهُ لَكَ» قَالَ:مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ،وَلَكِنِ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى هَاهُنَا وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ،فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الْجَنَّةَ قَالَ:«إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ فَلَبِثُوا قَلِيلًا» ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ الْعَدُوِّ فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«أَهُوَ هُوَ» فَقَالُوا نَعَمْ قَالَ:«صَدَقَ اللهَ فَصَدَّقَهُ» ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ،ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيْهِ

يطير(هيعة) الصوت عند حضور العدو(أو فزعة) النهوض إلى العدو(يبتغي القتل والموت مظانه) يعني يطلبه من مواطنه التي يرجى فيها لشدة رغبته في الشهادة(غنيمة) تصغير غنم أي قطعة منها(شعفة) أعلى الجبل]

[96] – صحيح البخاري (٤/ ١٩)(٢٨٠٥) [(انكشف المسلمون) انهزموا.(الجنة) أريد الجنة وهي مطلوبي.(أجد) أشم.(من دون أحد) عند أحد ويحتمل أنه وجد ريحها حقيقة كرامة له ويحتمل أنه أراد أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها.(بضعا) من الثلاث إلى تسع.(بنانه) أصابعه أو أطراف أصابعه]

فَكَانَ مِمَّا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ «اللهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَيْهِ»[97]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ،قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ،وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَأَمَّا الأَثَرَانِ:فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ "[98]

وعَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«لَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْمَدَرِ وَالْوَبَرِ»[99]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مَسَّ الْقَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مَسَّ الْقَرْصَةِ»[100]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ حُبْشِيٍّ الْخَثْعَمِيِّ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ:أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«إِيمَانٌ لَا شَكَّ فِيهِ،وَجِهَادٌ لَا غُلُولَ فِيهِ،وَحَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ» قِيلَ:فَأَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«طُولُ الْقُنُوتِ» قِيلَ:فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«جُهْدُ الْمُقِلِّ» قِيلَ:فَأَيُّ الْهِجْرَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ» قِيلَ:فَأَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«مَنْ جَاهَدَ الْمُشْرِكِينَ بِمَالِهِ وَنَفْسِهِ» قِيلَ:فَأَيُّ الْقَتْلِ أَشْرَفُ؟ قَالَ:«مَنْ أُهَرِيقَ دَمُهُ وَعُقِرَ جَوَادُهُ»[101]

وعَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبِي،يَقُولُ وَهُوَ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ أَوْ بِحَضْرَةِ الْعَدُوِّ:قَالَ النَّبِيُّ - ﷺ-:إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ،فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الْهَيْئَةِ،فَقَالَ:يَا أَبَا مُوسَى أَنْتَ سَمِعْتَ النَّبِيَّ - ﷺ- يَقُولُهُ؟ قَالَ:نَعَمْ،قَالَ:فَجَاءَ إِلَى أَصْحَابِهِ،فَقَالَ:أَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ،ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ سَيْفِهِ،فَأَلْقَاهُ،ثُمَّ مَضَى بِسَيْفِهِ قُدُمًا،فَضَرَبَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ.[102]

---

97 - السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٣٣)(٢٠٩١) صحيح

98 - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٩٠)(١٦٦٩) حسن

99 - مسند الشاميين للطبراني (٢/ ١٧٩)(١١٤٦) صحيح لغيره

100 - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٠/ ٥١٢)(٤٦٥٥) صحيح

101 - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٧)(٢٣١٧) صحيح

102 - صحيح مسلم- المكنز - (٥٠٢٥) وسنن الترمذى- المكنز - (١٧٦٠) صحيح ابن حبان - (١٠/ ٤٧٨) (٤٦١٧) ...

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك،قَالَ:بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بُسَيْسَةَ عَيْنًا يَنْظُرُ مَا صَنَعَتْ عِيرُ أَبِي سُفْيَانَ،فَجَاءَ وَمَا فِي الْبَيْت أَحَدٌ غَيْرِي،وَغَيْرُ رَسُول الله ﷺ،قَالَ:لَا أَدْرِي مَا اسْتَثْنَى بَعْضَ نسَائه،قَالَ:فَحَدَّثَهُ الْحَديثَ،قَالَ:فَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَتَكَلَّمَ،فَقَالَ:«إِنَّ لَنَا طَلبَةً،فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا»،فَجَعَلَ رِجَالٌ يَسْتَأْذنُونَهُ فِي ظُهْرَانِهِمْ فِي عُلْوِ الْمَدِينَة،فَقَالَ:«لَا،إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»،فَانْطَلَقَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى سَبَقُوا الْمُشْرِكِينَ إِلَى بَدْرٍ،وَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ،فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَى شَيْءٍ حَتَّى أَكُونَ أَنَا دُونَهُ»،فَدَنَا الْمُشْرِكُونَ،فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«قُومُوا إِلَى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ»،قَالَ:- يَقُولُ عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ:- يَا رَسُولَ الله،جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قَالَ:بَخٍ بَخٍ،فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ:لَا وَالله يَا رَسُولَ الله،إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلهَا،قَالَ:«فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلهَا»،فَأَخْرَجَ تَمَرَات منْ قَرَنه،فَجَعَلَ يَأْكُلُ منْهُنَّ،ثُمَّ قَالَ:لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذه إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ،قَالَ:فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ منَ التَّمْرِ،ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتلَ"[103]

ومثل هذا النموذج كثير بحمد الله تعالى في هذه الأمة الخاتمة

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

[ش (بحضرة) هو بفتح الحاء وضمها وكسرها ثلاث لغات ويقال أيضا بحضر(تحت ظلال السيوف) قال العلماء معناه أن الجهاد وحضور معركة القتال طريق إلى الجنة وسبب لدخولها(جفن سيفه) هو غمده]

103 - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٠)١٤٥ - (١٩٠١) [ش (بسيسة) قال القاضي هكذا هو في جميع النسخ قال والمعروف في كتب السيرة بسبس بن عمرو ويقال ابن بشر من الأنصار من الخزرج ويقال حليف لهم قلت (أي الإمام النووي) يجوز أن يكون أحد اللفظين اسما له والآخر لقبا (عينا) أي متجسسا ورقيبا (عير أبي سفيان) هي الدواب التي تحمل الطعام وغيره قال في المشارق العير هي الإبل والدواب تحمل الطعام وغيره من التجارات قال ولا تسمى عيرا إلا إذا كانت كذلك وقال الجوهري في الصحاح العير الإبل تحمل الميرة جمعها عيرات (طلبة) أي شيئا نطلبه(ظهره) الظهر الدواب التي تركب (ظهرانهم) أي مركوباتهم (حتى أكون أنا دونه) أي قدامه متقدما في ذلك الشيء لئلا يفوت شيء من المصالح التي لا تعلمونها (بخ بخ) فيه لغتان إسكان الخاء وكسرها منونا وهي كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير (إلا رجاءة) هكذا هو في أكثر النسخ المعتمدة رجاءة بالمد زنصب التاء وفي بعضها رجاء بلا تنوين وفي بعضها بالتنوين وكله صحيح معروف في اللغة ومعناه والله ما فعلته لشيء إلا رجاء أن أكون من أهلها (قرنه) أي جعبة النشاب]

المبحث الرابع

عوائق في طريق الجهاد في سبيل الله

النفس بطبيعتها تكره القتال،لأن فيه إزهاق الأرواح،وهي تتعلق بهذه الدنيا ومتاعها الزائل،وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن الكريم،{كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢١٦]

كَمَا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى بالإنْفَاقِ عَلَى اليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ لحمَايَةِ الْمُجْتَمَعِ مِنْ دَاخِلِه،كَذلكَ فَرَضَ اللهُ الجِهَادَ عَلَى الْمُسْلمينَ،وَمُحَارَبَةِ أَعْدَاءِ الدِّينِ،ليَكُفُّوا عَنْ الجَمَاعَةِ الْمُسْلِمَةِ شَرَّ أَعْدَائِها.وَالجِهَادُ فَرْضُ كِفَايَةٍ إذَا قَامَ بِهِ بَعْضُ الأُمَّةِ سَقَطَ عَنِ البَاقِينَ،وَالجِهَادُ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ غَزا أَوْ قَعَدَ،فَالقَاعِدُ عَلَيهِ أَنْ يُعِينَ إذا اسْتَعَانَ بِهِ النَّاسُ،وَأَنْ يُغيثَ إِذَا اسْتَغَاثُوا بِهِ،وَأَنْ يَنْفِرَ إذا اسْتُنْفِرَ .

وَيَذْكُرُ اللهُ تَعَالَى:أَنَّ الجِهَادَ فِيهِ كُرْهٌ وَمَشَقَّةٌ عَلَى الأَنْفُسِ،مِنْ تَحَمُّلِ مَشَقَّةِ السَّفَرِ،إِلَى مَخَاطِرِ الحُرُوبِ وَمَا فِيهَا مِنَ جَرْحٍ وَقَتْلٍ وَأَسْرٍ،وَتَرْكٍ للْعِيَالِ،وَتَرْكٍ للتِّجَارَةِ وَالصَّنْعَةِ وَالعَمَلِ..إلخ،وَلكِنْ قَدْ يَكُونُ فِيهِ الخَيْرُ لأَنَّهُ قَدْ يَعْقُبُهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ بالأَعْدَاءِ،وَالاستيلاءُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَبِلاَدِهِمْ.وَقَدْ يُحِبُّ المَرْءُ شَيئاً وَهُوَ شَرٌّ لَهُ،وَمِنْهُ القُعُودُ عَنِ الجِهَادِ،فَقَدْ يَعْقُبُهُ استيلاءُ الأَعْدَاءِ عَلَى البِلادِ وَالحُكْمِ،وَاللهُ يَعْلَمُ عَوَاقِبَ الأُمُورِ أَكْثَرَ مِمَّا يَعْلَمُها العِبَادُ .[١٠٤]

إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة.ولكنها فريضة واجبة الأداء.واجبة الأداء لأن فيها خيرا كثيرا للفرد المسلم،وللجماعة المسلمة،وللبشرية كلها.وللحق والخير والصلاح.

والإسلام يحسب حساب الفطرة فلا ينكر مشقة هذه الفريضة،ولا يهون من أمرها.ولا ينكر على النفس البشرية إحساسها الفطري بكراهيتها وثقلها.فالإسلام لا يماري في الفطرة،ولا يصادمها،ولا يحرم عليها المشاعر الفطرية التي ليس إلى إنكارها من سبيل ..ولكنه يعالج الأمر من جانب آخر،ويسلط عليه نورا جديدا إنه يقرر أن من الفرائض ما

104 -أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٢٣، بترقيم الشاملة آليا)

هو شاق مرير كريه المذاق ولكن وراءه حكمة تهون مشقته،وتسيغ مرارته،وتحقق به خيرا مخبوءا قد لا يراه النظر الإنساني القصير ..عندئذ يفتح للنفس البشرية نافذة جديدة تطل منها على الأمر ويكشف لها عن زاوية أخرى غير التي تراه منها.نافذة تهب منها ريح رخية عندما تحيط الكروب بالنفس وتشق عليها الأمور ..إنه من يدري فلعل وراء المكروه خيرا.ووراء المحبوب شرا.إن العليم بالغايات البعيدة،المطلع على العواقب المستورة،هو الذي يعلم وحده.حيث لا يعلم الناس شيئا من الحقيقة.

وعندما تنسم تلك النسمة الرخية على النفس البشرية تهون المشقة،وتتفتح منافذ الرجاء،ويستروح القلب في الهاجرة،ويجنح إلى الطاعة والأداء في يقين وفي رضاء.

هكذا يواجه الإسلام الفطرة،لا منكرا عليها ما يطوف من المشاعر الطبيعية،ولا مريدا لها على الأمر الصعب بمجرد التكليف.ولكن مربيا لها على الطاعة،ومفسحا لها في الرجاء.لتبذل الذي هو أدنى في سبيل الذي هو خير ولترتفع على ذاتها متطوعة لا مجبرة،ولتحس بالعطف الإلهي الذي يعرف مواضع ضعفها،ويعترف بمشقة ما كتب عليها،ويعذرها ويقدرها ويحدو لها بالتسامي والتطلع والرجاء.

وهكذا يربي الإسلام الفطرة،فلا تمل التكليف،ولا تجزع عند الصدمة الأولى،ولا تخور عند المشقة البادية،ولا تخجل وتتهاوى عند انكشاف ضعفها أمام الشدة.ولكن تثبت وهي تعلم أن الله يعذرها ويمدها بعونه ويقويها.وتصمم على المضي في وجه المحنة،فقد يكمن فيها الخير بعد الضر،واليسر بعد العسر،والراحة الكبرى بعد الضنى والعناء.ولا تتهالك على ما تحب وتلتذ.فقد تكون الحسرة كامنة وراء المتعة! وقد يكون المكروه مختبئا خلف المحبوب.وقد يكون الهلاك متربصا وراء المطمع البراق.

إنه منهج في التربية عجيب.منهج عميق بسيط.منهج يعرف طريقه إلى مسارب النفس الإنسانية وحناياها ودروبها الكثيرة.بالحق وبالصدق.لا بالإيحاء الكاذب،والتمويه الخادع ..فهو حق أن تكره النفس الإنسانية القاصرة الضعيفة أمرا ويكون فيه الخير كل الخير.وهو حق كذلك أن تحب النفس أمرا وتتهالك عليه.وفيه الشر كل الشر.وهو الحق كل الحق أن الله يعلم والناس لا يعلمون! وماذا يعلم الناس من أمر العواقب؟ وماذا يعلم الناس مما وراء

الستر المسدل؟ وماذا يعلم الناس من الحقائق التي لا تخضع للهوى والجهل والقصـــور؟! إن هذه اللمسة الربانية للقلب البشري لتفتح أمامه عالما آخر غير العالم المحدود الذي تبصــره عيناه.وتبرز أمامه عوامل أخرى تعمل في صميم الكون،وتقلب الأمور،وترتب العواقــب على غير ما كان يظنه ويتمناه.

وإنها لتتركه حين يستجيب لها طيعا في يد القدر،يعمل ويرجو ويطمع ويخاف،ولكن يــرد الأمر كله لليد الحكيمة والعلم الشامل،وهو راض قرير ..إنه الدخول في السلم من بابــه الواسع ..فما تستشعر النفس حقيقة السلام إلا حين تستيقن أن الخيرة فيما اختاره الله.وأن الخير في طاعة الله دون محاولة منها أن تجرب ربها وأن تطلب منه البرهـــان! إن الإذعـــان الواثق والرجاء الهادئ والسعي المطمئن ..هي أبواب السلم الذي يدعو الله عباده الـــذين آمنوا ليدخلوا فيه كافة ..وهو يقودهم إليه بهذا المنهج العجيب العميق البسيط.في يسر وفي هوادة وفي رخاء.يقودهم بهذا المنهج إلى السلم حتى وهو يكلفهم فريضة القتال.فالســـلم الحقيقي هو سلم الروح والضمير حتى في ساحة القتال.

وإن هذا الإيحاء الذي يحمله ذلك النص القرآني،لا يقف عند حد القتال،فالقتال لـــيس إلا مثلا لما تكرهه النفس،ويكون من ورائه الخير ..إن هذا الإيحاء ينطلق في حيـــاة المـــؤمن كلها.ويلقي ظلاله على أحداث الحياة جميعها ..إن الإنسان لا يدري أين يكون الخير وأين يكون الشر ..لقد كان المؤمنون الـــذين خرجـــوا يـــوم بـــدر يطلبـــون عـــير قـــريش وتجارتها،ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة.لا فئة الحامية المقاتلة من قريش.ولكن الله جعل القافلة تفلت،ولقاهم المقاتلة من قريش! وكان النصـــر الذي دوّى في الجزيرة العربية ورفع راية الإسلام.فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين! وأين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم؟ والله يعلم والناس لا يعلمون! ولقد نسي فتى موسى ما كانا قد أعداه لطعامهما – وهو الحوت – فتسرب في البحر عند الصخرة.«فَلَمَّا جاوَزا قالَ لِفَتاهُ آتنا غَداءَنا لَقَدْ لَقِينا مِنْ سَـــفَرِنا هذا نَصَباً.قالَ:أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ،وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّـــيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ..قالَ:ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَـــدَّا عَلَـــى آثارِهِمـــا

قَصَصاً:فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا ..» ..وكان هذا هو الذي خرج له موسى.ولو لم يقع حادث الحوت ما ارتدا.ولفاتهما ما خرجا لأجله في الرحلة كلها! وكل إنسان – في تجاربه الخاصة – يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم.ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم.وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته ثم تبين له بعد فترة أنه كان إنقاذا من الله أن فوّت عليه هذا المطلوب في حينه.وكم من محنة تجرعها الإنسان لاهثا يكاد يتقطع لفظاعتها.ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل.

إن الإنسان لا يعلم.والله وحده يعلم.فماذا على الإنسان لو يستسلم؟ إن هذا هو المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية.لتؤمن وتسلم وتستسلم في أمر الغيب المخبوء،بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف ..[105]

هناك عوائق عديدة أهمها:

١-التعلق بالزوجة والأولاد والمتاع والتجارة:

قال تعالى:{ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ } [التوبة:٢٤]

أَمَرَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بِتَوَعُّد مَنْ آثَرَ حُبَّ القَرَابَة وَالعَشيرَة وَالأَهْلِ وَالتِّجَارَة وَالأَمْوَالِ وَالَمسَاكِنِ....عَلَى حُبِّ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالجهَادِ فِي سَبِيلِه،بأَنْ يَتَرَبَّصُوا أَمْرَ اللهِ فِيهِمْ،وَيَنْتَظِرُوا عِقَابَهُ وَنَكَالَهُ بِهِمْ،وَاللهُ تَعَالَى لا يَهْدِي الفَاسِقِينَ الخَارِجِينَ عَنْ طَاعَتِه سَوَاءَ السَّبِيلِ .[106]

وعَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ،أَنَّهُ قَالَ:جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ يَسْعَيَانِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَضَمَّهُمَا إِلَيْهِ وَقَالَ:«إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ»[107]

---

[105] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٤٦١)

[106] –أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٦٠، بترقيم الشاملة آليا)

[107] –سنن ابن ماجه (٢/ ١٢٠٩)(٣٦٦٦) صحيح

(مبخلة مجبنة) أي مظنة البخل والجبن.لأجله يبخل الإنسان ويجبن.]

ولكن على المؤمن الصادق إيثار الله والدار الآخرة على الأهل والأولاد،عن إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ سَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ،ثنا أَبِي،عَنْ أَبِيهِ قَالَ:تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ،حَتَّى مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَدَخَلْتُ حَائِطًا،فَرَأَيْتُ عَرِيشًا قَدْ رُشَّ بِالْمَاءِ،وَرَأَيْتُ زَوْجَتِي،فَقُلْتُ:مَا هَذَا بِالْإِنْصَافِ،إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي السَّمُومِ وَالْحَمِيمِ،وَأَنَا فِي الظِّلِّ وَالنَّعِيمِ،فَقُمْتُ إِلَى نَاضِحٍ فَاحْتَقَبْتُهُ،وإِلَى تُمَيْرَاتٍ فَتَزَوَّدْتُهَا،فَنَادَتْ زَوْجَتِي:إِلَى أَيْنَ يَا أَبَا خَيْثَمَةَ؟ فَخَرَجْتُ أُرِيدُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ،لَحِقَنِي عُمَيْرُ بْنُ وَهْبٍ الْجُمَحِيُّ،فَقُلْتُ:إِنَّكَ رَجُلٌ جَرِيءٌ،وَإِنِّي أَعْرِفُ حَيْثُ النَّبِيُّ ﷺ،وَإِنِّي رَجُلٌ مُذْنِبٌ،فَتَخَلَّفْ عَنِّي حَتَّى أَخْلُوَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ،فَتَخَلَّفَ عَنِّي عُمَيْرٌ،فَلَمَّا اطَّلَعْتُ عَلَى الْعَسْكَرِ،فَرَأَى النَّاسُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ»،فَجِئْتُ فَقُلْتُ:كِدْتُ أَهْلِكُ يَا رَسُولَ اللهِ،فَحَدَّثْتُهُ حَدِيثِي،فَقَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا،وَدَعَا لِي"[108]

٢–حب الدنيا وكراهية الموت (القتال في سبيل الله):

تعلق الناس بالدنيا يصرفهم عن الجهاد في سبيل الله،ولكن لا يجوز للمسلم أن يفعل ذلك،لأنه يتساوى مع الكافر في هذا الحب،وقد قال تعالى عن الكفار:{قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) } [البقرة]

وقد جاءت سنة النبي ﷺ محذرة أشد التحذير من ذلك،فعَنْ ثَوْبَانَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»،فَقَالَ قَائِلٌ:وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ:«بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ،وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ،وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ

108 –المعجم الكبير للطبراني (٦/ ٣١)(٥٤١٩) صحيح لغيره

عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ،وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»،فَقَالَ قَائِلٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ:«حُبُّ الدُّنْيَا،وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[١٠٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِثَوْبَانَ:" كَيْفَ أَنْتَ يَا ثَوْبَانُ،إِذْ تَدَاعَتْ عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ كَتَدَاعِيكُمْ عَلَى قَصْعَةِ الطَّعَامِ تُصِيبُونَ مِنْهُ؟ " قَالَ ثَوْبَانُ:بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ،أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا؟ قَالَ:" لَا،بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ،وَلَكِنْ يُلْقَى فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ " قَالُوا:وَمَا الْوَهَنُ؟ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:" حُبُّكُمُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ "[١١٠]

٣-الخوف على الزوجة والأولاد:

من المثبطات عن الجهاد في سبيل الله الخوف على الزوجة والأولاد بعده أن يضيعوا،ونسي أن الله تعالى هو الذي خلقهم،وهو الذي يرزقهم،وهو الذي يحفظهم أيضا،كما أنه من واجب الدولة الإسلامية الحفاظ عليهم،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ:بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشًا،وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ،فَقَالَ:" إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ قَبْلَ ذَلِكَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ،فَإِنْ قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ "،فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ،فَقَاتَلَ،حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ،فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ،فَقَاتَلَ،حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،فَفَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ،فَأَتَى خَبَرُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ،فَحَمِدَ اللهَ،وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:" إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ لَقُوا الْعَدُوَّ،وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ،فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ مِنْ بَعْدِهِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ " ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ لَمْ يَأْتِهِمْ،ثُمَّ أَتَاهُمْ،فَقَالَ:" لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ،ادْعُ لِي بَنِي أَخِي "،فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ،فَقَالَ:" ادْعُوا لِيَ الْحَلَّاقَ

---

109 - سنن أبي داود (٤/ ١١١)(٤٢٩٧) صحيح

تداعى: التداعي: التتابع، أي: يدعو بعضها بعضا فتجيب.=الأكلة: جمع آكل.=غثاء: الغثاء: ما يلقيه السيل.جامع الأصول في أحاديث الرسول ط مكتبة الحلواني الأولى (١٠/ ٢٨)

110 - مسند أحمد ط الرسالة (١٤/ ٣٣٢)(٨٣٧١٣) حسن

"،فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ،فَحَلَقَ رُءُوسَنَا،ثُمَّ قَالَ:" أَمَّا مُحَمَّدٌ فَيُشْبِهُ عَمِّي أَبَا طَالِبٍ،وَأَمَّا عَوْنٌ فَيُشْبِهُ خَلْقِي وَخُلُقِي "،ثُمَّ قَالَ:" اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ،وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ "،ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،فَجَاءَتْ أُمُّنَا،فَذَكَرَتْ يُتْمَنَا،فَقَالَ:" الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ؟،فَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "[111]

٤- ترك الجهاد في سبيل الله يؤدي للذل والهوان:

قال تعالى:{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ } [البقرة:١٩٥]

وعَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ قَالَ غَزَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ نُرِيدُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ،وَعَلَى الْجَمَاعَةِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ،وَالرُّومُ مُلْصِقُو ظُهُورِهِمْ بِحَائِطِ الْمَدِينَةِ،فَحَمَلَ رَجُلٌ عَلَى الْعَدُوِّ،فَقَالَ النَّاسُ:مَهْ مَهْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ،فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ:" إِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا نَصَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ،وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ قُلْنَا:هَلُمَّ نُقِيمُ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحُهَا "،فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة:١٩٥] فَالْإِلْقَاءُ بِالْأَيْدِي إِلَى التَّهْلُكَةِ أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا وَنُصْلِحَهَا وَنَدَعَ الْجِهَادَ "،قَالَ أَبُو عِمْرَانَ:«فَلَمْ يَزَلْ أَبُو أَيُّوبَ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ»[112]

وقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠) } [التوبة:٣٨ - ٤٠]

111 -شرح مشكل الآثار (١٣/ ١٦٤)(٥١٦٩) صحيح

112 -سنن أبي داود (٣/ ١٣)(٢٥١٢) صحيح

يُعَاتبُ اللهُ تَعَالَى مَنْ تَخَلَّفَ،منَ الْمُؤْمنينَ،عَنْ رَسُول الله في غَزْوَة تَبُوكَ،حينَ طَابَت الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ،وَكَانَ الْوَقْتُ حَارّاً قَائظاً،فَيَقُولُ تَعَالَى لَهُمْ:مَا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمنُونَ إذَا دُعيتُمْ إلَى الجهَاد في سَبيل الله تَكَاسَلْتُمْ وَتَبَاطَأْتُمْ،وَملْتُمْ إلَى الدَّعَة وَالإقَامَة في الظِّل وَطيب الثِّمَار؟ أَفَعَلْتُمْ ذَلكَ رضاً منْكُمْ بالْحَيَاة الدُّنْيَا بَدَلاً منَ الآخرَة؟ وَمَا قيمَةُ الحَيَاة الدُّنْيَا وَمَا مَتَاعُهَا إلاَّ قَليلٌ بالنِّسْبَة إلَى الآخرَة،إذْ يَنْتَظرُونَ الْمُؤْمنينَ رضْوانٌ منْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ،وَجَنَّاتٌ عَرْضُهَا كَعَرْض السَّمَاوَات وَالأَرْض .

وَإذَا لَمْ تَنْفرُوا مَعَ الرَّسُول ﷺ،وَلَمْ تَخْرُجُوا مَعَهُ إلَى الجهَاد فَإنَّ اللهَ سَيُعَذِّبُكُمْ عَذَاباً أَليماً في الدُّنْيَا،بزَوَال النِّعْمَة وَغَيْرهَا عَنْكُمْ،وَفي الآخرَة في نَار جَهَنَّمَ،وَلاَ يَصْعُبُ عَلَى الله أَن يَسْتَبْدلَ قَوْماً غَيْرَكُمْ بكُمْ،يَخفُّونَ لنُصْرَة نَبيِّه،وَيُجَاهدُونَ بأَمْوَالهمْ وَأَنْفُسهمْ في سَبيل الله،فَهُوَ قَادرٌ عَلَى كُلِّ شَيءٍ،وَلَيْسَ في ذَلكَ مَا يَضُرُّ اللهَ،لأَنَّهُ الغَنيُّ عَن العبَاد،وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مُحْتَاجُونَ إلَيْه .

يَا أَيُّهَا الْمُؤْمنُونَ إذَا لَمْ تَنْصُرُوا رَسُولَ الله ﷺ فَإنَّ اللهَ نَاصرُهُ وَمُؤَيِّدُهُ وَكَافيه،كَمَا تَوَلَّى نَصْرَهُ حينَ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا منْ مَكَّةَ حينَ هَاجرَ،فَخَرَجَ منْهَا هَارباً بصُحْبَة صَديقه وَصَاحبه أَبي بَكْر،فَلَجَأَ إلَى غَار في جَبَل ثَوْر ثَلاَثَةَ أَيَّام،وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ في آثَارهمَا حَتَّى وَقَفُوا ببَاب الغَار،فقَالَ لَهُ أَبُو بَكر جَزعاً:لَوْ نَظَرَ أَحَدُهُمْ مَوْضعَ قَدَمَيْه لَرَآنَا.فقَالَ لَهُ الرَّسُولُ ﷺ:مَا ظَنُّكَ باثْنَيْن اللهُ ثَالثُهُمَا؟ فَأَنْزَلَ اللهُ طُمَأْنينَتَهُ وَتَأْييدَهُ وَنَصْرَهُ عَلَى رَسُوله،وَأَيَّدَهُ بالْمَلاَئكَة تَحْفَظَهُ وَتَحْميه (بجُنُود لَمْ تَرَوْهَا)،وَجَعَلَ كَلمَةَ الشِّرْك وَأَهْلَهُ السُّفْلَى،وَجَعَلَ كَلمَةَ الإيْمَان (لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ) هيَ الْعُلْيَا،وَاللهُ عَزيزٌ في انْتقَامه وَانْتصَاره،وَهُوَ مَنيعُ الْجَانب لاَ يُضَامُ،وَهُوَ حَكيمٌ في شَرْعه وَتَدْبيره .[113]

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ:«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ،وَلَمْ يُحَدِّثْ به نَفْسَهُ،مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ منْ نفَاقٍ»[114]

---

113 -أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٧٤، بترقيم الشاملة آليا)

114 -صحيح مسلم (٣/ ١٥١٧)١٥٨ - (١٩١٠) [ش (فنرى) بضم النون أي نظن وهذا الذي قاله ابن المبارك محتمل وقد قال غيره إنه عام والمراد أن من فعل هذا فقد أشبه المنافقين المتخلفين عن الجهاد في هذا الوصف فإن ترك الجهاد أحد شعب النفاق]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا،أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[115]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ لَقِيَ اللَّهَ وَلَيْسَ لَهُ أَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،لَقِيَ اللَّهَ وَفِيهِ ثُلْمَةٌ»[116]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ؛ قَالَ:لَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَعَدَ الْمِنْبَرَ،فَنَزَلَ مِرْقَاةً مِنْ مَقْعَدِ النَّبِيِّ ﷺ،فَحَمَدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:اعْلَمُوا أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ التُّقَى،وأن أَحْمَقَ الْحُمْقِ الْفُجُورُ،وَإِنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ،وَإِنَّ أَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ،إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ،فَإِنْ أَحْسَنْتُ؛ فَأَعِينُونِي،وَإِنْ زِغْتُ؛ فَقَوِّمُونِي،وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا،وَلا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالْفَقْرِ،وَلا ظَهَرَتِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ؛ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْبَلاءِ؛ فَأَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ،فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ؛ فَلا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ،أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ"[117]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ،وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ،وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ،وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ،سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ»[118]

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

115 - سنن أبي داود (٣/ ١٠)(٢٥٠٣)حسن

116 - سنن ابن ماجه (٢/ ٩٢٣)(٢٧٦٣) ضعيف

[ش - (وليس له أثر) أي عمل بأن غزا أو جهز غازيا أو خلفه بخير(ثلمة) أي نقصان] .

117 -المجالسة وجواهر العلم (٤/ ١١٣)(١٢٩٠) صحيح

118 - سنن أبي داود (٣/ ٢٧٤)(٣٤٦٢) صحيح

المبحث الخامس

جزاء الشهيد عند الله تعالى

للشهيد عند الله تعالى جزاء عظيم وجليل وهذه خلاصته:

أولا – هو حي عند الله يرزق:

قال تعالى: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ } [البقرة:١٥٤]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ بفَضْلِ الشَّهَادَةِ وَيَقُولُ لَهُمْ:إنَّ الشُهَدَاء الذينَ يُقْتَلُونَ في سَبيلِ اللهِ هُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ بغَيرِ حِسَاب،وَلكِنَّ الأَحيَاءَ لاَ يَشْعُرُونَ بِذلِكَ،لأَنَّ حَيَاتَهُمْ لَيْسَتْ فِي عَالَمِ الحِسِّ الذي يُدْرَكُ بالمَشَاعِرِ .[119]

وقال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ(١٧١) } سورة آل عمران

ثانيا– أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ:

عَنْ مَسْرُوق،قَالَ:سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩] قَالَ:أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ،فَقَالَ:«أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ،لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ،تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ،ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ،فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»،فَقَالَ:" هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا:أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا،فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا،قَالُوا:يَا رَبِّ،نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى،فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا "[120]

---

119 - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦١، بترقيم الشاملة آليا)

120 - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٢)١٢١ - (١٨٨٧)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:قَرَأَ:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩] فَقَالَ:أَمَا قَدْ سَأَلْنَاهُ عَنْ ذَلِكَ،فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الْأَرْوَاحَ جُعِلَتْ فِي طَيْرٍ خَضْرٍ،تَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ،فَتَسْرَحُ فِي أَيِّ الْجَنَّةِ شَاءَتْ،قَالَ:فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً فَقَالَ:هَلْ تَسْتَزِيدُونِي فَأَزِيدُكُمْ؟ قَالُوا:أَلَسْنَا نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ قَالَ:ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً.فَقَالَ:هَلْ تَسْتَزِيدُونِي فَأَزِيدُكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَا يَتْرُكُونَ قَالُوا:تَرُدُّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا،حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى.وفي رواية عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:تُقْرِئُ نَبِيَّنَا مِنَّا السَّلَامَ،وَتُخْبِرُهُ أَنْ قَدْ رَضِينَا وَرُضِيَ عَنَّا،وَتَرُدُّ أَرْوَاحَنَا حَتَّى تُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى"[١٢١]

ثالثا–ليست جنة ولكنها جنان:

عَنْ قَتَادَةَ،حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَتْ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ،أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ،وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ،فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ،وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ،اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ،قَالَ:«يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ،وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[١٢٢]

وعَنْ أَنَسٍ أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ،أَصَابَهُ سَهْمُ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي،فَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ،وَإِلَّا فَسَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ،فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ:«هَبِلْتِ؟ أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ،وَإِنَّهُ لَفِي الْفِرْدَوْسِ الْأَعْلَى»[١٢٣]

وعَنْ حُمَيْدٍ،قَالَ:سَمِعْتُ أَنَسًا،يَقُولُ:أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهُوَ غُلاَمٌ،فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّي،فَإِنْ يَكُ فِي الجَنَّةِ أَصْبِرْ

---

121 - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٣/ ٨١٣)(٤٤٩١) صحيح

122 - صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨٠٩)

[ش (تحدثني) تخبرني.(غرب) لا يدري من رمى به.(اجتهدت) بذلت وسعي وطاقتي.(أصاب) كان نصيبه.(الفردوس الأعلى) أفضل مكان في الجنة والفردوس هو البستان الذي يجمع ما في البساتين من شجر وزهر ونبات]

123 - أحاديث إسماعيل بن جعفر (ص: ١٨٥)(٧٦) صحيح

وَأَحْتَسِبْ،وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ:«وَيْحَكِ،أَوَهَبِلْتِ،أَوَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ،وَإِنَّهُ لَفِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ»[124]

رابعاً– أعلى درجات الجنة للشهداء:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،وَأَقَامَ الصَّلاَةَ،وَصَامَ رَمَضَانَ،كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ:«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ،وَأَعْلَى الجَنَّةِ،وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[125]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»[126]

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ،وَآتَى الزَّكَاةَ،وَمَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ هَاجَرًا وَمَاتَ فِي مَوْلِدِهِ» فَقُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَلَا نُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا بِهَا؟ فَقَالَ:«إِنَّ لِلْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ،وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ،وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي،مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ،وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ،ثُمَّ أُحْيَا،ثُمَّ أُقْتَلُ»[127]

خامساً– الأمن من الفزع وغيره:

---

124 - صحيح البخاري (٨/ ١١٤)(٦٥٥٠)

125 - صحيح البخاري (٩/ ١٢٥)(٧٤٢٣)

قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهُوَ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ» يُرِيدُ بِهِ أَنَّ الْفِرْدَوْسَ فِي وَسَطِ الْجِنَانِ، فِي الْعَرْضِ، وَقَوْلُهُ «وَهُوَ أَعْلَى الْجَنَّةِ» يُرِيدُ بِهِ: فِي الِارْتِفَاعِ "صحيح ابن حبان - مخرجا (١٠/ ٤٧٣)

126 - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٣/ ١٠٤٤) صحيح

127 - سنن النسائي (٦/ ٢٠)(٣١٣٢) صحيح لغيره

عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ،وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ "[128]

وعن الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:" إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سَبْعَ خِصَالٍ:يُغْفَرُ لَهُ عِنْدَ أَوَّلِ دَفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ،وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ،وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ،وَيُجَارُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ،وَيَأْمَنُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ،الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ "[129]

ومن هنا حق لرسول الله ﷺ أن يتمنى الشهادة في سبيل الله مرات عديدة ففي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ،لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي،وَإِيمَانًا بِي،وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي،فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ،نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ،إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ،لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ،وَرِيحُهُ مِسْكٌ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا،وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ،وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً،وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»[130]

---

128 - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨٧)(١٦٦٣) صحيح

129 - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٣٣)(٢٠٤) صحيح

130 - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٥)١٠٣ - (١٨٧٦)

[ش (تضمن الله) وفي الرواية الأخرى تكفل الله ومعناهما أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} الآية(إلا جهادا في سبيلي) هكذا هو في جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعده وإيمانا بي وتصديقا وهو منصوب على أن لا مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق ومعناه لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى(نائلا ما نال من أجر) قالوا معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنموا أو من الأجر والغنيمة معا إن

سادسا- يضحك إليهم ربهم:

عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَبَّارٍ قَالَ:قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ،مَنِ الشُّهَدَاءُ؟ قَالَ:«الَّذِينَ يَلْقَوْنَ فِي الصَّفِّ وَلَا يَلْفِتُونَ وُجُوهَهُمْ حَتَّى يُقْتَلُوا،فَأُولَئِكَ يَتَلَبَّطُونَ فِي الْغُرَفِ الْعُلَا مِنَ الْجَنَّةِ،يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ،وَإِذَا ضَحِكَ رَبُّكَ إِلَى عَبْدٍ فَلَا حِسَابَ عَلَيْهِ»[131]

سابعا- دمه الذي أريق اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْك:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ»[132]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكُونُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ طُعِنَتْ تَتَفَجَّرُ دَمًا،اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ»[133]

سابعا- تمني العودة للدنيا:

عَنْ حُمَيْدٍ،قَالَ:سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ،لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ،يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،إِلَّا الشَّهِيدَ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ،فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»[134]

غنموا وقيل إن أو هنا بمعنى الواو أي من أجر أو غنيمة ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرا بكل حال فإما أن يستشهد فيدخل الجنة وإما أن يرجع بأجر وإما أن يرجع بأجر وغنيمة(ما من كلم يكلم في سبيل الله) أما الكلم فهو الجرح ويكلم أي يجرح والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى(خلاف سرية) أي خلفها وبعدها(لا أجد سعة فأحملهم) أي ليس لي من سعة الرزق ما أجد به لهم دواب فأحملهم عليها(ولا يجدون سعة) فيه حذف يدل عليه ما ذكر قبله أي ولا يجدون سعة يجدون بها من الدواب ما يحملهم ليتبعوني ويكونوا معي(ويشق عليهم أن يتخلفوا عني) أي ويوقعهم تأخرهم عني في المشقة يعني يصعب عليهم ذلك]

131 - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٥٧٠)(٢٢٩) صحيح

132 - صحيح البخاري (٤/ ١٨)(٢٨٠٣)

133 - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٧)(١٧٩) صحيح

134 - صحيح البخاري (٤/ ١٧)(٢٧٩٥)

[ش (له عند الله خير) ثواب مدخر على عمل صالح عمله في الدنيا]

وعن أَنَسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ،يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا،فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنَ الكَرَامَةِ»[135]

وعن طَلْحَةَ بْنِ خِرَاشٍ،قَالَ:سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ،يَقُولُ:لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،فَقَالَ لِي:«يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا» ؟ قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ اسْتُشْهِدَ أَبِي،وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا،قَالَ:«أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ» ؟ قَالَ:بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ.قَالَ:" مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ،وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا.فَقَالَ:يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ.قَالَ:يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً.قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ:إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يُرْجَعُونَ " قَالَ:وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران:١٦٩] .[136]

وعَنِ ابْنِ أَبِي عَمِيرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَا فِي النَّاسِ مِنْ نَفْسٍ مَسْلَمَةٍ يَقْبِضُهَا رَبُّهَا تُحِبُّ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكُمْ،وَأَنَّ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا غَيْرَ الشَّهِيدِ» قَالَ ابْنُ أَبِي عَمِيرَةَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَأَنْ أُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي أَهْلُ الْوَبَرِ وَالْمَدَرِ»[137]

ثامنا – الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِبَابِ الْجَنَّةِ فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»[138]

تاسعا– تَبْتَدِرُهُ زَوْجَتَاهُ كَأَنَّهُمَا ظِئْرَانِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:ذُكِرَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ:لاَ تَجِفُّ الأَرْضُ مِنْ دَمِ الشَّهِيدِ حَتَّى تَبْتَدِرَهُ زَوْجَتَاهُ كَأَنَّهُمَا ظِئْرَانِ أَضَلَّتَا فَصِيلَيْهِمَا فِي بَرَاحٍ مِنَ الأَرْضِ وَفِي يَدِ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا حُلَّةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.[139]

---

135 – صحيح البخاري (٤/ ٢٢)(٢٨١٧) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٩٨)١٠٩ – (١٨٧٧)

[(ما على الأرض من شيء) الدنيا وما فيها.(لما يرى من الكرامة) لأجل ما يراه من فضل الشهادة]

136 – سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٣١)(٣٠١٠) صحيح

137 – السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٩٣)(٤٣٤٦) صحيح

138 – صحيح ابن حبان – مخرجا (١٠/ ٥١٥)(٤٦٥٨) صحيح

عاشرا – الشهداء أنواع:

عَنْ أَبِي يَزِيدَ الخَوْلَانِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ فَضَالَةَ بْنَ عُبَيْــد،يَقُولُ:سَــمِعْتُ عُمَــرَ بْــنَ الخَطَّــاب يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ:" الشُّهَدَاءُ أَرْبَعَةٌ:رَجُــلٌ مُــؤْمِنٌ جَيِّــدُ الإِيمَــان،لَقِيَ العَدُوَّ،فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ،فَذَلِكَ الَّذِي يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ أَعْيُنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ هَكَذَا " وَرَفَعَ رَأْسَهُ حَتَّى وَقَعَتْ قَلَنْسُوَتُهُ،قَالَ:فَمَا أَدْرِي أَقَلَنْسُــوَةَ عُمَــرَ أَرَادَ أَمْ قَلَنْسُــوَةَ النَّبِــيِّ ﷺ؟ قَالَ:«وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَيِّدُ الإِيمَانِ لَقِيَ العَدُوَّ فَكَأَنَّمَا ضُرِبَ جِلْدُهُ بِشَوْكِ طَلْحٍ مِنَ الجُبْنِ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ فَهُوَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ،وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ خَلَطَ عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الثَّالِثَةِ،وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ أَسْرَفَ عَلَى نَفْسِهِ لَقِيَ العَدُوَّ فَصَدَقَ اللَّهَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي الدَّرَجَةِ الرَّابِعَةِ»[١٤٠]

وعن عُتْبَةَ بْنِ عَبْدٍ السُّلَمِيِّ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَــالَ:«الْقَتْلَــى ثَلَاثَةٌ:رَجُلٌ مُؤْمِنٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّى يُقْتَــلَ فَذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُمْتَحَنُ،فِي خَيْمَةِ اللَّهِ،تَحْتَ عَرْشِهِ،وَلَا يَفْضُلُهُ النَّبِيُّونَ إِلَّا بِفَضْــلِ دَرَجَــةِ النُّبُوَّةِ،وَرَجُلٌ مُؤْمِنٌ قَرَفَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْخَطَايَا،جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ حَتَّى،إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ،فَتِلْكَ مُصْمِصَةٌ مَحَتْ ذُنُوبَهُ وَخَطَايَاهُ،إِنَّ السَّــيْفَ مَحَّاءٌ لِلْخَطَايَا،وَأُدْخِلَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شَاءَ،فَإِنَّ لَهَا ثَمَانِيَةَ أَبْــوَابٍ،وَلِجَهَنَّمَ سَــبْعَةُ أَبْوَابٍ،وَبَعْضُهَا أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ،وَرَجُلٌ مُنَافِقٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فِي سَبِيلِ اللَّــهِ،حَتَّى إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ فَذَلِكَ فِي النَّارِ،إِنَّ السَّيْفَ لَا يَمْحُو النِّفَاقَ»[١٤١]

---

139 – مصنف ابن أبي شيبة –دار القبلة (١٠/ ٢٤٠)(١٩٦٦٨) فيه جهالة

الظِّئْر بِكَسْر الظَّاء الْمُعْجَمَة بعْدهَا همزَة سَاكِنة هِيَ الْمُرْضع وَمَعْنَاهُ أَن زوجتيه من الْحور الْعين تبتدرانه وتحنوان عَلَيْــه وتظلانه كَمَا تحنو النَّاقة الْمُرْضع على فصيلها وَيحْتَمل أَن يكون أضلتا بالضاد فَيكون النَّبِي ﷺ شبه بدارهما إِلَيْهِ باللهفة والحنو والشوق كبدار النَّاقة الْمُرْضع إِلَى فصيلها الَّذِي أضلته وَيُؤَيّد هَذَا الاحْتِمَال قَوْله فِــي بــراح مــن الأَرْض وَالله أعلم،والبراح بِفَتْح الْبَاء الْمُوَحدَة وَبِالْحَاءِ الْمُهْملَة هِيَ الأَرْض المتسعة لَا زرع فِيهَا وَلَا شــجر" الترغيــب والترهيــب للمنذري (٢/ ٢١٢)

140 – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٧٧)(١٦٤٤) ومسند أبي الطيالسي –طبعة دار هجر – مصر (١/ ٣٤)(٤٥) صحيح لغيره

141 – صحيح ابن حبان – مخرجا (١٠/ ٥١٩)(٤٦٦٣) صحيح

الحادي عشر – لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ،قَالَ:«لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا»[142]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:«لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي النَّارِ أَبَدًا»

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ أَبَدًا اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا»،قَالُوا:مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟،قَالَ:«مُؤْمِنٌ يَقْتُلُ كَافِرًا،ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ بَعْدَهُ»

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:«لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا مُسْلِمٌ قَتَلَ كَافِرًا،ثُمَّ سَدَّدَ الْمُسْلِمُ وَقَارَبَ،وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي جَوْفِ عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ،وَلَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ الْإِيمَانُ وَالشُّحُّ»[143]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

---

142 - صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٥)١٣٠ - (١٨٩١)

143 - مستخرج أبي عوانة (٤/ ٤٧٦)(٧٣٩٣ -٧٣٩٥) صحيح

المبحث السادس

الأحكام الفقهية لشهداء الحرية والثورات العربية

قال الدكتور حاكم حفظه الله تعالى:"الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمين وآله وصحبه أجمعين:

وبعد فقد جاءتني أسئلة كثيرة حول حكم من يُقتل من المتظاهرين في الثورة الشعبية في الدول العربية من أجل العدل والحرية؟

وهل يصدق عليهم أنهم شهداء أم لا؟

وهل هذه الثورة شرعية أم ثورة دنيوية؟

وأقول وبالله التوفيق قد سبق لي الإجابة عن هذه الأسئلة في مقالي (الثورة العربية والمصطلحات الوهمية) و(الثورة العربية رؤية شرعية) وغيرها من المقالات القديمة كمقالي (المقاومة السلمية رؤية شرعية) المنشور بتاريخ ١١/٩/ ٢٠٠٩م،وكلها منشورة في موقعي،وهذه دراسة أكثر تفصيلا وهي في مباحث:

المطلب الأول –في عموم أحكام الشريعة لأفعال المكلفين:

فليس في أفعال المكلفين عامة ما هو خارج عن الشريعة وأحكامها،فكل فعل يصدر عن فرد أو جماعة أو دولة له حكم شرعي بالحل أو التحريم أو الإيجاب،وهذا بإجماع علماء الأمة من الفقهاء والأصوليين على اختلاف مذاهبهم،واستدل له الشافعي في الرسالة بقوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } [القيامة:٣٦]،أي لا يؤمر ولا ينهى!

وكما قال تعالى { يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)}(سورة الزلزلة)!

وبناء عليه فهذه الثورة التي قامت – أو ستقوم – بها الشعوب في العالم العربي إما أنها مشروعة سواء كانت واجبة أو مباحة،أو أنها محرمة غير مشروعة،ولا حكم غير هذين الحكمين العامين،فمن قال بأنها ثورة من أجل الدنيا لا من أجل الدين! قيل له:هل الثورة من أجل الدنيا مشروعة أم غير مشروعة؟ ووصفها بأنها دنيوية لا يخرجها عن دائرة

الأحكام الشرعية،فإن كانت مشروعة فهي ثورة دنيوية شرعية،وإن كانت غير مشروعة فهي ثورة دنيوية محرمة غير شرعية!

ولا يوجد في الإسلام فصل في الأحكام بين ما هو ديني وما هو دنيوي،بل هذه هي النصرانية التي ترفع شعار (**دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر**)[١٤٤]،وتفرعت عنها العلمانية الغربية التي فصلت الديني عن الدنيوي،أما في الإسلام فالشريعة تنتظم كل أفعال العباد،وتحكم لها أو عليها،لا يخرج عن أحكامها شيء مطلقا،فما حرمته فهو الحرام،وما أباحته فهو الحلال،وما أوجبته فهو الواجب!

وقوله ﷺ في الحديث الصحيح «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[١٤٥]،دليل على أن الأصل في الأشياء الدنيوية الإباحة،وهي أيضا حكم شرعي،فثبت أن الشارع قد حكم في كل شيء تفصيلا أو إجمالا،ودائرة الإباحة في الأشياء والمعاملات والعادات أوسع من دائرة الحظر،كما قال تعالى:{ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ } [البقرة:١٨٥]،وقال سبحانه:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج:٧٨]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلَا بِالنَّصْرَانِيَّةِ ، وَلَكِنْ بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ»[١٤٦]

المطلب الثاني – مشروعية القتال عن الدنيا:

وإذا ثبت ذلك فالسؤال هل للإنسان شرعا فردا كان أو مجموعة أن يقاتل من أجل الدفاع عن حقوقه الدنيوية أم لا؟

---

144 – طبيعة الديانة النصرانية ومبادئها الأساسية التي تقوم على الفصل بين الدين والدنيا ، أو بين الكنيسة والدولة ونظم الحياة المختلفة ، فهي ديانة روحية شعائرية لا شأن لها بنظم الحياة وشؤون الحكم والمجتمع ، يعبر عن ذلك الشاعر النصراني " دع ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر " ..! ولهذا فإن النصارى أمماً وشعوباً حين يندفعون للبحث عن تنظيم أمور حياتهم، في العلمانية أو غيرها، لا يشعرون بأي حرج من ناحية دينهم ومعتقداتهم ، بل إن طبيعة دينهم تدفعهم لهذا الأمر ، ولذلك فإن نشأة العلمانية وانتشارها وسيادتها في المجتمعات الغربية أمر طبيعي .العلمانية والرد عليها (١٩/ ٢)

145 – صحيح مسلم (٤/ ١٨٣٦)١٤١ – (٢٣٦٣) وفيه قصة

146 – مسند الروياني (٢/ ٣١٧)(١٢٧٩) والمعجم الكبير للطبراني (٨/ ٢٢٢)(٧٨٨٣) والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٤٣٠) حسن لغيره

والجواب كما هو معلوم من دين الإسلام بالضرورة القطعية أن للإنسان الدفاع عن نفسه وماله وعرضه وأرضه وحقه،ومن مات دون شيء من ذلك فهو شـــهيد،كما تـــوافرت وتواترت بذلك النصوص كقوله تعالى:{ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِـــرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِـــبُّ الظَّـــالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِـــيمٌ (٤٢)} [الشـــورى:٣٩ - ٤٢]..

وكما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[١٤٧]

وعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَلَـــهُ الْجَنَّةُ»[١٤٨]

وقد احتج بهذا الحديث الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،أَنَّ عَامِلًا مِنْ عُمَّالِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْرَى عَيْنًا مِـــنْ مَـــاءٍ لِيَسْـــقِيَ بِهَـــا أَرْضًا،فَأَجْرَاهَا حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْ حَائِطٍ يُسَمَّى الْوَهْطَ لِآلِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،أَرَادَ أَنْ يَخْـــرِقَ الْحَائِطَ لِيُجْرِيَ الْعَيْنَ إِلَى أَرْضٍ لَهُ أُخْرَى،فَأَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَـــاصِ وَمَوَالِيـــهِ بِالسِّلَاحِ،وَقَالَ:وَاللَّهِ لَا تَخْرِقُونَ حَائِطَنَا حَتَّى لَا يَبْقَى مِنَّا أَحَدٌ،فَقَالُوا:اتَّقِ اللَّهَ،فَإِنَّكَ مَقْتُولٌ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ،فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ:إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ مَظْلُومًا فَإِنَّهُ فِي الْجَنَّةِ»[١٤٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ:«فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ» قَالَ:أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ:«قَاتِلْهُ» قَالَ:أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ:«فَأَنْتَ شَهِيدٌ»،قَالَ:أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ:«هُوَ فِي النَّارِ»[١٥٠]

147 - صحيح البخاري (٣/ ١٣٦)(٢٤٨٠) وصحيح مسلم (١/ ١٢٤)(٢٢٦ - ١٤١)

148 - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٢)(٣٥٣٥) صحيح

149 - تهذيب الآثار مسند ابن عباس (٢/ ٧٩٤)(١١٦٨) صحيح

150 - صحيح مسلم (١/ ١٢٤)(٢٢٥ - ١٤٠)

وقد احتج الصحابي سعيد بن زيد ـــ أحد العشرة المبشرين بالجنة ـــ بحديث:(مـــن قتـــل دون ماله فهو شهيد)،فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُـــوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِـــهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[١٥١]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قَاتَلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[١٥٢]

وعن عَبْدِ اللهِ بْنَ عَمْرٍو،عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ بِغَيْرِ حَقٍّ فَقَاتَـــلَ فَقُتِـــلَ فَهُـــوَ شَهِيدٌ»[١٥٣]

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ يَعْنِي ابْنَ حَفْصٍ،فَذَكَرَ قِصَّةً،قَالَ سَـــعْدٌ:إِنِّـــي سَـــمِعْتُ رَسُـــولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:"نِعْمَ الْمِيتَةُ أَنْ يَمُوتَ الرَّجُلُ دُونَ حَقِّهِ "[١٥٤]

فساوت هذه الأحاديث الصحيحة الصريحة بين القتال عن الـــدين،والقتال عـــن الـــنفس والأهل والعرض والمال والأرض والحقوق كالحرية والعدل والكرامة،فكلها مشروع القتال دونه،وكلها يصدق على من قتل دونها بأنه شهيد!

وهذان صحابيان جليلان عبد الله بن عمرو وسعيد بن زيد يرويـــان هـــذه الأحاديـــث ويحتجان بها قوليا وعمليا في تصديهم بالقوة لمن أرد أن يظلمهما ويأخـــذ حقهمـــا وإن كانت السلطة نفسها! ولا يعرف لهما مخالف من الصحابة وهما أدرى بروايتـــهما ممـــن سواهما.

قالَ ابن المُنذر:والَّذي عَلَيه أَهل العلمِ أَنَّ للرَّجُلِ أَن يَدفَعَ عَمّا ذَكَرَ إذا أُرِيدَ ظُلمًـــا بغَـــيرِ تَفصيل،إلاَّ أَنَّ كُلّ مَن يُحفَظُ عَنهُ من عُلَماءِ الحَديث المُجمعينَ عَلَى اســـتِثناءِ السُّـــلطانِ للآثارِ الوارِدَةِ بالأَمرِ بِالصَّبرِ عَلَى جَورِهِ وتَركِ القِيامِ عَلَيهِ.[١٥٥]

---

151 -السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٥)(٣٥٤٤) صحيح

152 - سنن النسائي (٧/ ١١٦)(٤٠٩٤) صحيح

153 - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٣)(٣٥٣٧) صحيح

154 - مسند أحمد ط الرسالة (٣/ ١٥٤)(١٥٩٨) فيه انقطاع وصححه الألباني في الصحيحة رقم ٦٩٧ وهو كذلك بشواهده.

وقال الخطابي:"فقد دل ذلك على أن من دافع عن ماله أو عن أهله أو دينه إذا أربد على شيء منها فأتي القتل عليه كان مأجوراً فيه نائلاً به منازل الشهداء.وقد كره ذلك قوم زعموا أن الواجب عليه أن يستسلم ولا يقاتل عن نفسه وذهبوا في ذلك إلى أحاديث رويت في ترك القتال في الفتن وفي الخروج على الأئمة،وليس هذا من ذلك في شيء،إنما جاء هذا في قتال اللصوص وقطاع الطريق،وأهل البغي والساعين في الأرض بالفساد ومن دخل في معناهم من أهل العيث والافساد."[١٥٦]

وكما ثبت في الصحيحين بل ما تواتر في كتاب فريضة الزكاة الذي كتبه النبي ﷺ قبل وفاته،فعن ثُمَامَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ،أَنَّ أَنَسًا،حَدَّثَهُ:أَنَّ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،كَتَبَ لَهُ هَذَا الكِتَابَ لَمَّا وَجَّهَهُ إِلَى البَحْرَيْنِ:بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هَذِهِ فَرِيضَةُ الصَّدَقَةِ الَّتِي فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المُسْلِمِينَ،وَالَّتِي أَمَرَ اللَّهُ بِهَا رَسُولَهُ،«فَمَنْ سُئِلَهَا مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِهَا،فَلْيُعْطِهَا وَمَنْ سُئِلَ فَوْقَهَا فَلاَ يُعْطِ..."[١٥٧]

قال ابن حجر:قَوله:"ومَن سُئِلَ فَوقَها فَلا يُعطِ" ؛ أَي:مَن سُئِلَ زائِدًا عَلَى ذَلِكَ فِي سِنٍّ أَو عَدَد فَلَهُ المَنعُ.ونَقَلَ الرّافِعِيّ الاتِّفاق عَلَى تَرجِيحه.وقِيلَ مَعناهُ فَلِيُمنَع السّاعِي ولِيَتَولَّ هُو إِخراجَهُ بِنَفسِهِ أَو بِساعٍ آخَرَ فَإِنَّ السّاعِيَ الَّذِي طَلَبَ الزِّيادَة يَكُونُ بِذَلِكَ مُتَعَدِّيًا وشَرطُهُ أَن يَكُونَ أَمِينًا،لَكِنَّ مَحِلَّ هَذا إِذا طَلَبَ الزِّيادَةَ بِغَيرِ تَأوِيل.[١٥٨]

فليس للسلطة أخذ أموال الناس بالباطل ولو كانت جباية الزكاة،وليس لها حبسهم واعتقالهم ظلما،وليس لها انتهاك حرماتهم،فإن فعلت فجائز لهم دفعها عن ذلك والامتناع عن طاعتها ومقاومتها.

قال الإمام ابن حزم بعد أن ذكر حديث عبد الله بن عمرو وقصته،وحديث أبي بكر في الزكاة:فَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - يَأْمُرُ مَنْ سُئِلَ مَالَهُ بِغَيْرِ حَقٍّ أَنْ لَا يُعْطِيَهُ،وَأَمَرَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُ فَيَقْتُلُ مُصِيبًا سَدِيدًا،أَوْ يُقْتَلُ بَرِيئًا شَهِيدًا،وَلَمْ يَخُصَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَالًا مِنْ

---

155 - فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (٥/ ١٢٤)

156 - معالم السنن (٤/ ٣٣٦)

157 - صحيح البخاري (٢/ ١١٨)(١٤٥٤)

158 - فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (٣/ ٣١٩)

مَال.وَهَذَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ،وَعَبْدُ اللَّهُ بْنُ عَمْرٍو - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - يَرَيَانِ السُّلْطَانَ فِي ذَلِكَ وَغَيْرَ السُّلْطَانِ سَوَاءً - وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.[159]

فهذه بعض الأدلة القطعية في ثبوتها ودلالاتها تؤكد أن للإنسان الحق أن يقاتل دون دنياه سواء كان مالا أو أرضا أو نفسا أو أهلا،وهذا من العدل والقسط الذي جاء به الإسلام،كما قال تعالى:{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} [الأعراف:٢٩]،وقال:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} [الحديد:٢٥]..

ولا فرق في هذا الحق بين مسلم وغير مسلم،وصالح وغير صالح،بل لكل إنسان في دار الإسلام الدفع عن حقوقه ممن أراد الاعتداء عليها.

وبناء على كل ما سبق فإن للأمة شرعاً بأفرادها أو بمجموعها أن تقاتل عن دنياها كما تقاتل عن دينها،كما ثبت أيضا بأن من يقتل دون دنياه مظلوما فهو شهيد،كمن يقاتل دون دينه،وهذا بنص رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى!

المطلب الثالث –ثبوت أحكام الشهادة للمتظاهرين دفاعا عن حقوقهم:

وإذا ثبت أن الشارع أطلق اسم الشهادة ووصفها على من قاتل دون حقوقه الدنيوية،فقد اجتمع لمن قتلوا في الثورات العربية الشعبية وصفان يوجب كل واحد منهما وصف الشهادة وأحكامها لهم:

الأول:من قاتل منهم دون نفسه أو أهله أو دينه أو ماله أو حقه فقتل.

والثاني:من قتل منهم مظلوما،وإن لم يقاتل،بل خرج مسالما يدعو إلى إنصافه ورفع الظلم عنه وعن غيره،فاعتدت عليه السلطة وقتلته،ولهذا جاء في دليل الطالب في فقه الحنابلة:(وشهيد المعركة والمقتول ظلما لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ويجب بقاء دمه عليه ودفنه في ثيابه.

وإن حمل فأكل أو شرب أو نام أو بال أو تكلم أو عطس أو طال بقاؤه عرفا أو قتل وعليه ما يوجب الغسل من نحو جنابة فهو كغيره.)[160].

---

159 - المحلى بالآثار (١٢/ ٢٨٥)

وجاء في الشرح الكبير:(قَوْلُهُ (وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا) كَقَتِيلِ اللُّصُوصِ وَنَحْوِهِ (فَهَلْ يُلْحَقُ بِالشَّهِيدِ؟ عَلَى رِوَايَتَيْنِ) وَأَطْلَقَهُمَا فِي الْفَائِقِ،وَالْمُغْنِي،وَالشَّرْحِ،وَالرِّعَايَتَيْنِ،وَالْحَاوِيَيْنِ،إحْدَاهُمَا:يُلْحَقُ بِشَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ،وَهُوَ الْمَذْهَبُ اخْتَارَهُ أَكْثَرُ الْأَصْحَابِ.قَالَ فِي الْفُرُوعِ:وَلَا يُغَسَّلُ الْمَقْتُولُ ظُلْمًا عَلَى الْأَصَحِّ قَالَ الزَّرْكَشِيُّ:اخْتَارَهُ الْقَاضِي وَعَامَّةُ أَصْحَابِهِ وَصَحَّحَهُ فِي مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ وَقَدَّمَهُ ابْنُ تَمِيمٍ الرِّوَايَةُ ")![161]

وقد جاء في صحيح مسلم عن جهاد الأئمة المضلين عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ،وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ،ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ،فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[162]

وجاء في الحديث أيضا عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»[163]

وفي الحديث الآخر عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ،أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[164]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْأُولَى:أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ،ثُمَّ سَأَلَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى فَأَعْرَضَ عَنْهُ،ثُمَّ سَأَلَهُ عِنْدَ الْعَقَبَةِ،فَوَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ ثُمَّ قَالَ:أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ:" أَفْضَلُ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ "[165]

---

160 - دليل الطالب لنيل المطالب (ص: ٦٧)

161 - الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٢/ ٥٠٣) والشرح الكبير على متن المقنع (٢/ ٣٣٦) والمبدع في شرح المقنع (٢/ ٢٣٩) وشرح الزركشي على مختصر الخرقي (٢/ ٣٤٥)

162 - صحيح مسلم (١/ ٦٩)(٨٠ - ٥٠)

163 - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢١٥)(٤٨٨٤) صحيح لغيره

164 - السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٩٣)(٧٧٨٦) صحيح

165 - شعب الإيمان (١٠/ ٦٧)(٧١٧٤) والمعجم الكبير للطبراني (٨/ ٢٨٢)(٨٠٨١)صحيح لغيره

وفي الصحيح عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ:أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ.فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ،فَقَالَ:الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ،فَقَالَ:قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ،فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ:أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[١٦٦] ..

وهذان الوصفان – أي وصف الجهاد ووصف الشهادة – يثبتان لمن تظاهروا وقتلوا في المظاهرات السلمية،على الأنظمة الشرعية،إذا جارت وظلمت واعتدت على الرعية،أما إذا ثبت عدم شرعيتها بل وثبتت ردتها كأكثر الحكومات العربية اليوم[١٦٧]،فالمقتول في الثورة عليها هو شهيد المعركة نفسه عند أكثر الفقهاء كما سيأتي بيانه!

المطلب الرابع –أقسام الشهداء وأحكامهم:

الشهداء أقسام ولكل قسم أحكامٌ،كما دلت على ذلك النصوص،وأقوال الفقهاء،فهم:

القسم الأول:شهداء في حكم الدنيا والآخرة:

فلا يغسلون،ولا يصلَّى عليهم،ويدفنون في لباسهم الذي قتلوا فيه،وهم أنواع أيضا:

النوع الأول:كل قتيل من المسلمين في حربهم مع عدوهم أثناء الحرب أو بسببها،كشهداء معركة أحد،ويصدق ذلك اليوم على من يستشهدون في مواجهة الاحتلال الأجنبي في فلسطين أو في العراق أو أفغانستان..الخ،وهذا النوع لا خلاف فيه بين الأئمة في الحكم الدنيوي والأخروي.

النوع الثاني:القتيل من المسلمين في تصديهم للسلطان الكافر أو السلطان إذا ارتد،أو السلطان الجائر،إذا خرجوا عليه لمنعه من الجور،وتغيير المنكر،كشهداء أهل المدينة يوم الحرة في خروجهم على يزيد،وشهداء كربلاء مع الحسين سيد شباب أهل الجنة،وشهداء

---

166 – صحيح مسلم (١/ ٦٩)٧٨ – (٤٩)

167 – **لأنها تحكم بغير ما أنزل الله، وتوالي أعداء الإسلام، وتعطل الأحكام وتبدلها** ...

القراء في دير الجماجم في خروجهم على الحجاج...الخ[168]،ومثلهم من يخرجون اليوم في الثورات العربية بقصد مواجهة الطاغوت،وإعلاء كلمة الله.

النوع الثالث:كل قتيل ظلما دون نفسه أو ماله أو عرضه أو أهله أو حقه:

كمن يخرجون اليوم في الثورات العربية بقصد الدفاع عن حقوقهم الدنيوية،فيقُتلون على يد رجال السلطة ظلماً وعدواناً..

وهذان النوعان الأخيران لا خلاف بين الفقهاء في الحكم الأخروي لهم،ولا خلاف على إطلاق وصف الشهادة عليهم،وإنما اختلفوا في الحكم الدنيوي هل يغسلون ويصلّى عليهم أم لا؟ وأكثر الفقهاء على أنهم كالنوع الأول في الحكم الدنيوي أيضا..

ولا فرق في الأحكام السابقة بين أهل الصلاح وأهل المعاصي،إذا تحقق لهم وصف الشهادة وسببها.

كما لا خلاف بين الفقهاء على أن أعلاهم وأشرفهم في الجهاد والشهادة من قُتل لتكون كلمةُ الله هي العليا،عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ،قَالَ:حَدَّثَنَا أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ،أَنَّ رَجُلًا أَعْرَابِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ،وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُذْكَرَ،وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ،فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ أَعْلَى،فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[169]

سواء تحقق له ذلك على يد عدو كافر كحمزة بن عبد المطلب،أو سلطان جائر كالحسين بن علي رضي الله عنهم،كما في عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»[170].

---

168 - هناك فرق كبير بين أولئك الذين خرجوا عليهم وبين حكام اليوم، لأن السابقين كانوا يحكمون بالإسلام ويجاهدون في سبيل الله، ويقيمون الحدود...وإن حصل منهم بعض الظلم ...

أما حكام اليوم فلا يحكمون بما أنزل الله، ولا يقيمون الحدود، ولا يجاهدون في سبيل الله، ويوالون أعداء الإسلام وينفذون مخططاتهم، ويبطشون بالأخيار الأبرار وينهبون خيرات الأمة

169 - صحيح مسلم (٣/ ١٥١٢)١٤٩ - (١٩٠٤)

[ش (مكانه) أي مكانته ومرتبته وقدرته على القتال أو شجاعته (فمن في سبيل الله) أي فقتال من في سبيل الله على حذف المضاف أو فمن المقاتل فيه]

170 - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢١٥)(٤٨٨٤) صحيح لغيره

القسم الثاني:شهداء في حكم الدنيا فقط

وهم النوع الأول والثاني من القسم الأول إذا كان قتالهم نفاقا ورياء وللغنيمة لا في سبيل الله،فلا يغسلون ولا يصلَّى عليهم بل يدفنون كسائر الشهداء،إلا إنهم ليسوا شهداء في الآخرة،وليس لهم ثواب الشهداء،وهذا أمر لا يعلمه إلا الله،إلا من عرف من حاله نفاق ظاهر.

القسم الثالث:شهداء في حكم الآخرة فقط

وهم كل من مات بسبب من الأسباب التي ثبت بنص الشارع أن القتيل بها شهيد،كالطاعون والمبطون والحريق والغريق والنفساء الخ،فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ أُمَيَّةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ،وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ،وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ،وَالنُّفَسَاءُ شَهَادَةٌ "[171]

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامت،أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ،قَالَ:مَا تَعُدُّونَ الشَّهِيدَ فيكُمْ ؟ قَالُوا:الَّذي يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الله فَيُقْتَلُ،فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ:إنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إذًا لَقَليلٌ،الْقَتِيلُ فِي سَبِيلِ الله شَهِيدٌ،وَالْمَطْعُونُ شَهِيدٌ،وَالْمَبْطُونُ شَهِيدٌ،وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ،يَعْنِي حَاملاً شَهِيدٌ.[172]

وعَنْ عَبْد اللَّه بْنِ عَبْد اللَّه بْنِ جَابِرِ بْنِ عَتِيك،عَنْ أَبِيه،عَنْ جَدِّه،أَنَّهُ مَرِضَ فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ،فَقَالَ قَائِلٌ مِنْ أَهْله:إنْ كُنَّا لَنَرْجُو أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ قَتْلَ شَهَادَة فِي سَبِيلِ اللَّه،فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ:«إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إذًا لَقَلِيلٌ،الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّه شَهَادَةٌ،وَالْمَطْعُونُ شَهَادَةٌ،وَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ بِجُمْعٍ شَهَادَةٌ - يَعْنِي الْحَامِلَ -،وَالْغَرِقُ،وَالْحَرِقُ وَالْمَجْنُوبُ،- يَعْنِي ذَاتَ الْجَنْبِ - شَهَادَةٌ»[173]

وعَنْ مَسْرُوقٍ،قَالَ:الطَّاعُونُ،وَالْبَطْنُ،وَالنُّفَسَاءُ،وَالْغَرَقُ ، وَمَا أُصِيبَ بِهِ مُسْلِمٌ ، فَهُوَ لَهُ شَهَادَةٌ.[174]

---

[171] - مسند أحمد ط الرسالة (٢٤/ ٢١)(١٥٣٠٧) وسنن الدارمي (٣/ ١٥٦٣)(٢٤٥٧) صحيح

[172] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (١٠/ ٣٢٣)(١٩٨٢٢) صحيح

[173] -سنن ابن ماجه (٢/ ٩٣٧)(٢٨٠٣) ومصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (١٠/ ٣٢٣)(١٩٨٢٣) صحيح

[ش - (تموت بجمع) قال الخطابي هم أن تموت وفي بطنها ولد.زاد في النهاية وقيل أن تموت بكرا.والمعنى أنها ماتت مع شيء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة.(والغرق) الذي يموت غريقا في الماء.(والحرق) الذي يموت حريقا في النار.]

[174] - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (١٠/ ٣٢٤)(١٩٨٢٦) صحيح مقطوع

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،قَالَ:قَالَ عَبْدُ اللهِ:إِنَّ مِمنْ يَغْــرَقُ فِــي الْبُحُــورِ،وَيَتَرَدَّى مِــنَ الْجِبَالِ،وَتَأْكُلُهُ السِّبَاعُ،لَشُهَدَاءُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.[175]

وعَنْ رَاشِدِ بْنِ حُبَيْشٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى عُبَادَةَ بْــنِ الصَّــامِتِ يَعُــودُهُ فِــي مَرَضِهِ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَتَعْلَمُونَ مَنِ الشَّــهِيدُ مِــنْ أُمَّتِــي؟ " فَــأَرَمَّ الْقَوْمُ،فَقَــالَ عُبَادَةُ:سَانِدُونِي،فَأَسْنَدُوهُ،فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللهِ،الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ:الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شَــهَادَةٌ،وَالطَّاعُونُ شَــهَادَةٌ،وَالْغَرَقُ شَهَادَةٌ،وَالْبَطْنُ شَهَادَةٌ،وَالنُّفَسَاءُ يَجُرُّهَا وَلَدُهَا بِسُرَرِهِ إِلَى الْجَنَّةِ " قَــالَ:وَزَادَ فِيهَــا أَبُــو الْعَوَّامِ:" سَادِنُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَالْحَرْقُ،وَالسَّيْلُ "[176]

فهؤلاء ونحوهم يغسلون ويصلَّى عليهم في حكم الدنيا،ويطلق عليهم وصف الشــهادة في حكم الآخرة،ولهم ثواب الشهداء.

فتلك بعض أحكامهم إجمالا،وهذه بعض نصوص الفقهاء في تفصيل ذلك:

جاء في رد المحتار في فقه الحنفية:(مَطْلَبٌ فِي تَعْدَادِ الشُّهَدَاءِ (قَوْلُهُ فِي الشَّهِيدِ الْكَامِلِ) وَهُوَ شَهِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَشَهَادَةُ الدُّنْيَا بِعَدَمِ الْغُسْلِ إلَّا لِنَجَاسَةٍ أَصَابَتْهُ غَيْرَ دَمِهِ كَمَا فِي أَبِــي السُّعُودِ،وَشَهَادَةُ الْآخِرَةِ بِنَيْلِ الثَّوَابِ الْمَوْعُودِ لِلشَّهِيدِ أَفَادَهُ فِي الْبَحْرِ ط وَالْمُرَادُ بِشَــهِيدِ الْآخِرَةِ مَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا أَوْ قَاتَلَ لِإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - حَتَّى قُتِلَ فَلَوْ قَاتَــلَ لِغَــرَضٍ دُنْيَوِيٍّ فَهُوَ شَهِيدُ دُنْيَا فَقَطْ تَجْرِي عَلَيْهِ أَحْكَامُ الشَّــهِيدِ فِــي الدُّنْيَا،وَعَلَيْــهِ فَالشُّــهَدَاءُ ثَلَاثَةٌ..)[177].

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة في تعريف الشــهيد وأحكامــه:((الحنفيــة قالوا:الشهيد هو من قتل ظلما سواء قتل في حرب أو قتله باغ أو حربي أو قاطع طريق أو لص ولو كان قتله بسبب غير مباشر،وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول:الشهيد الكامل وهو شهيد الدنيا والآخرة ويشترط في تحقق الشهادة الكاملة ســتة شروط وهي:العقل والبلوغ والإسلام والطهارة من الحدث وأن يموت عقب الإصابة بحيث

---

175 -مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (١٠/ ٣٢٤)(١٩٨٢٥) صحيح

176 -مسند أحمد ط الرسالة (٢٥/ ٣٧٨)(١٥٩٩٨) حسن

177 - الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٢/ ٢٥٢)

لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتداوى ولا ينتقل من مكان الإصابة إلى خيمته أو مترله حيا...

ويدخل في هذا القسم من قتل مدافعا عن ماله أو نفسه أو المسلمين أو أهل الذمة بشرط أن يقتل بمحدد،وحكم هذا القسم من الشهداء أن لا يغسل إلا لنجاسة أصابته غير دمه ويكفن في أثوابه...

الثاني:من الشهداء شهيد الآخرة فقط،وهو كل من فقد شرطا من الشروط السابقة،بأن قتل ظلما وهو جنب أو حائض أو نفساء أو لم يمت عقب الإصابة أو كان صغير أو مجنونا أو قتل خطأ ووجب بقتله مال،فهؤلاء ليسوا كاملي الشهادة إلا أهم شهداء في الآخرة،لهم الأجر الذي وعد به الشهداء يوم القيامة فيجب تغسيلهم وتكفينهم والصلاة عليهم كغيرهم،ومثل هؤلاء في شهادة الآخرة الغرقى والحرقى ومن مات بسقوط جدران عليه وكذلك الغرباء والموتى بالوباء وبداء الاستسقاء أو الإسهال أو ذات الجنب أو النفاس أو السل أو الصرع أو الحمى أو لدغ العقرب ونحوه كالموتى في أثناء طلب العلم..ومثل هؤلاء يغسلون ويكفنون ويصلى عليهم،وإن كان لهم أجر الشهداء في الآخرة.

الثالث الشهيد في الدنيا فقط وهو المنافق الذي قتل في صفوف المسلمين ونحوه وهذا لا يغسل ويكفن في ثيابه ويصلَّى عليه اعتبارا بالظاهر)[١٧٨].

ويلاحظ أن الحنفية جعلوا قتيل المعركة والمقتول ظلما بيد الجائر قسما واحدا،وأدخلوا معهم من قتل دفاعا عن نفسه وعن ماله وعرضه أو دفاعا عن غيره بالحق،ولو كان دفاعا عن غير مسلم..

وجاء في كتاب الفقه على المذاهب الأربعة أيضا (المالكية قالوا:الشهيد هو من قتله كافر حربي أو قتل في معركة بين المسلمين والكفار سواء كان القتال ببلاد الحرب أو ببلاد الإسلام،كما إذا غزا الحربيون المسلمين،وحكم الشهيد المذكور أنه يحرم تغسيله والصلاة عليه ولو لم يقاتل بأن كان غافلا أو نائما....والشهيد المذكور يشمل شهيد الدنيا

---

178 – الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٤٧٩)

والآخرة وهو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا،وشهيد الدنيا فقط وهو من قاتل للغنيمة،وأما شهيد الآخرة فقط وهو المبطون والغريق والحريق ونحوهم والمقتول ظلما في غير قتال الحربيين و لم يقتله حربي فهو كغيره من الموتى في غسله وغيره،فيجب تغسيله والصلاة عليه،ولا يجب دفنه في ثيابه،وشهيد الآخرة المذكور له في الآخرة الأجر الوارد في الشرع إن شاء الله تعالى،وأما شهيد الدنيا فقط فلا أجر له في الآخرة،وإن كان يعامل معاملة الشهداء في الدنيا)[١٧٩].

وقال الجزيري:" الشافعية قالوا:الشهيد ثلاثة أقسام:

-"١" شهيد الدنيا والآخرة،وهو من قاتل الكفار لإعلاء كلمة الله تعالى من غير رياء ولا غلول من الغنيمة – الغلول هو الأخذ من الغنيمة قبل قسمها بين المجاهدين

– "٢" شهيد الدنيا فقط،وهو من قاتل بهدم أو غرق أو نحوها،كالمقتول ظلماً،والقسمان الأولان يحرم تغسيلهما والصلاة عليهما،ولو كان بهما حدث أصغر أو أكبر.ولا فرق بين أن يقتل واحد من القسمين المذكورين بسلاح كافر أو مسلم خطأ،وكذا من يقتل بسلاح نفسه.بأن يرجع عليه سلاحه فيقتله،أو يسقط عن دابته فيموت،أو تطأه الدواب،أو نحو ذلك،ولا فرق أيضاً بين أن يموت في الحال أو يبقى حياً بعد الإصابة،بشرط أن يكون بذلك السبب قبل انقضاء الحرب،أو يموت بعد انقضاء الحرب إذا كانت حياته غير مستقرة بأن لم يبق فيه إلا حركة مذبوح،ويجب تكفينه،ويسن أن يكفن بثيابه،وتكمل بما يستره إن لم تستره،ويندب أن يترع عنه آلات الحرب،كالدرع والخف والفروة والسلاح ونحوها،

وأما القسم الثالث فهو شهيد في ثواب الآخرة فقط،وأما في الدنيا فهو كغيره من الموتى يغسل ويصلي عليه،ويلاحظ فيه كل ما تقدم مما يتعلق بسائر الموتى،وتجب إزالة النجاسة من على بدن من يحرم غسله سوى دم الشهادة،ولو أدى إزالتها إلى إزالة دم الشهادة"[١٨٠]

179 – الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٤٨١)

180 – الفقه على المذاهب الأربعة (١/ ٤٨١)

وفي إعانة الطالبين في فقه الشافعية:(والمراد بالشهيد – فيما تقدم – شهيد المعركة،سواء كان شهيدا في الدنيا والآخرة،وهو من قاتل لإعلاء كلمة الله.

أو كان شهيدا في الدنيا فقط،وهو من قاتل للغنيمة مثلا.

وأما شهيد الآخرة فقط:فهو كغير الشهيد،فيغسل،ويكفن،ويصلى عليه،ويدفن.

وأقسامه كثيرة،فمنها الميتة طلقا،ولو كانت حاملا من زنا،والميت غريقا وإن عصى بركوب البحر،والميت هديما،أو حريقا أو غريبا وإن عصى بالغربة،والمقتول ظلما ولو هيئة،كأن استحق شخص حز رقبته فقده نصفين،والميت بالبطن،أو في زمن الطاعون،ولو بغير،

لكن كان صابرا محتسبا،أو بعده:وكان في زمنه كذلك.

والميت في طلب العلم ولو على فراشه،والميت عشقا ولو لمن لم يبح وطؤه كأمرد،بشرط العفة،حتى عن النظر،بحيث لو اختلى بمحبوبه لم يتجاوز الشرع.

وبشرط الكتمان حتى عن معشوقه.

وأما خبر:إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره،فمحمول على غير العشق.)[١٨١].

وفي حاشية قليوبي وعميرة في فقه الشافعية تعريف الشهيد بأنه قتيل المسلمين قَوْلُهُ:" (فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ) أَيْ فِي مُحَارَبَةِ كَافِرٍ وَلَوْ وَاحِدًا أَوْ مُرْتَدًّا،أَوْ فِي قَطْعِ طَرِيقٍ أَوْ فِي صِيَالٍ،أَوْ قَتَلَهُ كَافِرٌ اسْتَعَانَ بِهِ الْبُغَاةُ،وَكَذَا عَكْسُهُ بِأَنْ قَتَلَهُ بَاغٍ اسْتَعَانَ بِهِ كَافِرٌ،وَتَوَقَّفَ شَيْخُنَا الرَّمْلِيُّ فِي الْمَقْتُولِ مِنْ الْبُغَاةِ بِكَافِرٍ اسْتَعَنَّا بِهِ عَلَيْهِمْ.قَوْلُهُ:(أَوْ تَرَدَّى فِي حَمْلَتِهِ) أَوْ عَادُوا إلَيْهِ بَعْدَ انْهِزَامِهِمْ فَقَتَلُوهُ،وَالْحَمْلَةُ قُوَّةُ الْحَمِيَّةِ فِي شِدَّةِ الْقِتَالِ.قَوْلُهُ:(فِي قِتَالِ الْبُغَاةِ) وَلَمْ يَقْتُلْهُ كَافِرٌ اسْتَعَانُوا مَثَلًا كَمَا مَرَّ.قَوْلُهُ:(أَمَّا الشَّهِيدُ) أَيْ الَّذِي يُعْطَى مَنَازِلُ الشُّهَدَاءِ فِي الْآخِرَةِ.قَوْلُهُ:(الْعَارِي إلَخْ) أَيْ الْعَارِي عَنْ شَهَادَةِ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ عَدَمُ الْغُسْلِ وَالصَّلَاةِ،فَعُلِمَ أَنَّ الشَّهِيدَ قِسْمَانِ:شَهِيدٌ فِي الْآخِرَةِ دُونَ الدُّنْيَا وَهُوَ الْعَارِي عَنْ الضَّابِطِ الْمَذْكُورِ،وَشَهِيدٌ فِيهِمَا وَهُوَ مَنْ فِيهِ الضَّابِطُ الْمَذْكُورُ.نَعَمْ إنْ لَمْ يَكُنْ قَصْدُهُ إعْلَاءَ كَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى،بَلْ تَحْصِيلَ الْكَسْبِ أَوْ الْمُفَاخَرَةَ،أَوْ لِيُقَالَ:إنَّهُ شُجَاعٌ مَثَلًا فَهُوَ وَشَهِيدٌ فِي الدُّنْيَا دُونَ الْآخِرَةِ

---

181 – إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (٢/ ١٢٤)

فَهُوَ قِسْمٌ ثَالِثٌ.وَبَحَثَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ لَوْ عُلِمَ مِنْهُ ذَلِكَ وَجَبَ فِيهِ الْغُسْلُ،وَالصَّلَاةُ كَغَيْرِ الشَّهِيدِ فَرَاجِعْهُ.قَوْلُهُ:(كَالْغَرِيقِ) أَيْ وَإِنْ عَصَى فِيهِ بِنَحْوِ شُرْبِ خَمْرٍ.نَعَمْ يُسْتَثْنَى مِنْهُ مَنْ غَرَقَ بِسَيْرِ سَفِينَتِهِ وَفِي وَقْتِ هَيَجَانِ الْأَمْوَاجِ.قَوْلُهُ:(وَالْمَطْعُونِ) أَيْ الْمَيِّتُ بِالطَّاعُونِ وَلَوْ فِي غَيْرِ زَمَنِهِ،أَوْ بِغَيْرِهِ فِي زَمَنِهِ،أَوْ بَعْدَ زَمَنِهِ حَيْثُ كَانَ فِيهِ صَابِرًا مُحْتَسِبًا.....

(وَالْمَيِّتِ عِشْقًا) أَيْ وَلَمْ يَتَسَبَّبْ فِيهِ كَمَا قَالَهُ شَيْخُنَا الرَّمْلِيُّ،وَلَمْ يَرْتَضِهِ شَيْخُنَا الزِّيَادِيُّ،وَسَوَاءٌ كَانَ لِمَنْ يَحْرُمُ عِشْقُهُ كَالْمُرْدِ أَوْ لَا،وَشَرْطُهُ أَنْ يَكْتُمَ وَيَعِفَّ عَمَّا يَحْرُمُ وَلَوْ بِنَحْوِ نَظَرٍ.قَوْلُهُ:(وَالْمَيِّتَةِ طَلْقًا) وَلَوْ مِنْ زِنًى مَا لَمْ تَتَسَبَّبْ فِي الْإِجْهَاضِ.قَوْلُهُ:(وَالْمَقْتُولُ ظُلْمًا) وَلَوْ بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ كَمَا قِيلَ،وَمِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَنْ مَاتَ فِي غُرْبَةٍ أَوْ بِهَدْمٍ أَوْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.وَالْحَاصِلُ كَمَا قَالَهُ شَيْخُنَا الرَّمْلِيُّ:أَنَّهُ إنْ كَانَ سَبَبُ الْمَوْتِ مَعْصِيَةً كَشَرْقٍ بِشُرْبِ خَمْرٍ،أَوْ رُكُوبِ بَحْرٍ لِشُرْبِهِ،أَوْ تَسْيِيرِ سَفِينَةٍ فِي وَقْتِ رِيحٍ عَاصِفٍ كَمَا مَرَّ،أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ فَغَيْرُ شَهِيدٍ،وَإِلَّا فَشَهِيدٌ وَلَا يَضُرُّ مُقَارَنَةُ مَعْصِيَةٍ لَيْسَتْ سَبَبًا كَزِنًى وَنُشُوزٍ،وَإِبَاقٍ وَشُرْبِ خَمْرٍ كَرَاكِبِ سَفِينَةٍ لِغَيْرِ شُرْبِهِ فَتَأَمَّلْ"[182].

فهنا نص الشافعية على أن قتيل المعركة شهيد،سواء قتل في معركة مع عدو كافر خارجي،أو بيد عدو داخلي ثبتت ردته وكفره،كحال طغاة العرب اليوم!

وقال في مطالب أولي النهى في فقه الحنابلة:(سِوَى (مَقْتُولٍ ظُلْمًا) كَمَنْ قَتَلَهُ نَحْوُ لِصٍّ أَوْ أُرِيدَ مِنْهُ الْكُفْرُ،فَقُتِلَ دُونَهُ،أَوْ أُرِيدَ عَلَى نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ حُرْمَتِهِ فَقَاتَلَ دُونَ ذَلِكَ فَقُتِلَ لِحَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ مَرْفُوعًا " «مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»رَوَاهُ أَبُو دَاوُد وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَلِأَنَّهُمْ مَقْتُولُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ أَشْبَهُوا قَتْلَى الْكُفَّارِ فَلَا يُغَسَّلُونَ،بِخِلَافِ نَحْوِ الْمَبْطُونِ وَالْمَطْعُونِ وَالْغَرِيقِ وَنَحْوِهِمْ (وَلَوْ) كَانَ شَهِيدُ مَعْرَكَةٍ وَمَقْتُولٌ ظُلْمًا ")[183].

182 – حاشية البجيرمي على شرح المنهج = التجريد لنفع العبيد (١/ ٤٨٧) وحاشيتا قليوبي وعميرة (١/ ٣٩٦)

183 – شرح منتهى الإرادات = دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (١/ ٣٤٤) ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٨٤٥)

وجاء في منار السبيل في فقه الحنابلة:(وشهيد المعركة لا يغسل،ولا يكفن،ولا يصلى عليه،لحديث جابر أن النبي ﷺ (أمر بدفن شهداء أحد في دمائهم و لم يغسلوا،و لم يصل عليهم) رواه البخاري.والمقتول ظلما لا يغسل،ولا يكفن،ولا يصلى عليه،لحديث سعيد بن زيد مرفوعا (من قتل دون دينه فهو شهيد،ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون ماله فهو شهيد) رواه أبو داود والترمذي وصححه،وعنه:يغسل ويصلى عليه،لأن ابن الزبير غُسل وصلي عليه،فأما الشهيد بغير قتل كالمطعون والمبطون فيغسل لا نعلم فيه خلافا).

وفي فتاوى محمد بن إبراهيم مفتي المملكة الأسبق (الشهداء وأحكامهم:الشهداء أوصلهم بعض العلماء بالتتبع إلى نحو عشرين،لكنهم ينقسمون إلى أربعة أقسام:

قسم شهيد في الدنيا والآخرة:وهو قتيل المعركة الذي قتل صابرا لإعلاء كلمة الله،فهذا لا يغسل في الدنيا ولا يصلى عليه،لفعله ﷺ بقتلى أحد،وما جاء أنه صلى عليهم فلا يصح،وإن صح فليس معناه إلا الدعاء لهم في مصارعهم.

وشهيد في الدنيا فقط:وهو من قتل في المعركة،لكن نيته ليست في سبيل الله.

وشهيد في الآخرة فقط:وهو الذي قاتل في سبيل الله فقتل وتأخر موته،فيصلى عليه في الدنيا ويغسل..

والمقتول ظلما مثل شهيد المعركة في الأحكام الدنيوية،وكذلك في الأجر بالنسبة إلى مقامه فإنه شهيد في الدنيا والآخرة،أما بقية الشهداء — كالمبطون والمطعون والغريق والحريق الخ – فإن لهم أحكام الشهداء في الآخرة لا في الدنيا،فالواحد منهم يغسل ويصلى عليه)[١٨٤].

فجعل الشيخ المقتول ظلما كشهيد المعركة في الحكم الدنيوي فلا يصلى يغسل ولا يصلى عليه ويدفن في ثيابه،وفي الحكم الأخروي والثواب يوم القيامة..

وقال ابن عثيمين في شرح الزاد:(وقوله:«ومقتول ظلماً»،أي:المقتول ظلماً لا يغسل أيضاً؛ لأن المقتول ظلماً شهيد،عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ قُتِلَ

184 – فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ (٣/ ١٨٦)

دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ،وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[185] .

والصحيح أن المقتول ظلماً يغسل كغيره من الناس؛ لأنه داخل في عمومات الأدلة الدالة على وجوب الغَسْل،وهذه العمومات لا يمكن أن يخرج منها شيء إلاَّ ما دلّ الدليل عليه،وهو شهيد المعركة.

ولا يمكن أن يساوى المقتول ظلماً بشهيد المعركة،وإن كان يطلق عليه اسم شهيد،فالمطعون شهيد،والمبطون شهيد،والغريق شهيد،والحريق شهيد،وليس كل ما أطلق عليه اسم الشهيد يكون حكمه كشهيد المعركة؛ لأن شهيد المعركة مدَّ رقبته إلى عدوه ليقطعها في سبيل الله،والمقتول ظلماً أُكره على المقاتلة حتى قتل،فبينهما فرق عظيم.)[186] .

فالشيخ ابن عثيمين يرجح كون القتيل ظلما يغسل ويصلَّى عليه كسائر الأموات،إلا أنه لا ينفي عنه اسم ووصف الشهادة الدنيوي وثوابها الأخروي لثبوتها له بنص الشارع!

فانظر كيف يطلق الفقهاء على أعيان قتلى المعركة اسم ووصف الشهيد،وكيف يجرون عليهم أحكاما خاصة بناء على هذا الوصف الشرعي،ومثلهم في الحكم القتيل ظلما خاصة من قتل دون حقه،بناء على إطلاق وصف الشهادة عليهم بأعيانهم!

المطلب الخامس –حكم أصحاب المعاصي إذا تحقق لهم وصف الشهادة:

لا فرق في هذه الأحكام بين قتلى المتظاهرين الصالح منهم وغير الصالح،كما نصَّ الفقهاء في شهداء المعركة،وهو ظاهر النصوص الشرعية حيث قالوا عن شهيد المعركة:هو كل قتيل من المسلمين في حرب مع عدوهم،صالحا كان أو فاسقا،سنيا كان أو بدعيا،(قَالَ الزَّين بن الْمُنير:والْمُراد بالشَّهِيد قَتِيل الْمَعرَكَة فِي حَرب الكُفَّار انتَهَى.وكَذا الْمُراد بقَوله بَعد " مَن لَم يَرَ غُسل الشَّهِيد " ولا فَرق فِي ذَلِكَ بَين الْمَرأَة والرَّجُل صَغِيرًا أَو كَبِيرًا حُرًّا أَو عَبدًا صالِحًا أَو غَير صالِح،وخَرَجَ بِقَولِه:"الْمَعرَكَة " مَن جُرِحَ فِي القِتال وعاشَ بَعد ذَلِكَ

---

[185] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٣٠)(١٤٢١) صحيح

[186] – الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ٢٨٨)

حَياة مُستَقرَّة،وخَرَجَ بحَربِ الكُفّار مَن ماتَ بقتالِ المُسلمينَ كَأَهلِ البَغي،وخَرَجَ بجَميعِ ذَلكَ مَن سُمِّيَ شَهيدًا بسَبَبٍ غَير السَّبَب المَذكُور،وإنَّما يُقال لَهُ شَهيد بِمَعنَى ثَواب الآخرَة،وهَذا كُلّه عَلَى الصَّحيح من مَذاهب العُلَماء.)[١٨٧] .

وجاء في رد المحتار في فقه الحنفية:(الْمَعْصِيَةُ هَلْ تُنَافِي الشَّهَادَةَ؟

ذَكَرَ الْأُجْهُورِيُّ قَالَ فِي الْعَارِضَةِ:مَنْ غَرِقَ فِي قَطْعِ الطَّرِيقِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَعَلَيْهِ إثْمُ مَعْصِيَتِهِ وَكُلُّ مَنْ مَاتَ بِسَبَبِ مَعْصِيَةٍ فَلَيْسَ بِشَهِيدٍ،وَإِنْ مَاتَ فِي مَعْصِيَةٍ بِسَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الشَّهَادَةِ فَلَهُ أَجْرُ شَهَادَتِهِ وَعَلَيْهِ إثْمُ مَعْصِيَتِهِ،وَكَذَلِكَ لَوْ قَاتَلَ عَلَى فَرَسٍ مَغْصُوبٍ،أَوْ كَانَ قَوْمٌ فِي مَعْصِيَةٍ فَوَقَعَ عَلَيْهِمْ الْبَيْتُ فَلَهُمْ الشَّهَادَةُ،وَعَلَيْهِمْ إثْمُ الْمَعْصِيَةِ انْتَهَى.

ثُمَّ نَقَلَ عَنْ بَعْضِ شُيُوخِهِ أَنَّهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ مَنْ شَرِقَ بِالْخَمْرِ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ لِأَنَّهُ مَاتَ فِي مَعْصِيَةٍ لَا بِسَبَبِهَا ثُمَّ نَظَرَ فِيهِ لِأَنَّهُ مَاتَ بِسَبَبِهَا لِأَنَّ الشَّرْقَةَ بِالْخَمْرِ مَعْصِيَةٌ لِأَنَّهَا شُرْبٌ خَاصٌّ.قَالَ:وَيُتَرَدَّدُ النَّظَرُ فِيمَنْ مَاتَتْ بِالْوِلَادَةِ مِنْ الزِّنَا فِي أَنَّ سَبَبَ السَّبَبِ هَلْ يَكُونُ بِمَنْزِلَةِ السَّبَبِ فَلَا تَكُونُ شَهِيدَةً أَمْ لَا وَالظَّاهِرُ الْأَوَّلُ.اهـ.وَجَزَمَ الرَّمْلِيُّ الشَّافِعِيُّ بِالثَّانِي،وَقَالَ:أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنْ رَكِبَ الْبَحْرَ لِمَعْصِيَةٍ أَوْ سَافَرَ آبِقًا أَوْ نَاشِزَةً،بِخِلَافِ مَا إذَا رَكِبَ الْبَحْرَ فِي وَقْتٍ لَا تَسِيرُ فِيهِ السُّفُنُ أَوْ تَسَبَّبَتْ امْرَأَةٌ فِي إلْقَاءِ حَمْلِهَا لِلْعِصْيَانِ بِالسَّبَبِ اهـ مُلَخَّصًا.

قُلْت:الَّذِي يَظْهَرُ تَقْيِيدُ رُكُوبِ الْبَحْرِ أَوْ السَّفَرِ بِمَا إذَا كَانَ لِغَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَإِلَّا كَانَ مَعْصِيَةً لِكَوْنِهِ سَبَبًا لِلْمَعْصِيَةِ،فَهُوَ كَمَنْ قَاتَلَ عَصَبِيَّةً.فَجُرِحَ ثُمَّ مَاتَ،فَالْمُنَاسِبُ مَا نَقَلَهُ عَنْ بَعْضِهِمْ مِنْ تَقْيِيدِ السَّفَرِ بِالْإِبَاحَةِ،وَاَللَّهُ أَعْلَمُ)[١٨٨] .

ولا يقتضي الحكم لمن سبق بالشهادة الدنيوية والأخروية القطع لهم بالجنة والشهادة لهم بها،إذ لا يعلم نياتهم وقبول أعمالهم إلا الله،قال الحافظ ابن حجر:" قَوله:"بابُ لا يُقالُ فُلانُ شَهِيدٌ" أي عَلَى سَبِيلِ القَطعِ بِذَلِكَ إِلاَّ إِن كانَ بِالوحي .....

---

[187] – فتح الباري شرح صحيح البخاري– ط دار المعرفة (٣/ ٢٠٩)

[188] – الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) (٢/ ٢٥٣)

وعَلَى هَذا فالُمراد النَّهي عَن تَعيينِ وصفٍ واحدٍ بعَينه بِأَنَّهُ شَهيد بَل يَجُوزُ أَن يُقالَ ذَلِكَ عَلَى طَريقِ الإجمال.

وإِن كانَ مَعَ ذَلكَ يُعطَى حُكمَ الشُّهَداءِ فِي الأَحكامِ الظّاهِرَةِ ولِذَلكَ أَطبَقَ السَّلَف عَلَى تَسميَةِ المَقتُولِينَ فِي بَدرٍ وأُحُد وغَيرِهما شُهَداء.

والمُراد بِذَلِكَ الحُكمُ الظّاهِر المَبنِيّ عَلَى الظَّنِّ الغالِب واللَّهُ أَعلَمُ"[189]..

وهكذا يقال في المقتول دون ماله وعرضه،والمقتول ظلما،لا فرق بين صالح وفاسق،بل كل من قتل مظلوما من المسلمين،فهو شهيد في أحكام الدنيا،وله أحكام الشهداء،وأما الآخرة فهو شهيد بحكم الظاهر،ولا يقطع له بالشهادة بالجنة،بل نرجو له ذلك!

فهذه أحكام شهداء الثورة العربية،على فرض أنهم لا يريدون إلا الدفاع عن حقوقهم،وعلى فرض أن السلطة شرعية،أما من قاتل منهم لتكون كلمة الله هي العليا فهذا أشرف أنواع الجهاد في سبيل الله،وهو أعلى درجة عند الله ممن قاتل فقط دفاعا عن نفسه وماله وأرضه،وإن كان كلاهما مجاهد وشهيد،وكما في الحديث الصحيح عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ،قالَ:سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا،أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[190]

وكما في الحديث الآخر عَنِ ابْنِ مَسْعُود،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ أَكْثَرَ شُهَدَاءِ أُمَّتِي أَصْحَابُ الْفُرُشِ،وَرُبَّ قَتِيلٍ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِنِيَّتِهِ»[191].

وأحق هؤلاء بوصف الشهادة من قتل مظلوما بيد سلطان جائر،لقصده إقامة الحق والعدل،كما في الحديث عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ»[192]

---

189 - فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (٦/ ٩٠)

190 - صحيح البخاري (١/ ٦)(١) وصحيح مسلم (٣/ ١٥١٥)١٥٥ - (١٩٠٧)

191 - مسند أحمد ط الرسالة (٦/ ٣١٣)(٣٧٧٢) ومسند ابن أبي شيبة (١/ ٢٧٠)(٤٠٣) وفتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (١/ ١١) وقال:ورجال سَنَده مُوَثَّقُونَ.

192 - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢١٥)(٤٨٨٤) صحيح لغيره

وجهاد أئمة الجور بالقول والفعل واجب حسب الاستطاعة كما في صحيح مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ،وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ،ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ،فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[193]

وأحق منه بالشهادة من قام لإعلاء كلمة الله،فقتل مظلوما بيد الطاغوت وأئمة الطغيان ممن ثبتت ردهم وزندقتهم!

ومما يؤكد ذلك إطباق الأمة على أن الحسين بن علي قتل مظلوما شهيدا،وكذا عبد الله بن الزبير،وكذا أهل الحرة،ودير الجماجم،وكذا أطلق الأئمة وصف الشهيد على كثير من العلماء والمصلحين،كالإمام أحمد بن نصر الخزاعي،وقد قال عنه الذهبي:(الإِمَامُ الكَبِيْرُ،الشَّهِيْدُ،أَبُو عَبْدِ اللهِ أَحْمَدُ بنُ نَصْرِ بنِ مَالِكِ بنِ الهَيْثَمِ الخُزَاعِيُّ،المَرْوَزِيُّ،ثُمَّ البَغْدَادِيُّ.

كَانَ جَدُّهُ أَحَدَ نُقَبَاءِ الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ،وَكَانَ أَحْمَدُ أَمَّاراً بِالمَعْرُوْفِ،قَوَّالاً بِالْحَقِّ)[194]

وكان قد خرج وأعد العدة،وبايعه الناس سرًّا على الأمر بالمعروف،وخلع الواثق العباسي،سنة ٢٣١هـ،فظفروا به،وامتحنه الواثق في خلق القرآن فلم يجبه،فأمر به وصلب،قَالَ المَرُّوْذِيُّ:سَمِعْتُ أَحْمَدَ ذَكَرَ أَحْمَدَ بنَ نَصْرٍ،فَقَالَ:رَحِمَهُ اللهُ،لَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ[195].

وقَالَ ابْنُ الجُنَيْدِ:سَمِعْتُ يَحْيَى بنَ مَعِيْنٍ يَتَرَحَّمُ عَلَيْهِ،وَقَالَ:خَتَمَ اللهُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ،قَدْ كَتَبْتُ عَنْهُ"[196]

---

193 - صحيح مسلم (١/ ٦٩)٨٠ - (٥٠)

194 - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ١٦٦) وتاريخ الإسلام ت بشار (٥/ ٧٦٦)

195 - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ١٦٨)

196 - سير أعلام النبلاء ط الرسالة (١١/ ١٦٧)

المطلب السادس–حكم خروج أهل الذمة على السلطة الجائرة:

إذا خرج أهل الذمة على سلطة أئمة الجور،فحكمهم حكم المسلمين الذين يخرجون على الظلمة من حيث حرمة قتالهم،إذا كانوا خرجوا لدفع الظلم عنهم!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وَقَد اتَّفَقَت الصَّحَابَةُ عَلَى قِتَالِهِمْ،(الخوارج) وَلَا خِلَافَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السُّنَّة أَنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ مَعَ أَئِمَّة الْعَدْل،مِثْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لَكِنْ هَلْ يُقَاتلُونَ مَعَ أَئِمَّة الْجَوْرِ؟ فَنُقِلَ عَنْ مَالِك أَنَّهُمْ لَا يُقَاتِلُونَ،وَكَذَلِكَ قَالَ فِيمَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّة:لَا يُقَاتلُونَ مَعَ أَئِمَّة الْجَوْرِ،وَنُقِلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ فِي الْكُفَّارِ،وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنْ مَالِك وَبَعْضِ أَصْحَابِه،وَنُقِلَ عَنْهُ خِلَافُ ذَلِكَ،وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ،وَأَكْثَرُ أَصْحَابِه خَالَفُوهُ فِي ذَلِكَ،وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ،وَقَالُوا:يُغْزَى مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا إذَا كَانَ الْغَزْوُ الَّذِي يَفْعَلُهُ جَائِزًا،فَإِذَا قَاتَلَ الْكُفَّارَ أَوِ الْمُرْتَدِّينَ أَوْ نَاقِضِي الْعَهْدِ أَوِ الْخَوَارِجَ قِتَالًا مَشْرُوعًا قُوتِلَ مَعَهُ،وَإِنْ قَاتَلَ قِتَالًا غَيْرَ جَائِزٍ لَمْ يُقَاتَلْ مَعَهُ،فَيُعَاوَنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،وَلَا يُعَاوَنُ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَان،كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ يُسَافِرُ مَعَ مَنْ يَحُجَّ وَيَعْتَمِرَ،وَإِنْ كَانَ فِي الْقَافِلَة مَنْ هُوَ ظَالِمٌ،فَالظَّالِمُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَاوَنَ عَلَى الظُّلْمِ،لِأَنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – يَقُولُ:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سُورَةُ الْمَائِدَة:٢] .

وَقَالَ مُوسَى:{رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}[سُورَةُ الْقَصَص:١٧].

وَقَالَ – تَعَالَى –:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [سُورَةُ هُود:١١٣] .

وَقَالَ – تَعَالَى –:{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} [سُورَةُ النِّسَاء:٨٥] .

وَالشَّفِيعُ:الْمُعِينُ،فَكُلُّ مَنْ أَعَانَ شَخْصًا عَلَى أَمْرٍ فَقَدْ شَفَّعَهُ فِيه،فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَانَ أَحَدٌ:لَا وَلِيُّ أَمْرٍ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ،وَأَمَّا إذَا كَانَ لِلرَّجُلِ ذُنُوبٌ،وَقَدْ فَعَلَ بِرًّا،فَهَذَا إذَا أُعِينَ عَلَى الْبِرِّ،لَمْ يَكُنْ هَذَا مُحَرَّمًا،كَمَا لَوْ أَرَادَ مُذْنِبٌ أَنْ يُؤَدِّيَ زَكَاتَهُ،أَوْ يَحُجَّ،أَوْ يَقْضِيَ دُيُونَهُ،أَوْ يَرُدَّ بَعْضَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْمَظَالِمِ،أَوْ يُوصِيَ عَلَى بَنَاته – فَهَذَا إذَا

أُعِينَ عَلَيْهِ فَهُوَ إِعَانَةٌ عَلَى بِرٍّ وَتَقْوَى،لَيْسَ إِعَانَةً عَلَى إِثْمٍ وَعُدْوَانٍ،فَكَيْفَ الْأُمُورُ الْعَامَّةُ؟[197].

الخلاصة في هذا الموضوع

ويتلخص من كل ما سبق بيانه ما يلي:

أولا:مشروعية الثورة السلمية بل والثورة المسلحة على الأنظمة الطاغوتية التي تحكم الأمة اليوم،لعدم شرعيتها من جهة،ولطغيانها وحق الشعوب في تغييرها من جهة أخرى.

ثانيا:مشروعية التظاهرات السلمية الشعبية لمنع الظلم وتغيير المنكر،وهي تدخل في مفهوم اليد كما في الحديث الصحيح عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ:أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرْوَانُ.فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ،فَقَالَ:الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ،فَقَالَ:قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ،فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ:أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» .[198]

فقدم الشارع التغيير باليد وهو الفعل،على التغيير باللسان والقول،واليد تصدق على القوة بكل صورها،ومنها القوة السياسية التي تستطيع الشعوب من خلالها الضغط على الحكومات وإسقاطها أو إصلاحها،أو كف ظلمها،والأخذ على يدها.

ثالثا:ومشروعية القتال دون الحقوق الدنيوية،إذا لم تستطع الأمة حماية حقوقها إلا بالقتال.

رابعا:وأن من يقتَل في هذه المظاهرات والثورات فهو شهيد،وله أحكام شهداء المعركة.

خامسا:وأنه لا فرق بين من خرج بشكل سلمي فقتل مظلوما،كما جرى في تونس ومصر واليمن وسوريا،ومن قاتل دون حقه وقتل،كما جرى في ليبيا،فكلاهما شهيد في حكم الدنيا والآخرة.

---

[197] - منهاج السنة النبوية (٦/ ١١٦) فما بعدها

[198] - صحيح مسلم (١/ ٦٩)٧٨ - (٤٩)

سادسا:وأنه لا فرق في وصف الشهادة وحكمها بين صالح وعاص،وسني وبدعي،إذا ثبت لهم سبب الشهادة ووصفها،لعموم النصوص،كشهداء المعركة،فإنه لا فرق بينهم بلا خلاف.

سابعا:وأن وصف الشهادة يطلق على الأعيان الذين أطلق عليهم الشارع هذا الوصف،ويبنى عليه أحكام محددة بحقهم،ومنهم المقتول ظلما،ومن قتل دون حقه!

ثامنا:وأن من خرج في التظاهرات بنية إقامة حكم الله وعدله فقُتل،فهو في سبيل الله،وهو أشرف وأعلى أنواع الشهادة!

تاسعا:وأنه يحرم القتال مع السلطة الجائرة فضلا عن الكافرة،ويحرم إعانتها إذا قاتلت من خرج عليها دفاعا عن حقه،ورفضا لظلمها،حتى وإن كان الخارج عليها غير مسلم،فيحرم إعانة السلطة عليه،كما نص عليه شيخ الإسلام ابن تيمية،وهو مذهب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد.

عاشرا:وأنه إذا جاز خروج غير المسلمين على الإمام الشرعي،لدفع جوره وظلمه عنهم،وإذا كان يحرم إعانة الجائر عليهم،بل ويجب إعانتهم على دفع الظلم عن أنفسهم،كما في الحديث عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ:" يَا هَذَا ، اتَّقِ اللهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ ، فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ " ، " ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ ، فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ " ، ثُمَّ قَالَ " {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:٧٩] " ، ثُمَّ قَالَ:" كَلَّا وَاللهِ ، لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدِ الظَّالِمِ ، وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا "[١٩٩].

[199] – السنن الكبرى للبيهقي (١٠/ ١٥٩)(٢٠١٩٦) وسنن الترمذي ت شاكر (٥/ ٢٥٢)(٣٠٤٨) حسن

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[200]

فمن باب أولى إذا خرج عليه المسلمون لدفع ظلمه،وحماية حقوقهم،فضلا عن السلطان إذا كان غير شرعي،أو كان طاغوتا يحكم بينهم بغير ما أنزل الله،فجهاده أوجب،ويحرم إعانته وطاعته،بل يجب الكفر به والبراءة منه،كما قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء:٦٠].ويجب قتاله وجهاده على من استطاعه كما قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء:٧٦].

فاللهم انصر المستضعفين وخذ بأيديهم وثبت أقدامهم وانصرهم على عدوك وعدوهم آمين آمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الأحد ٢ شعبان ١٤٣٢هـ الموافق ٤ يوليو ٢٠١١م



[200] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٤٦٨)(٢١٦٩) حسن

المبحث السابع

شهداء الثورات العربية بين جرائم الطغاة وفتنة الدعاة

المطلب الأول–أسباب الكتابة في هذا الموضوع الجلل:

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وبعد ..

جاء في الحديث الصحيح عَنْ ثَوْبَانَ،أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:«إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا،وَأَعْطَانِي الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ،وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا،وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ،وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيُهْلِكَهُمْ،وَلَا يُلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ،فَقَالَ:يَا مُحَمَّدُ،إِنِّي إِذَا أَعْطَيْتُ عَطَاءً فَلَا مَرَدَّ لَهُ،إِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا يُهْلَكُوا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ،وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَيَسْتَبِيحَهُمْ،وَلَكِنْ أُلْبِسُهُمْ شِيَعًا،وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا،وَبَعْضُهُمْ يُفْنِي بَعْضًا،وَبَعْضُهُمْ يَسْبِي بَعْضًا،وَإِنَّهُ سَيَرْجِعُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي إِلَى التُّرْكِ،وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَإِنَّ مِنْ أَخْوَفِ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ،وَإِنَّهُمْ إِذَا وُضِعَ السَّيْفُ فِيهِمْ لَمْ يُرْفَعْ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ مِنْ أُمَّتِي كَذَّابُونَ دَجَّالُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ،وَإِنِّي خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ،لَا نَبِيَّ بَعْدِي،وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ»[٢٠١].

وعَنْ أَبِي مِحْجَنٍ قَالَ:أَشْهَدُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:" أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي بَعْدِي ثَلَاثًا:حَيْفُ الْأَئِمَّةِ،وَإِيمَانٌ بِالنُّجُومِ،وَتَكْذِيبٌ بِالْقَدَرِ "[٢٠٢]

وعن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ اسْتَقْبَلَ بِي الشَّامَ وَوَلَّى ظَهْرِي الْيَمَنَ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ إني جعلت ما ورائك مَدَدًا لَكَ وَجَعَلْتُ مَا تجَاهَكَ عِصْمَةً لَكَ وَرِزْقًا ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَزَالُ اللَّهُ يَزِيدُ الإِسْلامَ وَأَهْلَهُ

---

201 - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٥/ ١٠٩) (٦٧١٤) صحيح

202 - جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٧٩٥)(١٤٨٢) حسن لغيره

وَيَقْبِضُ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بين النُّطْفَتَيْنِ لا يَخْشَى إِلا جَوْرًا يَعْنِي جَوْرَ السُّلْطَان.."[203]

كنت أظن – وأكذب الحديث الظن – أن الخلاف في حكم قتلى الثورة العربية هو فقط في هل هم شهداء لهم أحكام الشهداء في الدنيا والآخرة؟ أم شهداء في حكم الآخرة فقط؟ أم ليسوا شهداء وإنما هم كسائر أموات المسلمين؟

و لم أتصور أن يصل الخلاف فيهم إلى ما هو أبعد من ذلك كأن يدعي أحد بأهم خوارج وحرورية! وأن يدعي أحد أن ابن علي في تونس وبشار في سوريا والقذافي في ليبيا وحسني في مصر وعلي صالح في اليمن وأشباههم ولاة أمر تجب طاعتهم،وأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله،ومن خرج عليهم ولو بشكل سلمي فيجب قتله وسفك دمه؟! ومن مات منهم مات ميتة جاهلية!

وحين يصل الخلاف إلى هذا الحد،وإلى حد تصور أن هؤلاء ولاة أمر شرعيون،وأن طاعتهم من طاعة الله ورسوله،وأهم يدخلون في عموم قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء:٥٩]،وليس في عموم قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة:٥١]،ولا في عموم {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء:٦٠]!.

وحين تنزّل فيهم وعليهم نصوص السمع والطاعة،والصبر على جور أئمة المسلمين،فإن الموضوع حينئذ يخرج بنا عن مسألة القتلى وحكمهم،إلى مسألة أخرى أشد خطرا في الدين والاعتقاد تتمثل في:ما هو الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ؟ وما حقيقة التوحيد الذي

---

203 – فضائل الشام للسمعاني (ص: ٤٤)(١٧) صحيح لغيره

دعا إليه؟ وما هو الطاغوت الذي يجب الكفر به؟ وما هي الإمامة الشرعية التي يجب لهـا السمع والطاعة؟ ومتى تكون السلطة شرعية ومتى لا تكون؟ ...الخ

إلى عشرات الأسئلة التي هي مقدمات طبيعية لا يمكن فهم موضوع حكم شهداء الثورة ما لم يتم فهم تلك المقدمات! مع أن عامة المسلمين بفطرهم السليمة لا يحتـاجون إلى كـل ذلك!

لقد جاءتني رسائل كثيرة من بعض الدعاة وطلبة العلم الشرعي يستشكلون بعض ما جاء من ردود على المقال،مع أن تلك الردود هي دليل أزمة فكرية تعيشها الأمة بسبب عجـز دعاهَا وعلمائها حين فاجأهم الأحداث وتجاوزهم،وإذا الأمة تشق طريقها نحـو حريتـها وكرامتها وإنسانيتها المسلوبة،بعد عقود من التيه،الذي لم يستطع الدعاة خلاله إخراجهـا مما هي فيه،بعد أن تحالف قسم كبير منهم في كل بلد مع نظامه وطاغوته على حسـاب حرية الأمة وكرامتها وحقوقها،فلم يأخذوا بالعزيمة ويجاهدوا الطاغوت،ولا هم اعتزلـوه كما أمر الله بقوله:{ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ } [هود:١١٣]!

فلما مضت وحدها تدكُّ عروش الطغاة،وتنسفها في اليم نسفا،فتذرها قاعا صفصـفا،فإذا أولئك المفتونون يحنُّون من حيث يشعرون أو لا يشعرون،إلى الطغـاة وعهودهم،الـذين أشربوا حبهم في قلوبهم واتخذوهم أندادا من دون الله،يوالون من يوالوهم،ويعادون مـن يعادوهم،فلم يجدوا لتبرير صمتهم طول هذه المدة،ولتبرير تخلفهم عن الوقوف مع الأمة في ثورها ضد الظلم والاستبداد،وضد الفوضى والفساد،وضد الخيانة والعمالة التي تأباها كل شعوب الأرض على حكوماها،إلا بادعاء أن الدين يمنعهم من ذلك!

وأن في أعناقهم بيعة لطواغيتهم! وأن من خرج عليهم فمات مات ميتة جاهلية!

وأن أهل السنة يحرمون الخروج ..الخ!

فإذا الأمة بين طغيان الرؤساء الذين يقاتلوها،وفتنة الدعاة الذين يضلوها ويخذلوها!

المطلب الثاني–هل الحكومات العربية التي تحكم بالحديد والنار لها ولاية شرعية ؟

وهل المقتول ظلما وفي المظاهرات ودون حقه ينطبق عليه أحكام الشهداء؟

والسؤال هنا هل هذه الحكومات العربية الإجرامية - **التي تحكم الأمة بالحديد والنار،بدعم من العدو الخارجي،الذي فرضها على الأمة** - لها ولاية شرعية؟ وإذا كانت كذلك فهل لها أن تقتل شعبها إذا خرج يدعوها بشكل سلمي إلى رفع الظلم عنه؟ وإذا كان لا يحق لها ذلك فما حكم من قتلته؟ وهل يصدق عليه أنه مقتول ظلما وبغيا أم لا؟ وهل يدخل في عموم النصوص التالية أم لا ؟

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ فَقَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَته فَهُوَ شَهِيدٌ»[٢٠٤]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَاله فَهُوَ شَهِيدٌ»[٢٠٥]

فأقول سبق في مقالي (**الأحكام الفقهية لشهداء الثورة العربية**)،بيان القول في أقسام الشهداء وأحكامهم بحسب ما جاءت به السنة،وبحسب أقوال الأئمة،وبينت أنه لا خلاف بين الفقهاء في إثبات وصف الشهادة لـ:

١- المقتول ظلما،ممن خرج في المظاهرات يدعو إلى رفع الظلم،بشكل سلمي،و لم يقاتل،فقتل على يد السلطة،كما جرى في تونس ومصر واليمن وسوريا.

٢- والمقتول دون حقه،ممن قاتل دفعا لعدوان السلطة التي اعتدت عليه،كما جرى ويجري في ليبيا.

٣- والمقتول في المظاهرات،ممن خرج احتسابا وتغييرا للمنكر.

فكل هؤلاء شهداء،ويسمون شهداء،ويطلق على أعيانهم هذا الوصف كما تواترت به السنة،بلا خلاف بين الأئمة،وإنما اختلف الفقهاء في هل هم كشهداء المعركة لا يغسلون ولا يصلى عليهم،وهم الشهداء في حكم الدنيا والآخرة؟

---

[204] - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٥)(٣٥٤٥) صحيح

[205] - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٢)(٣٥٣٦) صحيح

أم يغسلون ويصلى عليهم كشهداء الغرق والحريق والطاعون ونحوهم ممن وردت السنة بإطلاق وصف الشهادة عليهم،وقد بلغ عددهم عند بعض الفقهاء عشرين صنفا،وهم الشهداء في حكم الآخرة،دون حكم الدنيا؟[206]

والفرق بين شهيد المعركة وشهيد الحريق ونحوه هو في أحكام الدنيا فقط،فشهيد المعركة لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ويدفن بلباسه،بخلاف شهيد الغرق والحريق والطاعون ونحوهم فإنهم شهداء إلا أنهم يغسلون ويكفنون ويصلَّى عليهم كسائر أموات المسلمين،وأما في حكم الآخرة فهم جميعا شهداء لهم الثواب الموعود للشهداء يوم القيامة،فلا يتعرضون لفتنة القبر ولا فتنة البرزخ ولا فتنة الحساب[207]،بل يدخلون الجنة بلا حساب ولا عقاب،رحمة من الله بهم لما تعرضوا له من فتنة وتمحيص في الدنيا والوفاة بتلك الأسباب التي هي من أشد البلاء،ويختص شهداء المعركة عن باقي الشهداء بكونهم أحياء عند ربهم يرزقون،قال تعالى:{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ

---

206 – للإمام السيوطي رحمه الله رسالة خاصة بشهداء غير المعركة
ذَهَبَ الْفُقَهَاءُ إِلَى أَنَّ لِلظُّلْمِ أَثَرًا فِي الْحُكْمِ عَلَى الْمَقْتُول بِأَنَّهُ شَهِيدٌ، وَيُقْصَدُ بِهِ غَيْرُ شَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ مَعَ الْكُفَّارِ، وَمِنْ صُوَرِ الْقَتْل ظُلْمًا: قَتِيل اللُّصُوصِ وَالْبُغَاةِ وَقُطَّاعِ الطُّرُقِ، أَوْ مَنْ قُتِل مُدَافِعًا عَنْ نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ دَمِهِ أَوْ دِينِهِ أَوْ أَهْلِهِ أَوِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ أَهْل الذِّمَّةِ، أَوْ مَنْ قُتِل دُونَ مَظْلَمَةٍ، أَوْ مَاتَ فِي السِّجْنِ وَقَدْ حُبِسَ ظُلْمًا .انظر: الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي – دار الفكر (٢/ ٦٩٩) والموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (٢٩/ ١٧٤) و فتاوى الزحيلي (٢/ ١٢١) وفتاوى الشبكة الإسلامية (١/ ١٧٥١) الفرق بين شهيد المعركة وغيره من الشهداء وفتاوى الشبكة الإسلامية (١١/ ١٢٦٤٢) شهداء الآخرة..وهل يغفر للغريق الدين وفتاوى الشبكة الإسلامية (١١/ ١٢٦٥٣)شهداء غير المعركة وفتاوى الشبكة الإسلامية (١١/ ٢٠٧٧١)شهيد المعركة أكثر ثوابا من باقي أصناف الشهداء وفتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٠/ ٣٨٢) حكم تغسيل ودفن الذي يقتل بين القبائل بدون ذنب وفتاوى موقع الألوكة (/ ١) متى يسمى القتيل شهيداً ؟ وفتاوى واستشارات الإسلام اليوم (٧/ ٣٥٩) فضل شهيد المعركة على غيره وموقع الإسلام سؤال وجواب (٥/ ٤٨١٦) هل المسلم المقتول ظلماً أو غدراً أو هدم عليه بيته يكون شهيداً؟

207 – عَنْ رَجُلٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً»السنن الكبرى للنسائي (٢/ ٤٧٤)(٢١٩١) صحيح

مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)} [آل عمران:١٦٩ - ١٧١]

وبأهم أعلى درجة في منزلة الشهادة من غيرهم من الشهداء،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)،قَالَ:«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،وَأَقَامَ الصَّلاَةَ،وَصَامَ رَمَضَانَ،كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ:«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ،وَأَعْلَى الجَنَّةِ،وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»٢٠٨

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»٢٠٩

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«مَنْ أَقَامَ الصَّلَاةَ،وَآتَى الزَّكَاةَ،وَمَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا،كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ هَاجَرًا وَمَاتَ فِي مَوْلِدِهِ» فَقُلْنَا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَلَا نُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا بِهَا؟ فَقَالَ:«إِنَّ لِلْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،وَلَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ،وَلَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ،وَلَا تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي،مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ،وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ،ثُمَّ أُحْيَا،ثُمَّ أُقْتَلُ»٢١٠

حتى أن شهيد المعركة يشفع في سبعين من أهله ممن وجبت لهم النار!

فعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ،وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ

208 - صحيح البخاري (٩/ ١٢٥)(٧٤٢٣)

209 - تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا (٣/ ١٠٤٤) صحيح

210 - سنن النسائي (٦/ ٢٠)(٣١٣٢) صحيح لغيره

الفَزَعِ الأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَــا،وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ " [٢١١]

فأكثر الفقهاء كأبي حنيفة والأوزاعي والشافعي وأحمد وهو مذهب الزيدية وغيرهم يرون بأن المقتول ظلما،والمقتول دون حقه،والمقتول لقيامه بالحق والأمر بالمعروف والنهي عــن المنكر،لهم حكم شهيد المعركة في الدنيا والآخرة،وذهب مالك وغيره إلى أن لهــم حكــم شهيد الغرق والحريق.[٢١٢]

فالخلاف بين الفقهاء ليس في تسميتهم شهداء ولا في ثوابهم في الآخرة،بل في حكمهــم الدنيوي!

وإذا كان الخلاف له وجه في المقتول ظلما،والمقتول دون حقه،وأنه شهيد فقط في حكــم الآخرة،فيطلق عليه وصف الشهادة في الدنيا والآخرة،إلا أنه يغسل ويصلى عليه كشــهيد الغرق والحريق والهدم والمبطون الخ[٢١٣].

فلا وجه للخلاف في المقتول بسبب تصديه للسلطان الجائر،فهو كشهيد المعركــة ســواء بسواء،للحديث الصحيح في مسلم عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ

---

211 – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨٧)(١٦٦٣) صحيح

212 – قال الأستاذ عبد الرحمن بن غرمان بن عبد الله حفظه الله:"ذهب الجمهور، من الحنفية، والحنابلة، والصحيح من مذهب المالكية، وقول عند الشافعية: إلى أن مقتول الحربي بغير معركة: شهيد على الإطلاق، بأي صورة كــان ذلــك القتل، سواء كان غافلاً، أو نائماً، ناصبه القتال، أو لم يناصبه ....

والذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – رجحان قول الجمهور ؛ لأن اشتراط القتل في المعترك: ليس عليه دليل بيِّن" انتهى باختصار .انظر كتاب " أحكام الشهيد في الفقه الإسلامي " (١٠٣ – ١٠٦) .

213 – ذَهَبَ جُمْهُورُ الْفُقَهَاءِ: إِلَى أَنَّ مَنْ قُتِل ظُلْمًا يُعْتَبَرُ شَهِيدَ الآْخِرَةِ فَقَطْ، لَهُ حُكْمُ شَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ مَعَ الْكُفَّارِ فِــي الآْخِرَةِ مِنَ الثَّوَابِ، وَلَيْسَ لَهُ حُكْمُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيُغَسَّل وَيُصَلَّى عَلَيْهِ .وَذَهَبَ الْحَنَابِلَةُ فِي الْمَذْهَبِ: إِلَى أَنَّ مَنْ قُتِل ظُلْمًا فَهُوَ شَهِيدٌ يُلْحَقُ بِشَهِيدِ الْمَعْرَكَةِ فِي أَنَّهُ لاَ يُغَسَّل وَلاَ يُصَلَّى عَلَيْهِ، لِقَوْل سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ النَّبِــيَّ ﷺ: يَقُول مَنْ قُتِل دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِل دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِــل دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ " وَلأَنَّهُمْ مَقْتُولُونَ بِغَيْرِ حَقٍّ فَأَشْبَهُوا مَنْ قَتَلَهُمُ الْكُفَّارُ ".الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقــاف الكويتية (٢٩/ ١٧٤) وحاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٨، ٦١١، مواهب الجليل ٢ / ٢٤٧، ٢٤٨، المدونــة ١ / ١٨٤، كشاف القناع ٢ / ١٠٠، الإنصاف ٢ / ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، مغني المحتاج ١ / ٣٥٠ .وكشاف القنــاع ٢ / ١٠٠، والإنصاف ١ / ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣ .

نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِه حَوَارِيُّونَ،وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِه وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِه،ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ،فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِه فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[214]

وعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ،أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ،أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:«كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»[215]

وعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ» [216]الخ

فقد أثبتت هذه النصوص وغيرها كثير بأن القائم بالحق والآمر بالمعروف أمام السلطان الجائر مجاهد في سبيل الله،بل هو أفضل الجهاد،فإن قتله فهو شهيد بل سيد الشهداء!

فمثل هذا لا يغسل ولا يصلَّى عليه على الصحيح،وإن غسل وصلي عليه فلا حرج.

المطلب الثالث –أحوال المتظاهرين الذين خرجوا في الثوراة العربية:

وعند النظر في أحوال من خرجوا في الثورة العربية نجد أنهم لا يخرجون عن هذه الأقسام بحسب الظاهر إما أنهم:

١– مظلومون ابتداء تعرضوا للظلم:

في أموالهم وأرزاقهم وحرياتهم وكرامتهم وأعراضهم فخرجوا يطالبون بحقوقهم بشكل سلمي،و لم يقاتلوا ولا قصدوا القتال،فتم قتلهم أثناء ذلك ظلما وعدوانا من قبل السلطة ورجالها،فيصدق فيهم ما جاء عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ [217]"

---

[214] – صحيح مسلم (١/ ٦٩)(٨٠ – ٥٠)

[215] – السنن الكبرى للنسائي (٧/ ١٩٣)(٧٧٨٦) صحيح

[216] – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٢١٥)(٤٨٨٤) حسن لغيره

[217] – السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٢٣)(١٦٧٧٧) صحيح

وعَنْ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ:كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ سُوَيْدِ بْنِ مُقَرِّنٍ فَقَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَظْلَمَتِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[218].

٢- أو مدافعون عن المظلومين:

وإن لم يقع عليهم ظلم مباشر،إلا أهم خرجوا بشكل سلمي لنصرة المظلومين والدفاع عنهم،وهؤلاء قاموا بالواجب الشرعي كما قال تعالى:{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:٢]،وجاء في الصحيح عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا،فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ:«تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[219]

وجاء في عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:" أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ،وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ:أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ،وَعِيَادَةِ المَرِيضِ،وَإِجَابَةِ الدَّاعِي،وَنَصْرِ المَظْلُومِ،وَإِبْرَارِ القَسَمِ،وَرَدِّ السَّلاَمِ،وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ،وَنَهَانَا عَنْ:آنِيَةِ الفِضَّةِ،وَخَاتَمِ الذَّهَبِ،وَالحَرِيرِ،وَالدِّيبَاجِ،وَالقَسِّيِّ،وَالإِسْتَبْرَقِ "[220]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ،كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ،فَيَقُولُ:يَا هَذَا،اتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ،فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ،ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ،فَلَا يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ،فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ

---

218 - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤٥٥)(٣٥٤٥) صحيح

219 - صحيح البخاري (٣/ ١٢٨)(٢٤٤٤)

220 - صحيح البخاري (٢/ ٧١)(١٢٣٩) وصحيح مسلم (٣/ ١٦٣٥)٣ - (٢٠٦٦)

[ش (عيادة المريض) زيارته من العود وهو الرجوع.(إجابة الداعي) تلبية دعوة وليمة الزواج وهي واجبة إذا لم يكن هناك منكر لا يستطيع إزالته كاختلاط النساء بالرجال والضرب على آلات اللهو وربما كان من جملة المنكرات ما يفعله الناس أحيانا من الإسراف والتبذير مباهاة ومفاخرة.(إبرار القسم) من البر وهو خلاف الحنث والمعنى تصديق من أقسم عليك بفعل ما طلبه منك.(تشميت العاطس) تدعو له بالخير والبركة كأن تقول له يرحمك الله بعد حمده لله تعالى مشتق من الشوامت وهي القوائم فكأنه دعاء له بالثبات على طاعة الله عز وجل.(آنية الفضة) أي عن اقتنائها واستعمالها لما فيه من السرف والخيلاء ولا فرق في ذلك بين الرجال والنساء.(الديباج) الثياب المتخذة من الإبريسم وهو نوع من الحرير.(القسي) ثياب من كتان مخلوط بحرير.(الإستبرق) الثخين من الديباج والغليظ منه]

قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ "،ثُمَّ قَالَ: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} إِلَى قَوْلِه {فَاسِقُونَ} [المائدة:٨١]،ثُمَّ قَالَ:«كَلَّا وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ،وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَيِ الظَّالِمِ،وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا،وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا»[٢٢١]

وعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ:يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي أَرَاكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة:١٠٥] وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِنَّ النَّاسَ إِذَا عُمِلَ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي فَلَمْ يُغَيِّرُوا أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابٍ»[٢٢٢] الخ

فإن اعتدت السلطة عليهم،فقتلت أحدا منهم،فهو مقتول ظلما وعدوانا وبلا وجه حق بلا خلاف،وهو كشهيد المعركة عند الأكثر.

٣- أو مصلحون محتسبون خرجوا بشكل سلمي بنية إعلاء كلمة الله،وتغيير المنكر:

فيدخلون في عموم ما جاء عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ،وَرَجُلٌ قَالَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ فَقَتَلَهُ.[٢٢٣]

٤- أو مجاهدون خرجوا على طاغية فقاتلهم،فقاتلوه لدفع عدوانه:

فهم شهداء معركة بلا خلاف.

فهذه أحوال من خرجوا في الثورات العربية من حيث العموم[٢٢٤]،فالمقتول منهم شهيد،سواء كان مقتولا دون حقه ظلما وعدوانا كالقسم الأول وهم الأكثر،أو مقتولا ظلما وعدوانا لنصرته المظلومين كالقسم الثاني،أو مقتولا لقيامه بإعلاء كلمة الله ونصرة دينه،وهم كثير من أهل الصلاح والفضل،ممن خرجوا في هذه الثورات نصرة لدين الله وتغييرا للمنكر،أو مقتولا في معركة مع جيش الطاغية فهو شهيد معركة،وإنما يبعثون يوم القيامة على نياتهم كما في الصحيح عن عَلْقَمَةَ بْنِ وَقَّاصٍ اللَّيْثِيِّ،قالَ:سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ

221 - سنن أبي داود (٤/ ١٢١)(٤٣٣٦) حسن لغيره

222 - السنن الواردة في الفتن للداني (٣/ ٧٠١)(٣٣٥) صحيح

223 - المستدرك على الصحيحين -دار المعرفة بيروت (٣/ ١٩٥)(٤٨٨٤) صحيح لغيره

224 - المقصود بذلك قطعا المسلمون فقط

الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى المِنْبَرِ قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ،وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى،فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا،أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا،فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[225]!

المطلب الرابع–إذا كانت هذه الحكومات شرعية فيجب عليها إقامة العدل وإزالة الظلم

وهذا التفصيل كله على فرض أن الحكومات العربية اليوم حكومات شرعية إسلامية لها ولاية على الأمة،فكان الواجب على السلطة في كل بلد – على فرض شرعيتها – أن تنصفهم وترفع الظلم عنهم،وأن تمنحهم حقهم،بما في ذلك حقهم في الشورى واختيار السلطة نفسها،وهو الحق الذي جعله الله لهم في قوله تعالى:{وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ} [الشورى:٣٨]،لا أن تقاتلهم وتقتلهم وتشنَّ الحروب عليهم كما في ليبيا وسوريا واليمن،وقد أجمع الفقهاء على أنه إذا خرجت خارجة على الإمام الشرعي،دعاهم للفيئة والرجوع،فإن ذكروا ظلما وقع عليهم،وجب عليه رفعه عنهم وإنصافهم،ويحرم قتالهم إذا لم ينصفهم كما ثبت عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ،عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي نَصْرِ بْنِ مُعَاوِيَةَ،قَالَ:كُنَّا عِنْدَ عَلِيٍّ فَذَكَرُوا أَهْلَ النَّهَرِ فَسَبَّهُمْ رَجُلٌ،فَقَالَ عَلِيٌّ:لاَ تَسُبُّوهُمْ،وَلَكِنْ إنْ خَرَجُوا عَلَى إمَامٍ عَادِلٍ فَقَاتِلُوهُمْ،وَإِنْ خَرَجُوا عَلَى إمَامٍ جَائِرٍ فَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ،فَإِنَّ لَهُمْ بِذَلِكَ مَقَالاً.[226]،وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ،فَأَغْلَظَ فَهَمَّ بِهِ أَصْحَابُهُ،فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«دَعُوهُ،فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ مَقَالًا»،ثُمَّ قَالَ:«أَعْطُوهُ سِنًّا مِثْلَ سِنِّهِ»،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ،فَقَالَ:«أَعْطُوهُ،فَإِنَّ مِنْ خَيْرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ قَضَاءً»[227]

---

225 – صحيح البخاري (١/ ٦)(١)

226 – مصنف ابن أبي شيبة –دار القبلة (٢١/ ٤٤٦)(٣٩٠٧١) فيه مبهم، وقال عنه الدكتور حاكم: إسناده صحيح، وليس كذلك

227 – صحيح البخاري (٣/ ٩٩)(٢٣٠٦)

[ش (فأغلظ) شدد في المطالبة وأثقل بالقول.(فهم به) قصدوه ليؤذوه باللسان أو باليد.(مقالا) صولة الطلب وقوة الحجة.(أمثل) أفضل]

المطلب الخامس –صفات الإمام العادل:

والإمام العادل هو كل إمام اختارته الأمة بالشورى والرضا،واجتمع عليه المسلمون،و لم يظهر منه فجور ولا جور،فإذا أخذها بالسيف والقوة فهو **غير** جائر وإن كان من أهل الصلاح،كما ثبت عن عمر في صحيح البخاري عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كُنْتُ أُقْرِئُ رِجَالًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ،مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ،فَبَيْنَمَا أَنَا فِي مَنْزِلِهِ بِمِنًى،وَهُوَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ،فِي آخِرِ حَجَّةٍ حَجَّهَا،وفيه قال:إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ قَائِلًا مِنْكُمْ يَقُولُ:وَاللَّهِ لَوْ قَدْ مَاتَ عُمَرُ بَايَعْتُ فُلاَنًا،فَلاَ يَغْتَرَّنَّ امْرُؤٌ أَنْ يَقُولَ:إِنَّمَا كَانَتْ بَيْعَةُ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةً وَتَمَّتْ،أَلاَ وَإِنَّهَا قَدْ كَانَتْ كَذَلِكَ،وَلَكِنَّ اللَّهَ وَقَى شَرَّهَا،وَلَيْسَ مِنْكُمْ مَنْ تُقْطَعُ الأَعْنَاقُ إِلَيْهِ مِثْلُ أَبِي بَكْرٍ،مَنْ بَايَعَ رَجُلًا عَنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ المُسْلِمِينَ فَلاَ يُبَايَعُ هُوَ وَلاَ الَّذِي بَايَعَهُ،تَغِرَّةً أَنْ يُقْتَلاَ..." [228]

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ:«مَنْ دَعَا إِلَى إِمَارَةِ نَفْسِهِ،أَوْ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَحِلُّ لَكُمْ إِلَّا أَنْ تَقْتُلُوهُ» [229]

وكتب عمر بن عبد العزيز لما ولى الخلافة إلى الحسن ابن أبي الحسن البصريّ أن يكتب له بصفة الإمام العادل؛ فكتب إليه الحسن:اعلم يا أمير المؤمنين،أن الله جعل الإمام العادل قوام كلّ مائل،وقصد كل جائر،وصلاح كلّ فاسد،وقوّة كلّ ضعيف،ونصفة كلّ مظلوم،ومفزع كلّ ملهوف.والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله والحازم الرفيق الذى يرتاد لها أطيب المراعى،ويذودها عن مراتع الهلكة،ويحميها من السباع،ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ.

---

228 – صحيح البخاري (٨/ ١٦٩)(٦٨٣٠)

[ش أ(وقى شرها) حماهم وحفظهم من شر العجلة فيها.(من تقطع الأعناق إليه) أي أعناق الإبل من كثرة السير والمعنى ليس فيكم مثل أبي بكر رضي الله عنه في الفضل ولذلك مضت خلافته – على ما كان في بيعته من عجلة – بخير وسلامة فلا يطمعن أحد منكم في مثل ذلك.(تغرة أن يقتلا) تغرة مصدر غرر بنفسه تغريرا وتغرة إذا عرضها للهلاك أي خوفا من أن يقتل المبايع والمتابع ..]

229 – مصنف عبد الرزاق الصنعاني (٥/ ٤٤٥)(٩٧٥٩) والسنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ١٤٣)(١٠٦) حسن لغيره

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأب الحانى على ولده،يسعى لهم صغارا،ويعلّمهم كبارا،يكسب لهم فى حياته،ويدّخر لهم بعد وفاته.والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالأمّ الشفيقة البرّة الرفيقة بولدها،حملته كرها،ووضعته كرها،وربّته طفلا،تسهر لسهره وتسكن لسكونه،وترضعه تارة وتفطمه أخرى،وتفرح بعافيته،وتغتّم بشكايته.والإمام العادل يا أمير المؤمنين وصىّ اليتامى،وخازن المساكين،يربىّ صغيرهم،ويمون كبيرهم.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوارح،تصلح الجوارح بصلاحه،وتفسد بفساده.والإمام العادل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده،يسمع كلام الله ويسمعهم،وينظر إلى الله ويريهم،وينقاد لله ويقودهم.فلا تكن يا أمير المؤمنين فيما ملّكك الله كعبد ائتمنه سيّده واستحفظه ماله وعياله،فبدّد المال وشرّد العيال فأفقر أهله وأهلك ماله.

واعلم يا أمير المؤمنين أن الله أنزل الحدود ليزجربها عن الخبائث والفواحش،فكيف [إذا أتاها من يليها! وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده،فكيف إذا قتلهم من يقتصّ لهم! واذكر يا أمير المؤمنين الموت وما بعده،وقلّة أشياعك عنده وأنصارك عليه؛ فتزوّد له وما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك مترلا غير مترلك الذى أنت به،يطول فيه ثواؤك،ويفارقك أحبّاؤك،ويسلمونك فى قعره فريدا وحيدا؛ فتزوّد له ما يصحبك يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه.واذكر يا أمير المؤمنين إذا بعثر ما فى القبور،وحصّل ما فى الصّدور؛ فالأسرار ظاهرة،والكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها؛ فالآن يا أمير المؤمنين وأنت فى مهل،قبل حلول الأجل،وانقطاع الأمل؛ لا تحكم يا أمير المؤمنين فى عباد الله بحكم الجاهلين،ولا تسلك بهم سبيل الظالمين،ولا تسلّط المستكبرين على المستضعفين،فإنهم لا يرقبون فى مؤمن إلّا ولا ذمّة،فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك،وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك.

ولا يغرّنك الذين ينعمون بما فيه بؤسك،ويأكلون الطيّبات من دنياهم بإذهاب طيباتك فى آخرتك.ولا تنظرنّ إلى قدرك اليوم،ولكن انظر الى قدرك غدا وأنت مأسور فى حبائل

الموت،وموقوف بين يدى الله تعالى فى مجمع الملائكة والمرسلين،وقد عنت الوجوه للحـــىّ القيّوم.إنى يا أمير المؤمنين إن لم أبلغ فى عظتى ما بلغه أولو النّهى قبلى،فلم آلـــك شـــفقة ونصحا؛ فأنزل كتابى هذا إليك كمداوى حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له بذلك من العافية والصحة.والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته"[230]

المطلب السادس –لا يجوز إعانة الحاكم المسلم على الظلم:

فولاية مثل هؤلاء الذين يغتصبون السلطة بالقوة ليست شرعية،بل ولاية قهريـــة بحكـــم الواقع لا بحكم الشارع،ولها أحكامها الاضطرارية كما فصلته في (**تحرير الإنسان**)![231]

فإذا قويت الأمة على الأخذ على أيديهم،ورد باطلهم،فلها ذلك!

وكان الإمام مالك إذا سئل عن القتال مع الخلفاء في عصره ضـــد مـــن خـــرج علـــيهم يقول:(إن كان الخليفة كعمر بن عبد العزيز فقاتل معه،وإن كان كمثل هؤلاء الظلمة،فلا تقاتل معهم).[232]

لأنه لا يرى لهم ولاية شرعية تقتضي وجوب السمع والطاعة لهم والقتال معهم ضد مـــن خرج عليهم!

وقد سئل عن خروج محمد ذو النفس الزكية على أبي جعفر المنصور مع أنه أخذ البيعة من أهل المدينة،فقال الإمام مالك:(إِنَّ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةٌ لِلْمَنْصُورِ،فَقَالَ:إِنَّمَا بَـــايَعْتُمْ مُكْـــرَهِينَ وَلَيْسَ عَلَى مُكْرَهٍ يَمِينٌ،فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى مُحَمَّدٍ وَلَزِمَ مَالِكٌ بَيْتَهُ.)[233]

---

230 – نهاية الأرب في فنون الأدب (٦/ ٣٧) زيادة مني

231 – يمكن تحميله من هنا:

http://www.pdfshere.com/up/index.php?action=viewfile&id=٣٧٠١

232 – انظر تبصرة الحكام ٢/٩٦ .

233 – السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي (ص: ٣٥٨) والكامل في التاريخ (٥/ ١١١) والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (٨/ ٦٤) وتاريخ ابن خلدون (٣/ ٢٤٠) وتاريخ الإسلام ت بشار (٣/ ٧٨٣) وتاريخ الطبري = تـــاريخ الرســـل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (٧/ ٥٦٠)

وسئل الإمام مالك أيضا عن الوالي إذا قام عليه قائم يريد إزالة ما بيده:هل يجب الدفع عنه؟ فقال:(أما مثل عمر بن عبد العزيز فنعم،وأما غيره فلا ودعه وما يريد،فينتقم الله من ظالم بظالم،ثم ينتقم الله منهما جميعا).

وقال مالك أيضا:(إذا بايع الناس رجلا بالإمارة ثم قام آخر فدعا إلى بيعته فبايعه بعضهم أن المبايع الثاني يقتل إذا كان الإمام عدلا،فإن كان مثل هؤلاء فلا بيعة له تلزم،إذا كانت بيعتهم على الخوف،والبيعة للثاني إن كان عدلا،وإلا فلا بيعة له تلزم).[٢٣٤]

فأبطل الإمام مالك بيعة من أكره الناس على بيعته وأخذ السلطة بالقوة،وأبطل ولايته،وإنما ولايته على الناس ولاية جبرية قهرية بحكم الواقع لا بحكم الشارع،ولها أحكام الاضطرار،فإن قام عدل ينازعه فالبيعة للعدل!

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (وَقَد اتَّفَقَت الصَّحَابَةُ عَلَى قِتَالِهِمْ،(الخوارج) وَلَا خِلَافَ بَيْنَ عُلَمَاءِ السُّنَّة أَنَّهُمْ يُقَاتلُونَ مَعَ أَئمَّة الْعَدْل،مثْلَ أَميرِ الْمُؤْمنينَ عَليِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – لَكنْ هَلْ يُقَاتلُونَ مَعَ أَئمَّة الْجَوْرِ؟ فَنُقِلَ عَنْ مَالِك أَنَّهُمْ لَا يُقَاتلُونَ،وَكَذَلكَ قَالَ فيمَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ منْ أَهْلِ الذِّمَّة:لَا يُقَاتلُونَ مَعَ أَئمَّة الْجَوْرِ،وَنُقلَ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ ذَلكَ في الْكُفَّارِ،وَهَذَا مَنْقُولٌ عَنْ مَالك وَبَعْضِ أَصْحَابه،وَنُقلَ عَنْهُ خلَافُ ذَلكَ،وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ،وَأَكْثَرُ أَصْحَابه خَالَفُوهُ في ذَلكَ،وَهُوَ مَذْهَبُ أَبِي حَنيفَةَ وَالشَّافعيِّ وَأَحْمَدَ،وَقَالُوا:يُغْزَى مَعَ كُلِّ أَميرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجرًا إذَا كَانَ الْغَزْوُ الَّذي يَفْعَلُهُ جَائزًا،فَإذَا قَاتَلَ الْكُفَّارَ أَو الْمُرْتَدِّينَ أَوْ نَاقضي الْعَهْد أَو الْخَوَارِجَ قتَالًا مَشْرُوعًا قُوتلَ مَعَهُ،وَإنْ قَاتَلَ قتَالًا غَيْرَ جَائزٍ لَمْ يُقَاتَلْ مَعَهُ،فَيُعَاوَنُ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى،وَلَا يُعَاوَنُ عَلَى الْإثْمِ وَالْعُدْوَان،كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ يُسَافرُ مَعَ مَنْ يَحُجُّ وَيَعْتَمرَ،وَإنْ كَانَ في الْقَافلَة مَنْ هُوَ ظَالمٌ.

فَالظَّالمُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَاوَنَ عَلَى الظُّلْم،لأَنَّ اللَّهَ – تَعَالَى – يَقُولُ:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سُورَةُ الْمَائِدَة:٢])[٢٣٥]

---

[234] – العقد المنظم بحاشية تبصرة الحكام ١٩٥/٢ – ١٩٧ .

[235] – منهاج السنة النبوية (٦/ ١١٦)

فالإمام مالك – إمام أهل السنة في عصره – لا يرى القتال مع أئمة الجور مـــن خلفـــاء المسلمين حتى لو خرج عليهم أهل الذمة إذا وقع عليهم ظلم!

أما الجمهور فذهبوا إلى أنه لا يحرم القتال مع الإمام الجائر بشرط أن يكون القتال نفســـه مشروعا،كأن يجاهد العدو الحربي،أو يقاتل قطاع الطريق،أما إذا كان يقاتل من خرجـــوا عليه بسبب ظلمه لهم،و لم ينصفهم،فإنه يحرم إعانة الجائر عليهم بالإجماع،سواء كان يقاتل الخوراج أو أهل الذمة أو غيرهم!

قال ابن حزم (قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ:وَأَخْبَرَنِي سُلَيْمَانُ الْأَحْوَلُ أَنَّ ثَابِتًا مَوْلَى عُمَـــرَ بْـــنِ عَبْـــدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ،قَالَ:لَمَّا كَانَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ،وَبَيْنَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ مَا كَانَ وَتَيَسَّرُوا لِلْقِتَالِ رَكِبَ خَالِدُ بْنُ الْعَاصِ – هُوَ ابْنُ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمَخْزُومِيّ – إلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو فَوَعَظَهُ،فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ:أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ «مَنْ قُتِلَ عَلَى مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» قَالَ أَبُو مُحَمَّد – رَحِمَهُ اللَّهُ –:فَهَـــذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بَقِيَّةُ الصَّحَابَةِ وَبِحَضْرَةِ سَائِرِهِمْ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – يُرِيـــدُ قِتَالَ عَنْبَسَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ عَامِلِ أَخِيهِ مُعَاوِيَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إذْ أَمَرَهُ بِقَـــبْضِ " الْـــوَهْط " وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَنَّ أَخْذَهُ مِنْهُ غَيْرُ وَاجِبٍ،وَمَا كَانَ مُعَاوِيَةُ – رَحِمَهُ اللَّهُ – لِيَأْخُذَ ظُلْمًا صُرَاحًا،لَكِنْ أَرَادَ ذَلِكَ بِوَجْهٍ تَأَوَّلَهُ بِلَا شَكٍّ،وَرَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو أَنَّ ذَلِكَ لَـــيْسَ بِحَقٍّ،وَلَبِسَ السِّلَاحَ لِلْقِتَالِ،وَلَا مُخَالِفَ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّـــهُ عَـــنْهُمْ – وَهَكَذَا جَاءَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ،وَالشَّافِعِيِّ،وَأَبِي سُلَيْمَانَ،وَأَصْحَابِهِمْ:أَنَّ الْخَارِجَةَ عَلَى الْإِمَـــامِ إذَا خَرَجَتْ سُئِلُوا عَنْ خُرُوجِهِمْ؟ فَإِنْ ذَكَرُوا مَظْلَمَةً ظُلِمُوهَا أُنْصِـــفُوا،وَإِلَّا دُعُـــوا إلَـــى الْفَيْئَةِ،فَإِنْ فَاءُوا فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِمْ،وَإِنْ أَبَوْا قُوتِلُوا،وَلَا نَرَى هَذَا إلَّا قَوْلَ مَالِكٍ أَيْضًا.

فَلَمَّا اخْتَلَفُوا كَمَا ذَكَرْنَا وَجَبَ أَنْ نَرُدَّ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إلَى مَا افْتَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا الـــرَّدَّ إلَيْهِ،إذْ يَقُولُ تَعَالَى {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ} [النساء:٥٩] .

فَفَعَلْنَا:فَلَمْ نَجِدْ اللَّهَ تَعَالَى فَرَّقَ فِي قِتَالِ الْفِئَةِ الْبَاغِيَةِ عَلَى الْأُخْرَى بَيْنَ سُلْطَانٍ وَغَيْرِهِ،بَـــلْ أَمَرَ تَعَالَى بِقِتَالِ مَنْ بَغَى عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ – عُمُومًا – حَتَّى يَفِيءَ إلَى أَمْرِ اللَّـــهِ تَعَـــالَى {وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم:٦٤] وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِـــهِ

فَهُوَ شَهِيدٌ» أَيْضًا - عُمُومٌ - لَمْ يَخُصَّ مَعَهُ سُلْطَانًا مِنْ غَيْرِهِ،وَلَا فَرْقَ فِي قُرْآنٍ،وَلَا حَدِيثٍ،وَلَا إجْمَاعٍ وَلَا قِيَاسٍ:بَيْنَ مَنْ أُرِيدَ مَالُهُ،أَوْ أُرِيدَ دَمُهُ،أَوْ أُرِيدَ فَرْجُ امْرَأَتِهِ،أَوْ أُرِيدَ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ.وَفِي الْإِطْلَاقِ عَلَى هَذَا هَلَاكُ الدِّينِ وَأَهْلِهِ،وَهَذَا لَا يَحِلُّ بِلَا خِلَافٍ - وَبِاَللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ.)[236]

وقال ابن تيمية أيضا (مَذْهَبُ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ،وَقَالُوا:يُغْزَى مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا إذَا كَانَ الْغَزْوُ الَّذِي يَفْعَلُهُ جَائِزًا،فَإِذَا قَاتَلَ الْكُفَّارَ أَوِ الْمُرْتَدِّينَ أَوْ نَاقِضِي الْعَهْدِ أَوِ الْخَوَارِجَ قِتَالًا مَشْرُوعًا قُوتِلَ مَعَهُ،وَإِنْ قَاتَلَ قِتَالًا غَيْرَ جَائِزٍ لَمْ يُقَاتَلْ مَعَهُ،فَيُعَاوَنُ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى،وَلَا يُعَاوَنُ عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ،كَمَا أَنَّ الرَّجُلَ يُسَافِرُ مَعَ مَنْ يَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ،وَإِنْ كَانَ فِي الْقَافِلَةِ مَنْ هُوَ ظَالِمٌ.

فَالظَّالِمُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُعَاوَنَ عَلَى الظُّلْمِ،لِأَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - يَقُولُ:{وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [سُورَةُ الْمَائِدَةِ:٢] .

وَقَالَ مُوسَى:{رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ}[سُورَةُ الْقَصَصِ:١٧].

وَقَالَ - تَعَالَى -:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ} [سُورَةُ هُودٍ:١١٣] .

وَقَالَ - تَعَالَى -:{مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا} [سُورَةُ النِّسَاءِ:٨٥] .

وَالشَّفِيعُ:الْمُعِينُ،فَكُلُّ مَنْ أَعَانَ شَخْصًا عَلَى أَمْرٍ فَقَدْ شَفَّعَهُ فِيهِ،فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَانَ أَحَدٌ:لَا وَلِيُّ أَمْرٍ وَلَا غَيْرُهُ عَلَى مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.")[237]

وهذا بإجماع الفقهاء،فالسلطة الشرعية لا تعان على الظلم والإثم بأي حال من الأحوال،فإذا قاتلت السلطة الشرعية طائفة من الأمة ظلما وعدوانا،فللطائفة الدفع عن نفسها،وكان الواجب كما قال تعالى:{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } [الحجرات:٩]،ولهذا رضي

---

236 - المحلى بالآثار (١١/ ٣٣٦)

237 - منهاج السنة النبوية (٦/ ١١٦)

علي بالتحكيم مع كونه إماما شرعيا،إلا أنه لما دعوه إلى الصلح أجاب إليه كما أمـــر الله بذلك المؤمنين إذا اقتتلوا،ورأى علي أن الآية عامة في السلطان وغيره!

فإذا افترضنا جدلا أن الحكومات العربية حكومات شرعية فالواجب عليها إنصاف شعوبها المظلومة،فإن قاتلت الحكومات شعوبها ظلما وعـــدوانا،وردوا عـــدوانها،فقتيل الطائفـــة المظلومة شهيد،والواجب الدعوة إلى الصلح والحكم بينهم بما أنزل الله،ومن ذلك حكـــم الله في الشورى وحق الأمة بأن لا يحكمها إلا من اختارته بالرضا،فإن أبت السلطة ذلـــك وبغت وعادت للقتال،فيجب على الأمة نصرة الطائفة المبغي عليها:{فَإِنْ بَغَتْ إِحْـــدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ }!

وعلى فرض أن المتظاهرين سلميا بغاة على السلطة،فإن الله لم يأمر بقتالهم مباشرة،بل أمر بالصلح معهم بالحق والعدل،فإن رفضـــوا الصـــلح والحكـــم بالعـــدل وبغـــوا وجـــب قتالهم،وكذلك السلطة إن رفضت الصلح وبغت عليهم وجب قتالها حتى تفيء إلى أمر الله كما هو نص الآية،قال شيخ الإسلام ابن تيمية (فَلَمْ يَأْمُرْ بِقِتَالِ الْبَاغِيَةِ ابْتِـــدَاءً.فَالِاقْتِتَـــالُ ابْتِدَاءً لَيْسَ مَأْمُورًا بِهِ؛ وَلَكِنْ إذَا اقْتَتَلُوا أَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ؛ ثُمَّ إنْ بَغَتْ الْوَاحِدَةُ قُوتِلَتْ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَنْ قَالَ مِنْ الْفُقَهَاءِ:إنَّ الْبُغَاةَ لَا يَبْتَدِئُون بِقِتَالِهِمْ حَتَّى يُقَاتِلُوا.وَأَمَّا الْخَوَارِجُ فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ – ﷺ – فِيهِمْ:«أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَقَالَ:«لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلَنهُمْ قَتْلَ عَادٍ» .

وَكَذَلِكَ مَانِعُوا الزَّكَاةِ؛ فَإِنَّ الصِّدِّيقَ وَالصَّحَابَةَ ابْتَدَءُوا قِتَالَهُمْ،قَالَ الصِّـــدِّيقُ:وَاَللَّـــهِ لَـــوْ مَنَعُونِي عِنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلَى رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – لَقَاتَلْتهمْ عَلَيْـــهِ.وَهُـــمْ يُقَـــاتَلُونَ إذَا امْتَنَعُوا مِنْ أَدَاءِ الْوَاجِبَاتِ وَإِنْ أَقَرُّوا بِالْوُجُوبِ.)[٢٣٨] .

وقال أيضا (فَإِنْ كَانَتْ إحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ تَبْغِي بِأَنْ تَمْتَنِعَ عَنْ الْعَدْلِ الْوَاجِبِ،وَلَا تُجِيـــبَ إلَى أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ،وَتُقَاتِلُ عَلَى ذَلِكَ أَوْ تَطْلُـــبُ قِتَـــالَ الْـــأُخْرَى وَإِتْلَـــافَ النُّفُـــوسِ وَالْأَمْوَالِ،كَمَا جَرَتْ عَادَتُهُمْ بِهِ؛ فَإِذَا لَمْ يَقْدِرْ عَلَى كَفِّهَا إلَّا بِالْقَتْلِ قُوتِلَتْ حَتَّى تَفِيءَ إلَى

238 – الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٤٤٦) والمنتخب من كتب شيخ الإسلام (ص: ١٥٨) ومجموع الفتاوى (٣٥/ ٥٧)

أَمْرِ اللَّهِ؛ وَإِنْ أَمْكَنَ أَنْ تُلْزَمَ بِالْعَدْلِ بِدُونِ الْقِتَالِ مِثْلُ أَنْ يُعَاقِبَ بَعْضَهُمْ،أَوْ يَحْبِسَ؛ أَوْ يَقْتُلَ مَنْ وَجَبَ قَتْلُهُ مِنْهُمْ،وَنَحْوُ ذَلِكَ:عَمِلَ ذَلِكَ،وَلَا حَاجَةَ إلَى الْقِتَالِ.).[٢٣٩]

المطلب السابع -**إذا كانت السلطة غير شرعية فيجب الخروج عليها:**

أما إذا كانت السلطة غير شرعية أصلا،أو ثبت ردها،كحال أكثر الحكومات العربية اليوم – التي لا تحكم أصلا بالإسلام،ولا تلتزم بقطعيات الأحكام،وتستحل المحرمات القطعية بقوانينها الوضعية،وهي في حكم الطائفة الممتنعة عن الالتزام بالشرائع،كما قال شيخ الإسلام في أمثالها من الطوائف التي أقامت لها دول كالقرامطة في المشرق والعبيدية في المغرب،مما يوجب على الأمة جهادها حال القدرة – فالأمر هنا يختلف،ويكون كل مقتول بيدها ممن خرج عليها من المسلمين شهيد كشهيد المعركة سواء بسواء!

قال ابن تيمية رحمه الله:" يَجِبُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ وَأَمْثَالِهِمْ مِنْ كُلِّ طَائِفَةٍ مُمْتَنِعَةٍ عَنْ شَرِيعَةٍ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ،مِثْلُ الطَّائِفَةِ الْمُمْتَنِعَةِ عَنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ أَوْ عَنْ أَدَاءِ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ إلَى الْأَصْنَافِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي سَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ،وَعَنْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ أَوْ الَّذِينَ لَا يَمْتَنِعُونَ عَنْ سَفْكِ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَخْذِ أَمْوَالِهِمْ،أَوْ لَا يَتَحَاكَمُونَ بَيْنَهُمْ بِالشَّرْعِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ رَسُولَهُ،كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَسَائِرُ الصَّحَابَةِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – فِي مَانِعِ الزَّكَاةِ،وَكَمَا قَاتَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابُ النَّبِيِّ – ﷺ – الْخَوَارِجَ الَّذِينَ قَالَ فِيهِمْ النَّبِيُّ:«يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ،يَمْرُقُونَ مِنْ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ،أَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ} [البقرة:١٩٣].وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة:٢٧٨] {فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة:٢٧٩].وَالرِّبَا آخِرُ مَا حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

239 – الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٤٦٥) ومجموع الفتاوى (٣٥/ ٨٦)

فَكَيْفَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ تَحْرِيمًا.وَيُدْعَوْنَ قَبْلَ الْقِتَالِ إلَى الْتِزَامِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ،فَإِنْ الْتَزَمُوهَا اسْتَوْثَقَ مِنْهُمْ،وَلَمْ يَكْتَفِ مِنْهُمْ بِمُجَرَّدِ الْكَلَامِ كَمَا فَعَلَ أَبُو بَكْرٍ بِمَنْ قَاتَلَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَذَلَّهُمْ،وَقَالَ اخْتَارُوا إمَّا الْحَرْبَ وَإِمَّا السِّلْمَ الْمُخْزِيَةَ،وَقَالَ أَنَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – فَقَالُوا هَذِهِ حَرْبُ الْحِيلَةِ قَدْ عَرَفْنَاهَا فَمَا السِّلْمُ الْمُخْزِيَةُ،قَالَ تَشْهَدُونَ أَنَّ قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ وَنَنْزِعُ مِنْكُمْ الْكُرَاعَ يَعْنِي الْخَيْلَ وَالسِّلَاحَ،حَتَّى يَرَى خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وَالْمُؤْمِنُونَ أَمْرًا بَعْدُ،فَهَكَذَا الْوَاجِبُ فِي مِثْلِ هَؤُلَاءِ،إذَا أَظْهَرُوا الطَّاعَةَ يُرْسِلُ إلَيْهِمْ مَنْ يُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ وَيُقِيمُ بِهِمْ الصَّلَوَاتِ،وَمَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ،وَإِمَّا أَنْ يَسْتَخْدِمَ بَعْضَ الْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ فِي جُنْدِ الْمُسْلِمِينَ،وَيَجْعَلَهُمْ فِي جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَّا بِأَنْ يَنْزِعَ مِنْهُمْ السِّلَاحَ الَّذِي يُقَاتِلُونَ بِهِ وَيُمْنَعُونَ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ،وَإِمَّا أَنَّهُمْ يَضَعُونَهُ حَتَّى يَسْتَقِيمُوا،وَإِمَّا أَنْ يَقْبَلَ الْمُمْتَنِعُ مِنْهُمْ الْتِزَامَ الشَّرِيعَةِ،وَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَجَبَ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَلْتَزِمُوا شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةَ الْمُتَوَاتِرَةَ،وَهَذَا مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ.وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.."[٢٤٠]

وقال أيضاً:" وَقَدْ اتَّفَقَ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّ الطَّائِفَةَ الْمُمْتَنِعَةَ إذَا امْتَنَعَتْ عَنْ بَعْضِ وَاجِبَاتِ الْإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ،فَإِنَّهُ يَجِبُ قِتَالُهَا إذَا تَكَلَّمُوا بِالشَّهَادَتَيْنِ،وَامْتَنَعُوا عَنْ الصَّلَاةِ،وَالزَّكَاةِ،أَوْ صِيَامِ شَهْرِ رَمَضَانَ،أَوْ حَجِّ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ،أَوْ عَنْ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ،أَوْ عَنْ تَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ،أَوْ الْخَمْرِ،أَوْ نِكَاحِ ذَوَاتِ الْمَحَارِمِ،أَوْ عَنْ اسْتِحْلَالِ النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ بِغَيْرِ حَقٍّ،أَوْ الرِّبَا،أَوْ الْمَيْسِرِ،أَوْ الْجِهَادِ لِلْكُفَّارِ،أَوْ عَنْ ضَرْبِهِمْ الْجِزْيَةَ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ،وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ،فَإِنَّهُمْ يُقَاتَلُونَ عَلَيْهَا حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ."[٢٤١]

قال في مغني المحتاج في فقه الشافعية في تعريف الشهيد ((وَهُوَ) أَيْ الشَّهِيدُ الَّذِي يَحْرُمُ عَلَيْهِ غُسْلُهُ وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ،ضَابِطُهُ أَنَّهُ كُلُّ (مَنْ مَاتَ) وَلَوْ امْرَأَةً أَوْ رَقِيقًا أَوْ صَغِيرًا أَوْ مَجْنُونًا (فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ) أَوْ الْكَافِرِ الْوَاحِدِ،سَوَاءٌ أَكَانُوا حَرْبِيِّينَ أَمْ مُرْتَدِّينَ أَمْ أَهْلَ

240 – الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٤٧٣)

241 – الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٥٥٧) كلاهما زيادة مني

ذمَّة،قَصَدُوا قَطْعَ الطَّرِيقِ عَلَيْنَا أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ (بِسَبَبِهِ) أَيْ الْقِتَالِ سَوَاءٌ قَتَلَهُ كَافِرٌ،أَمْ أَصَابَهُ سِلَاحُ مُسْلِمٍ خَطَأً،أَمْ عَادَ إلَيْهِ سِلَاحُهُ،أَمْ تَرَدَّى فِي بِئْرٍ أَوْ وَهْدَةٍ،أَمْ رَفَسَتْهُ دَابَّتُهُ فَمَاتَ،أَمْ قَتَلَهُ مُسْلِمٌ بَاغٍ اسْتَعَانَ بِهِ أَهْلُ الْحَرْبِ كَمَا شَمِلَهُ قِتَالُ الْكُفَّارِ،أَمْ قَتَلَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْحَرْبِ حَالَ انْهِزَامِهِمْ انْهِزَامًا كُلِّيًّا بِأَنْ تَبِعَهُمْ فَكَرُّوا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ وَإِنْ لَمْ تَشْمَلْهُ عِبَارَةُ الْمُصَنِّفِ أَوْ اتِّبَاعُهُ لَهُمْ لِاسْتِئْصَالِهِمْ،فَكَأَنَّهُ قُتِلَ فِي حَالِ الْقِتَالِ،أَمْ قَتَلَهُ الْكُفَّارُ صَبْرًا،أَمْ انْكَشَفَتْ الْحَرْبُ عَنْهُ وَلَمْ يُعْلَمْ سَبَبُ قَتْلِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَثَرُ دَمٍ؛ لِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّ مَوْتَهُ بِسَبَبِ الْقِتَالِ كَمَا جَزَمَا بِهِ.)! [٢٤٢]

وفي حاشية قليوبي وعميرة في فقه الشافعية تعريف الشهيد بأنه قتيل المسلمين (قَوْلُهُ:(فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ) أَيْ فِي مُحَارَبَةِ كَافِرٍ وَلَوْ وَاحِدًا أَوْ مُرْتَدًّا،أَوْ فِي قَطْعِ طَرِيقٍ أَوْ فِي صِيَالٍ،أَوْ قَتَلَهُ كَافِرٌ اسْتَعَانَ بِهِ الْبُغَاةُ،وَكَذَا عَكْسُهُ بِأَنْ قَتَلَهُ بَاغٍ اسْتَعَانَ بِهِ كَافِرٌ "[٢٤٣]

فإذا قامت سلطة ثبتت ردهّا،وظهر كفرها،وشنت حربها على شعبها،فكل قتيل من المسلمين بيدها شهيد بلا خلاف.

وإذا خرجت الأمة في ثورة سلمية أو مسلحة على سلطة غير إسلامية،أو سلطة ثبتت ردهّا عن الإسلام،فجرى بينها وبين الأمة قتال،فالمقتول من المسلمين شهيد معركة عند الشافعية وغيرهم،وهو من أشرف أنواع الجهاد في سبيل الله،إذ دفع المرتد الداخلي عن الولاية على الأمة أوجب من دفع الحربي الخارجي بلا خلاف!

المطلب الثامن – في بيان معنى أحاديث السمع والطاعة

وأما الاحتجاج بأحاديث السمع والطاعة وبحديث سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ،قَالَ:غَلَتِ الدَّوَابُّ فَأَتَيْنَا الْكُوفَةَ نَجْلِبُ مِنْهَا دَوَابَّ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ صَدَعٌ مِنَ الرِّجَالِ حَسَنُ الثَّغْرِ يُعْرَفُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الْحِجَازِ وَإِذَا نَاسٌ مُشْرَئِبُّونَ عَلَيْهِ فَقَالَ:لاَ تَعْجَلُوا عَلَيَّ أُحَدِّثْكُمْ،فَإِنَّا كُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ فَإِذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَكَانَ اللَّهُ رَزَقَنِي فَهْمًا

---

242 – مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (٢/ ٣٤)

243 – حاشيتا قليوبي وعميرة (١/ ٣٩٦) وحاشية البجيرمي على شرح المنهج = التجريد لنفع العبيد (١/ ٤٨٧)

فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قُلْتُ:فَمَا الْعِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:السَّيْفُ،قُلْتُ:فَهَلْ لِلسَّيْفِ مِنْ بَقِيَّةٍ ؟ فَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ ؟ قَالَ:تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ،قَالَ:قُلْتُ:فَمَا يَكُونُ بَعْدَ الْهُدْنَةِ ؟ قَالَ:دُعَاةُ الضَّلاَلَةِ فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْزَمْهُ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ وَإِنْ لَمْ تَرَ خَلِيفَةً فَاهْرُبْ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ قَالَ:الدَّجَّالُ."[244]

لتحريم هذه الثورة،فباطل من وجوه:

أولا:إن حقيقة دين الإسلام وغايته أن تكون الطاعة لله وحده:

وطاعة من سواه تبع لطاعته،كما قال تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [النساء:٦٤]،وكما قال تعالى:{ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]،بمعنى لآمرهم فيطيعون،كما قال المفسرون،فلا طاعة لغير الله،ولا سمع لمن خالف أمره وشرعه ودينه،فهذا من توحيد الله جل جلاله،المعلوم من دين الإسلام بالضرورة القطعية.

ثانيا:كما إن الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب هو هداية الخلق وبيان الحق والقسط والعدل الذي يحبه الله ويرضاه لهم:

كما قال تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ } [الحديد:٢٥]،وقال سبحانه:{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } [الأعراف:٢٩]،وقال جل جلاله عن الغاية من دعوة رسوله ﷺ:{وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ } [الشورى:١٥]،فلا يأمر النبي ﷺ إلا بالعدل والقسط الذي أمره الله به.

244 - مسند أبي الطيالسي -طبعة دار هجر - مصر (١/ ٢٥٢)(٤٤٤) ومسند البزار -مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة (٧/ ٣٦١)(٢٩٦٠) صحيح

ثالثا:كما حرم الله جل جلاله الظلم على عباده مطلقا،ونفاه عن نفسه:

فقال:{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا } [الكهف:٤٩]،وقال:{وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا } [الفرقان:١٩]،وجاء في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي ذَرٍّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،فِيمَا رَوَى عَنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ:«يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي،وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا،فَلَا تَظَالَمُوا..."[٢٤٥]

وتوعد سبحانه بإهلاك الظالمين فقال:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ } [إبراهيم:١٣] الخ

فلا يتصور شرعا وعقلا أن يجوز الله الظلم أو يأذن به في دين الإسلام!

رابعا:وقد حدد الله ورسوله حدود الطاعة للسلطة في الإسلام:

كما في قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا } [النساء:٥٩]!

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَأمُرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِإطَاعَتِهِ تَعَالَى،وَبالعَمَلِ بِكِتَابِهِ،وَبِإِطَاعَةِ رَسُولِهِ،لأَنَّهُ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ،وَيُبَلِّغُ عَنِ اللهِ شَرْعُ وَأَوَامِرَهُ،كَمَا يَأْمُرُ اللهُ بِإطَاعَةِ أُوْلِي الأَمْرِ،مِنْ حُكَّامٍ وَأُمَرَاءٍ وَرُؤَسَاءِ جُنْدٍ،مِمَّنْ يَرْجِعُ النَّاسُ إلَيْهِمْ فِي الحَاجَاتِ،وَالمَصَالِحِ العَامَّةِ،فَهَؤُلاءِ إذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَمْرٍ وَجَبَ أنْ يُطَاعُوا فِيهِ،بِشَرْطِ أنْ يَكُونُوا أُمَنَاءَ،وأنْ لاَ يُخَالِفُوا أَمْرَ اللهِ،وَلاَ سُنَّةَ نَبِّيهِ التِي عُرِفَتْ بِالتَّوَاتُرِ،وَأنْ يَكُونُوا مُخْتَارِينَ فِي بَحْثِهِمْ فِي الأَمْرِ،وَاتِّفَاقِهِمْ عَلَيْهِ غَيْرَ مُكْرَهِينَ عَلَيهِ بِقُوَّةِ أَحَدٍ أَوْ نُفُوذِهِ .

وَكُلُّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ المُسْلِمُونَ فَمِنَ الوَاجِبِ رَدُّهُ إلى كِتَابِ اللهِ،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ،وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ،وَيَحْتَكِمْ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ،فَلَيْسَ مُؤْمِناً بِاللهِ وَلاَ بِاليَوْمِ الآخِرِ .وَمَنْ يَحْتَكِم إلى شَرْعِ اللهِ،وَسُنَّةِ رَسُولِهِ،فَذَلِكَ خَيْرٌ لَهُ وَأَحْسَنُ عَاقِبَةً وَمَآلاً (تَأْوِيلاً)،لأَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ

245 - صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٤)٥٥ - (٢٥٧٧)

يُشَرِّعْ لِلنَّاسِ إِلاَّ مَا فِيهِ مَصْلَحَتُهُمْ وَمَنْفَعَتُهُمْ،وَالاحْتِكَامِ إِلى الشَّرْعِ يَمْنَعُ الاخْتِلافَ المُؤَدِّي إِلَى التَّنَازُعِ وَالضَّلاَلِ .[٢٤٦]

وفي هذا النص القصير يبين الله – سبحانه – شرط الإيمان وحد الإسلام.في الوقت الـذي يبين فيه قاعدة النظام الأساسي في الجماعة المسلمة وقاعـدة الحكم،ومصـدر السـلطان ..وكلها تبدأ وتنتهي عند التلقي من الله وحده والرجوع إليه فيما لم ينص عليه نصـا،من جزئيات الحياة التي تعرض في حياة الناس على مدى الأجيال مما تختلف فيه العقول والآراء والأفهام ..ليكون هنالك الميزان الثابت،الذي ترجع إليه العقول والآراء والأفهام!

إن «الحاكمية» لله وحده في حياة البشر – ما جل منها وما دق،وما كبر منها وما صغر – والله قد سن شريعة أودعها قرآنه.وأرسل بها رسـولا يبينـها للنـاس.ولا ينطـق عـن الهوى.فسنته – ﷺ – من ثم شريعة من شريعة الله.

والله واجب الطاعة.ومن خصائص ألوهيته أن يسن الشريعة.فشزيعته واجبة التنفيذ.وعلى الذين آمنوا أن يطيعوا الله – ابتداء – وأن يطيعوا الرسول – بما له من هذه الصفة.صـفة الرسالة من الله – فطاعته إذن من طاعة الله،الذي أرسله بهذه الشريعة،وببيانها للنـاس في سنته ..وسنته وقضاؤه – على هذا – جزء من الشريعة واجب النفاذ ..والإيمان يتعلـق – وجودا وعدما – بهذه الطاعة وهذا التنفيذ – بنص القرآن:«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِرِ» ..فأما أولو الأمر فالنص يعين من هم.

«وَأُولِي الْأَمْرِ ..مِنْكُمْ ..» أي من المؤمنين ..الذين يتحقق فيهم شـرط الإيمـان وحـد الإسلام المبين في الآية ..من طاعة الله وطاعة الرسول وإفراد الله – سبحانه – بالحاكميـة وحق التشريع للناس ابتداء والتلقي منه وحده – فيما نص عليه – والرجوع إليه أيضا فيما تختلف فيه العقول والأفهام والآراء،مما لم يرد فيه نص لتطبيق المبادئ العامة في النصـوص عليه.والنص يجعل طاعة الله أصلا وطاعة رسوله أصلا كذلك – بما أنه مرسـل منـه – ويجعل طاعة أولي الأمر ..منكم ..تبعا لطاعة الله وطاعة رسوله.فلا يكرر لفظ الطاعة عند

---

246 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٥٢، بترقيم الشاملة آليا) زيادة مني

ذكرهم،كما كررها عند ذكر الرسول – ﷺ – ليقرر أن طاعتهم مستمدة من طاعة الله وطاعة رسوله – بعد أن قرر أنهم «منكم» بقيد الإيمان وشرطه ..

وطاعة أولي الأمر ..منكم ..بعد هذه التقريرات كلها،في حدود المعروف المشروع من الله،والذي لم يرد نص بحرمته ولا يكون من المحرم عندما يرد إلى مبادئ شريعته،عند الاختلاف فيه ..والسنة تقرر حدود هذه الطاعة،على وجه الجزم واليقين:في الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رضى الله عنه عَنِ النَّبِىِّ – ﷺ – قَالَ «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ،فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ،مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ،فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ» [247]

وعَنْ عَلِىٍّ – رضى الله عنه – قَالَ بَعَثَ النَّبِىُّ – ﷺ – سَرِيَّةً فَاسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ،وَأَمَرَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ،فَغَضِبَ فَقَالَ أَلَيْسَ أَمَرَكُمُ النَّبِىُّ – ﷺ – أَنْ تُطِيعُونِى.قَالُوا بَلَى.قَالَ فَاجْمَعُوا لِى حَطَبًا.فَجَمَعُوا،فَقَالَ أَوْقِدُوا نَارًا.فَأَوْقَدُوهَا،فَقَالَ ادْخُلُوهَا.فَهَمُّوا،وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يُمْسِكُ بَعْضًا،وَيَقُولُونَ فَرَرْنَا إِلَى النَّبِىِّ – ﷺ – مِنَ النَّارِ.فَمَا زَالُوا حَتَّى خَمَدَتِ النَّارُ،فَسَكَنَ غَضَبُهُ،فَبَلَغَ النَّبِىَّ – ﷺ – فَقَالَ «لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،الطَّاعَةُ فِى الْمَعْرُوفِ» .[248]

وأخرج عَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ سَمِعْتُ جَدَّتِى تُحَدِّثُ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِىَّ – ﷺ – يَخْطُبُ فِى حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ «وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[249]

وعن يَحْيَى بْنِ الْحُصَيْنِ،أَنَّهُ سَمِعَ جَدَّتَهُ قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – يَخْطُبُ بِعَرَفَاتٍ وَهُوَ يَقُولُ:وَلَوْ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا،قَالَ عَبْدُ اللهِ:وسَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ:إِنِّي لأَرَى لَهُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ،وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ.[250]

---

247 – صحيح البخارى- المكنز [٢٣/ ٣٦٣] (٧١٤٤) وأخرجه الجماعة المسند الجامع [١٠/ ١٢٥٩] (٨١٥٩)

248 – صحيح البخارى- المكنز [١٤/ ٢٥٦] (٤٣٤٠) وصحيح مسلم- المكنز [١٢/ ٢٥٥] (٤٨٧١)

249 – صحيح مسلم- المكنز [١٢/ ٢٤٨] (٤٨٦٤)

250 – مسند أحمد (عالم الكتب) [٨/ ٨٠٩] (٢٧٢٦٩) ٢٧٨١٢ صحيح

فالعبرة هي الحكم بما أنزل الله ليس إلا، ولا قيمة لأي حاكم مهما علا كعبه إذا لم يحكم بما أنزل الله.

بهذا يجعل الإسلام كل فرد أمينا على شريعة الله وسنة رسوله.أمينا على إيمانه هو ودينه.أمينا على نفسه وعقله.أمينا على مصيره في الدنيا والآخرة ..ولا يجعله بهيمة في القطيع تزجر من هنا أو من هنا فتسمع وتطيع! فالمنهج واضح،وحدود الطاعة واضحة.والشريعة التي تطاع والسنة التي تتبع واحدة لا تتعدد،ولا تتفرق،ولا يتوه فيها الفرد بين الظنون! ذلك فيما ورد فيه نص صريح.فأما الذي لم يرد فيه نص.وأما الذي يعرض من المشكلات والأقضية،على مدى الزمان وتطور الحاجات واختلاف البيئات – ولا يكون فيه نص قاطع،أو لا يكون فيه نص على الإطلاق ..مما تختلف في تقديره العقول والآراء والأفهام – فإنه لم يترك كذلك تيها.و لم يترك بلا ميزان.

و لم يترك بلا منهج للتشريع فيه والتفريع ..ووضع هذا النص القصير،منهج الاجتهاد كله،وحدده بحدوده وأقام «الأصل» الذي يحكم منهج الاجتهاد أيضا.

«فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» ..ردوه إلى النصوص التي تنطبق عليه ضمنا.فإن لم توجد النصوص التي تنطبق على هذا النحو،فردوه إلى المبادئ الكلية العامة في منهج الله وشريعته ..وهذه ليست عائمة،ولا فوضى،ولا هي من المجهلات التي تتيه فيها العقول كما يحاول بعض المخادعين أن يقول.وهناك – في هذا الدين – مبادئ أساسية واضحة كل الوضوح،تغطي كل جوانب الحياة الأساسية،وتضع لها سياجا خرقه لا يخفى على الضمير المسلم المضبوط بميزان هذا الدين .

«إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ..تلك الطاعة لله والطاعة للرسول،ولأولي الأمر المؤمنين القائمين على شريعة الله وسنة الرسول ..ورد ما يتنازع فيه إلى الله والرسول ..هذه وتلك شرط الإيمان بالله واليوم الآخر.كما أنها مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر ..فلا يوجد الإيمان ابتداء وهذا الشرط مفقود ..ولا يوجد الإيمان،ثم يتخلف عنه أثره الأكيد.

وبعد أن يضع النص المسألة في هذا الوضع الشرطي،يقدمها مرة أخرى في صورة «العظة» والترغيب والتحبيب على نحو ما صنع في الأمر بالأمانة والعدل ثم التحبيب فيها والترغيب:«ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» ..ذلك خير لكم وأحسن مآلا.خير في الدنيا وخير

في الآخرة.وأحسن مآلا في الدنيا وأحسن مآلا في الآخرة كذلك ..فليســـت المســـألة أن اتباع هذا المنهج يؤدي إلى رضاء الله وثواب الآخرة –وهو أمر هائـــل،عظيم – ولكنـــه كذلك يحقق خير الدنيا وحسن مآل الفرد والجماعة في هذه الحياة القريبة.

إن هذا المنهج معناه:أن يستمتع «الإنسان» بمزايا منهج يضعه له الله ..الله الصانع الحكـــيم العليم البصير الخبير ..منهج بـــريء مـــن جهـــل الإنســـان،وهوى الإنسان،وضـــعف الإنسان.وشهوة الإنسان ..منهج لا محاباة فيه لفرد،ولا لطبقة،ولا لشعب،ولا لجـــنس،ولا لجيل من البشر على جيل ..لأن الله رب الجميع،ولا تخالجه – سبحانه وتعالى عن ذلـــك علوا كبيرا – شهوة المحاباة لفرد،أو طبقة،أو شعب،أو جنس،أو جيل.

ومنهج من مزاياه،أن صانعه هو صانع هذا الإنسان ..الذي يعلم حقيقة فطرته،والحاجات الحقيقية لهذه الفطرة،كما يعلم منحنيات نفسه ودروبها ووسائل خطابها وإصـــلاحها،فلا يخبط – سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا – في تيه التجارب بحثا عن منهج يوافـــق.ولا يكلف البشر ثمن هذه التجارب القاسية،حين يخبطون هم في التيه بلا دليل! وحســـبهم أن يجربوا في ميدان الإبداع المادي ما يشاءون.فهـــو مجـــال فســـيح جـــد فســـيح للعقـــل البشري.وحسبهم كذلك أن يحاول هذا العقل تطبيق ذلك المنهج ويدرك مواضع القيـــاس والاجتهاد فيما تتنازع فيه العقول.

ومنهج من مزاياه أن صانعه هو صانع هذا الكون،الذي يعيش فيه الإنسان.فهـــو يضـــمن للإنسان منهجا تتلاءم قواعده مع نواميس الكون فلا يروح يعارك هذه النواميس.بل يروح يتعرف إليها،ويصادقها،وينتفع بها ..والمنهج يهديه في هذا كله ويحميه.

ومنهج من مزاياه أنه – في الوقت الذي يهدي فيه الإنسان ويحميه – يكرمـــه ويحترمـــه ويجعل لعقله مكانا للعمل في المنهج ..مكان الاجتهاد في فهم النصوص الواردة.ثم الاجتهاد في رد ما لم يرد فيه نص إلى النصوص أو إلى المبادئ العامـــة للـــدين ..ذلـــك إلى المجـــال الأصيل،الذي يحكمه العقل البشري،ويعلن فيه سيادته الكاملة:ميدان البحث العلمـــي في الكون والإبداع المادي فيه[٢٥١]

---

251 – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٠٣٣) زيادة مني

المطلب التاسع –هناك شرطان لطاعة أولي الأمر:

هذا وقد اشترطت الآية شرطين لطاعة أولي الأمر:

١- أن تكون طاعة أولي الأمر في طاعة الله ورسوله،فإن خرجت عن طاعة الله ورسوله فلا طاعة لهم كما في الحديث الصحيح عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ جَيْشًا،وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا فَأَوْقَدَ نَارًا وَقَالَ:ادْخُلُوهَا،فَأَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا،وَقَالَ آخَرُونَ:إِنَّمَا فَرَرْنَا مِنْهَا،فَذَكَرُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ،فَقَالَ لِلَّذِينَ أَرَادُوا أَنْ يَدْخُلُوهَا:«لَوْ دَخَلُوهَا لَمْ يَزَالُوا فِيهَا إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»،وَقَالَ لِلْآخَرِينَ:«لاَ طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ،إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ»[٢٥٢]

وعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»[٢٥٣]

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ،فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ عَلَيْهِ وَلَا طَاعَةَ»[٢٥٤]

وكما في صحيح مسلم عَنْ يَحْيَى بْنِ حُصَيْنٍ،عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ الْحُصَيْنِ،قَالَ:سَمِعْتُهَا تَقُولُ:حَجَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَجَّةَ الْوَدَاعِ،فَرَأَيْتُهُ حِينَ رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ،وَانْصَرَفَ وَهُوَ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَمَعَهُ بِلَالٌ وَأُسَامَةُ أَحَدُهُمَا يَقُودُ بِهِ رَاحِلَتَهُ،وَالْآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ عَلَى رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الشَّمْسِ،قَالَتْ:فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْلًا كَثِيرًا،ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَقُولُ:«إِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ مُجَدَّعٌ – حَسِبْتُهَا قَالَتْ – أَسْوَدُ،يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى،فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»[٢٥٥]

---

252 – صحيح البخاري (٩/ ٨٨)(٧٢٥٧) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٦٩)٣٩ – (١٨٤٠)

253 – المعجم الكبير للطبراني (١٨/ ١٧٠)(٣٨١) صحيح

254 – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٢١٠)(١٧٠٧) صحيح زيادة مني

255 – صحيح مسلم (٢/ ٩٤٤)٣١١ – (١٢٩٨)

[ش (عبد مجدع) أي مقطع الأعضاء والتشديد للتكثير وإلا فالجدع قطع الأنف والأذن والشفة والذي قطع منه ذلك أجدع والأنثى جدعاء والمقصود التنبيه على نهاية خسته فإن العبد خسيس في العادة ثم سواده نقص آخر وجدعه نقص آخر ومن هذه الصفات مجموعة فيه فهو في نهاية الخسة والعادة أن يكون ممتهنا في أرذل الأعمال]

وعَنْ يَحْيَى بْنِ الْحُصَيْنِ،عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يَقُولُ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ،اتَّقُوا اللهَ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا،وَإِنْ أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ مُجَدَّعٌ مَا أَقَامَ فِيكُمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ " [٢٥٦]

وهذا هو المقصود أصلا من إقامة السلطة في الإسلام وهو أن تقيم الدين وتحكم بالكتاب،ولهذا قال سبحانه:{ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ } أنتم وولاتكم { فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ }،و لم يقل فردوه إلى ولاة أمركم،فجعل طاعة الله ورسوله هي الحكم والفيصل على الجميع،فإذا كان الله قد أرسل رسوله وأمره بقول تعالى:{وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ } [المائدة:٤٩]،فكذلك الخلفاء من بعده ليس لهم من الطاعة إلا ما وافق حكم الله جل جلاله.

ولوضوح هذا الأصل كانت أول خطبة خطبها أبو بكر وهو أول خليفة بعد رسول الله ﷺ في بيان هذا الأصل العظيم،حيث حدد فيها حدود طاعته،فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ:خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ:«إِنِّي وُلِّيتُكُمْ وَلَسْتُ مِنْ أَخْيَرِكُمْ،وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ فَإِنْ أَصَبْتُ فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَقَوِّمُونِي،وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُعْصَمُ بِالْوَحْيِ» [٢٥٧]

وعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:خَطَبَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:«أَمَّا بَعْدُ،فَإِنِّي وُلِّيتُ أَمْرَكُمْ،وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ،وَلَكِنَّهُ نَزَلَ الْقُرْآنُ،وَسَنَّ النَّبِيُّ ﷺ،وَعَلَّمَنَا فَعَمِلْنَا،وَاعْلَمُنَّ أَيُّهَا النَّاسُ أَنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ الْهُدَى» أَوْ قَالَ:«التُّقَى» «وَأَنَّ أَعْجَزَ الْعَجْزِ الْفُجُورُ،وَأَنَّ أَقْوَاكُمْ عِنْدِي الضَّعِيفُ حَتَّى آخُذَ لَهُ بِحَقِّهِ،وَأَنَّ أَضْعَفَكُمْ عِنْدِي الْقَوِيُّ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ،إِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ،وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ،فَإِنْ أَنَا أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي،وَإِنْ أَنَا زُغْتُ فَقَوِّمُونِي أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ» [٢٥٨]

---

[256] – مسند أحمد ط الرسالة (٢٧/ ٢٠٩)(١٦٦٤٩) صحيح

[257] – مسند البزار = البحر الزخار (١/ ١٨٠)(١٠٠) صحيح لغيره

[258] – الأموال للقاسم بن سلام (ص: ١٢)(٨ و٩) صحيح لغيره زيادة مني

وعلى هذا أجمع الصحابة رضي الله عنهم،وأن طاعة السلطة في الإسلام منوطة ومرهونة بكونها في دائرة طاعة الله ورسوله فقط.

٢- أن يكون أولي الأمر منا { وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ }،وهذا هو الشرط الثاني،فلا سمع ولا طاعة شرعية دينية لمن لم يكن من أهل الإيمان والإسلام،كما قال تعالى:{ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا } [النساء:١٤١]!

وكذلك لا سمع ولا طاعة لمن ظهرت ردته كما في حديث البيعة الصحيح عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ،قَالَ:دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ،وَهُوَ مَرِيضٌ،قُلْنَا:أَصْلَحَكَ اللَّهُ،حَدِّثْ بِحَدِيث يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ،سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعْنَاهُ،فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا:«أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا،وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا،وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ،إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا،عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»[٢٥٩]

أي فلا سمع ولا طاعة بل الواجب الخروج عليه وجهاده!

وعدم الحكم بردته بتأويل سائغ لا يمنع من سقوط ولايته على الأمة إذا ظهر كفر بواح مع قدرته على منعه،فنص الحديث اشترط لوجوب السمع والطاعة عدم ظهور كفر بواح فحينئذ تسقط الطاعة والولاية،سواء حكم بردة السلطان أو لم يحكم لوجود مانع وعذر!

المطلب العاشر -من صور ردة الحاكم ووجوب الخروج عليه:

ومن صور الردة التي تسقط الولاية حتى لو لم يحكم بكفر من صدرت منه:

---

259 - صحيح البخاري (٩/ ٤٧)(٧٠٥٥-٧٠٥٦) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٠)(٤٢ - ١٧٠٩)

[ش (أصلحك الله) كلمة اعتادوا أن يقولوها عند الطلب أو المراد الدعاء له بإصلاح جسمه ليعافى من مرضه.(أخذ علينا) اشترط علينا.(على السمع والطاعة) لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم.(منشطنا) حالة نشاطنا.(مكرهنا) في الأشياء التي نكرهها وتشق علينا.(أثرة علينا) استئثار الأمراء بحظوظهم واختصاصهم إياها بأنفسهم أي ولو منعنا حقوقنا.(الأمر) الملك والإمارة.(كفرا) منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فتكون المنازعة بالإنكار عليهم.أو كفرا ظاهرا فينازعون بالقتال والخروج عليهم وخلعهم.(بواحا) ظاهرا وباديا.(برهان) نص آية أو خبر صحيح لا يحتمل التأويل]

١- موالاة الأعداء ومظاهرتهم على الأمة كما قال تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة:٥١]،بينما آية الطاعة اشترطت أن يكون أولي الأمر منا!

٢- ومن صور الردة الظاهرة عدم الحكم بما أنزل الله كما قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء:٦٠]،فمن عطل الشرع،وحكم بين الأمة بغير ما أنزل الله،باختياره ورضاه،فهو طاغوت يجب البراءة منه وعدم اعتقاد ولايته أو موالاته!

قال القاضي عياض:" أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَةَ لَا تَنْعَقِدُ لِكَافِرٍ وَعَلَى أَنَّهُ لَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ الْكُفْرُ انْعَزَلَ قَالَ وَكَذَا لَوْ تَرَكَ إِقَامَةَ الصَّلَوَاتِ وَالدُّعَاءَ إِلَيْهَا قَالَ وَكَذَلِكَ عِنْدَ جُمْهُورِهِمُ الْبِدْعَةُ قَالَ وَقَالَ بَعْضُ الْبَصْرِيِّينَ تَنْعَقِدُ لَهُ وَتُسْتَدَامُ لَهُ لِأَنَّهُ مُتَأَوِّلٌ قَالَ الْقَاضِي فَلَوْ طَرَأَ عَلَيْهِ كُفْرٌ وَتَغْيِيرٌ لِلشَّرْعِ أَوْ بِدْعَةٌ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ الْوِلَايَةِ وَسَقَطَتْ طَاعَتُهُ وَوَجَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْقِيَامُ عَلَيْهِ وَخَلْعُهُ وَنَصْبُ إِمَامٍ عَادِلٍ إِنْ أَمْكَنَهُمْ ذَلِكَ فَإِنْ لَمْ يَقَعْ ذَلِكَ إِلَّا لِطَائِفَةٍ وَجَبَ عَلَيْهِمُ الْقِيَامُ بِخَلْعِ الْكَافِرِ وَلَا يَجِبُ فِي الْمُبْتَدِعِ إِلَّا إِذَا ظَنُّوا الْقُدْرَةَ عَلَيْهِ فَإِنْ تَحَقَّقُوا الْعَجْزَ لَمْ يَجِبِ الْقِيَامُ وَلْيُهَاجِرِ الْمُسْلِمُ عَنْ أَرْضِهِ إِلَى غَيْرِهَا وَيَفِرَّ بِدِينِهِ"[260]

وقال الحافظ ابن حجر:" يَنْعَزِلُ بِالْكُفْرِ إِجْمَاعًا فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ الْقِيَامُ فِي ذَلِكَ فَمَنْ قَوِيَ عَلَى ذَلِكَ فَلَهُ الثَّوَابُ وَمَنْ دَاهَنَ فَعَلَيْهِ الْإِثْمُ وَمَنْ عَجَزَ وَجَبَتْ عَلَيْهِ الْهِجْرَةُ من تِلْكَ الْأَرْضِ"[261]

وقال ابن بطال:(إِذَا وَقَعَ مِنَ السُّلْطَانِ الْكُفْرُ الصَّرِيحُ فَلَا تَجُوزُ طَاعَتُهُ فِي ذَلِكَ بَلْ تَجِبُ مُجَاهَدَتُهُ لِمَنْ قَدَرَ عَلَيْهَا)[262]

فإذا كان الواجب بإجماع العلماء الخروج على مثل هؤلاء وقتالهم لمن قدر عليه،فهو جهاد في سبيل الله،والقتيل فيه شهيد معركة بلا خلاف.

260 - شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٩)

261 - فتح الباري لابن حجر (١٣/ ١٢٣)

262 - فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧) ونيل الأوطار (٧/ ٢٠٨)

وكذلك لا سمع ولا طاعة ولا ولاية لمن ظهر نفاقه وزندقته،بل الواجب جهاده كما قال تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة:٧٣]...

قال الإمام الطبري:يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ:يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ بِالسَّيْفِ وَالسِّلَاحِ وَالْمُنَافِقِينَ.وَاخْتَلَفَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ فِي صِفَةِ الْجِهَادِ الَّذِي أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ بِهِ فِي الْمُنَافِقِينَ،فَقَالَ بَعْضُهُمْ:أَمَرَهُ بِجِهَادِهِمْ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ،وَبِكُلِّ مَا أَطَاقَ جِهَادَهُمْ بِهِ...

فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ،فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:" {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة:٧٣] قَالَ:بِيَدِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَكْفَهِرَّ فِي وَجْهِهِ "حسن

وَقَالَ آخَرُونَ:بَلْ أَمَرَهُ بِجِهَادِهِمْ بِاللِّسَانِ"فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَوْلُهُ تَعَالَى:" {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة:٧٣] فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِجِهَادِ الْكُفَّارِ بِالسَّيْفِ وَالْمُنَافِقِينَ بِاللِّسَانِ،وَأَذْهَبَ الرِّفْقَ عَنْهُمْ "حسن

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:" {جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ} [التوبة:٧٣] قَالَ:الْكُفَّارَ بِالْقِتَالِ،وَالْمُنَافِقِينَ:أَنْ تَغْلُظَ عَلَيْهِمْ بِالْكَلَامِ "حسن لغيره...

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ:وَأَوْلَى الْأَقْوَالِ فِي تَأْوِيلِ ذَلِكَ عِنْدِي بِالصَّوَابِ مَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ جِهَادِ الْمُنَافِقِينَ،بِنَحْوِ الَّذِي أَمَرَهُ بِهِ مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ:فَكَيْفَ تَرَكَهُمْ ﷺ مُقِيمِينَ بَيْنَ أَظْهُرِ أَصْحَابِهِ مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ؟ قِيلَ:إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ إِنَّمَا أَمَرَ بِقِتَالِ مَنْ أَظْهَرَ مِنْهُمْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ،ثُمَّ أَقَامَ عَلَى إِظْهَارِهِ مَا أَظْهَرَ مِنْ ذَلِكَ.وَأَمَّا مَنْ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ مِنْهُمْ أَنَّهُ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ وَأَخَذَ بِهَا،أَنْكَرَهَا وَرَجَعَ عَنْهَا وَقَالَ:إِنِّي مُسْلِمٌ،فَإِنَّ حُكْمَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَنْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ،أَنْ يُحْقَنَ بِذَلِكَ لَهُ دَمُهُ وَمَالُهُ وَإِنْ كَانَ مُعْتَقِدًا غَيْرَ ذَلِكَ،وَتَوَكَّلَ هُوَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِسَرَائِرِهِمْ،وَلَمْ يَجْعَلْ لِلْخَلْقِ الْبَحْثَ عَنِ السَّرَائِرِ،فَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ عِلْمِهِ بِهِمْ وَاطِّلَاعِ اللَّهِ إِيَّاهُ عَلَى ضَمَائِرِهِمْ وَاعْتِقَادِ صُدُورِهِمْ،كَانَ يُقِرُّهُمْ بَيْنَ أَظْهُرِ الصَّحَابَةِ،وَلَا يَسْلُكُ بِجِهَادِهِمْ مَسْلَكَ جِهَادِ مَنْ قَدْ نَاصَبَهُ الْحَرْبَ عَلَى الشِّرْكِ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ إِذَا اطُّلِعَ عَلَيْهِ أَنَّهُ قَدْ قَالَ قَوْلًا كَفَرَ فِيهِ بِاللَّهِ ثُمَّ أُخِذَ بِهِ أَنْكَرَهُ،وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِلِسَانِهِ،فَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَأْخُذُهُ إِلَّا بِمَا أَظْهَرَ لَهُ مِنْ قَوْلِهِ عِنْدَ

حُضُورِهِ إِيَّاهُ وَعَزْمِهِ عَلَى إِمْضَاءِ الْحُكْمِ فِيهِ،دُونَ مَا سَلَفَ مِنْ قَوْلٍ كَانَ نَطَقَ بِـهِ قَبْـلَ ذَلِكَ،وَدُونَ اعْتِقَادِ ضَمِيرِهِ الَّذِي لَمْ يُبِحِ اللَّهُ لِأَحَدٍ الْأَخْذَ بِهِ فِي الْحُكْمِ وَتَوَلَّى الْأَخْذَ بِهِ هُوَ دُونَ خَلْقِهِ.وَقَوْلُهُ:{وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ} [التوبة:٧٣] يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ:وَاشْدُدْ عَلَيْهِمْ بِالْجِهَادِ وَالْقِتَالِ وَالْإِرْهَابِ.وَقَوْلُهُ:{وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} [التوبة:٧٣] يَقُولُ:وَمَسَاكِنُهُمْ جَهَنَّمُ وَهِـيَ مَثْوَاهُمْ وَمَأْوَاهُمْ.{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [التوبة:٧٣] يَقُولُ:وَبِئْسَ الْمَكَانُ الَّذِي يُصَـارُ إِلَيْـهِ جَهَنَّمُ "[263]

فلا يتصور أن تكون للكافر أو المنافق ولاية شرعية دينية على المؤمنين مع الأمر بجهادهم!
فولاية المؤمنين هي لله ولرسوله ولمن تولاهما كما قال تعالى:{ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَـوَلَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ (٥٦)} [المائدة:٥٥،٥٦]..
وكذلك لا ولاية ابتداء للظالم وغير العدل كما قال تعالى:{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُـوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ } [هـود:١١٣]،وقـال تعالى:{وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَـالَ وَمِـنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ } [البقرة:١٢٤].
وقد اشترط الله العدالة فيمن يحكم في الصيد:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْـتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَـدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّـا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } [المائدة:٩٥].
واشترطه في الشهداء:{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَـارِقُوهُنَّ بِمَعْـرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا} [الطلاق:٢].
فكيف بالقاضي فضلا عن الإمام الذي يولي القضاة ليحكموا بالعدل؟!

263 - تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١١/ ٥٦٥-٥٦٨) زيادة مني

قال الإمام الرازي:" قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ:الْفَاسِقُ حَالَ فِسْقِهِ لَا يَجُوزُ عَقْدُ الْإِمَامَةِ لَهُ،وَاخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْفِسْقَ الطَّارِئَ هَلْ يُبْطِلُ الْإِمَامَةَ أَمْ لَا؟ وَاحْتَجَّ الْجُمْهُورُ عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ لَا يَصْلُحُ أَنْ تُعْقَدَ لَهُ الْإِمَامَةُ بِهَذِهِ الْآيَةِ،وَوَجْهُ الِاسْتِدْلَالِ بِهَا مِنْ وَجْهَيْنِ.الْأَوَّلُ:مَا بَيَّنَّا أَنَّ قَوْلَهُ:لَا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ جَوَابٌ لِقَوْلِهِ:وَمِنْ ذُرِّيَّتِي وَقَوْلَهُ:وَمِنْ ذُرِّيَّتِي طَلَبٌ لِلْإِمَامَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللَّهُ تَعَالَى،فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهَذَا الْعَهْدِ هُوَ الْإِمَامَةُ،لِيَكُونَ الْجَوَابُ مُطَابِقًا لِلسُّؤَالِ،فَتَصِيرُ الْآيَةُ كَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ:لَا يَنَالُ الْإِمَامَةُ الظَّالِمِينَ،وَكُلُّ عَاصٍ فَإِنَّهُ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ،فَكَانَتِ الْآيَةُ دَالَّةً عَلَى مَا قُلْنَاهُ،فَإِنْ قِيلَ:ظَاهِرُ الْآيَةِ يَقْتَضِي انْتِفَاءَ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَلَا يَصِحُّ ذَلِكَ فِي الْأَئِمَّةِ وَالْقُضَاةِ،قُلْنَا:أَمَّا الشِّيعَةُ فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِمْ فِي وُجُوبِ الْعِصْمَةِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا،وَأَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ:مُقْتَضَى الْآيَةِ ذَلِكَ،إِلَّا أَنَّا تَرَكْنَا اعْتِبَارَ الْبَاطِنِ فَتَبْقَى الْعَدَالَةُ الظَّاهِرَةُ مُعْتَبَرَةً،فَإِنْ قِيلَ:أَلَيْسَ أَنَّ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:سُبْحانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ [الْأَنْبِيَاءِ:٨٧] وَقَالَ آدَمُ:رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا [الْأَعْرَافِ:٢٣] قُلْنَا:الْمَذْكُورُ فِي الْآيَةِ هُوَ الظُّلْمُ الْمُطْلَقُ،وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي آدَمَ وَيُونُسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.الْوَجْهُ الثَّانِي:أَنَّ الْعَهْدَ قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِمَعْنَى الْأَمْرِ،قَالَ الله تعالى:أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطانَ [يس:٦٠] يَعْنِي أَلَمْ آمُرْكُمْ بِهَذَا،وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى:قالُوا إِنَّ اللَّهَ،قَالَ:وَهَذَا خَطَأٌ،وَلَمْ يُفَرِّقْ أَبُو حَنِيفَةَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ وَالْحَاكِمِ فِي أَنَّ شَرْطَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا الْعَدَالَةُ،وَكَيْفَ يَكُونُ خَلِيفَةً وَرِوَايَتُهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ،وَأَحْكَامُهُ غَيْرُ نَافِذَةٍ،وَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَدَّعِيَ ذَلِكَ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَقَدْ أَكْرَهَهُ ابْنُ هُبَيْرَةَ فِي أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ عَلَى الْقَضَاءِ،وَضَرَبَهُ فَامْتَنَعَ مِنْ ذَلِكَ فَحُبِسَ،فَلَحَّ ابْنُ هُبَيْرَةَ وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ كُلَّ يَوْمٍ أَسْوَاطًا،فَلَمَّا خِيفَ عَلَيْهِ،قَالَ لَهُ الْفُقَهَاءُ:تَوَلَّ لَهُ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَيَّ شَيْءٍ كَانَ حَتَّى يَزُولَ عَنْكَ الضَّرْبُ،فَتَوَلَّى لَهُ عَدَّ أَحْمَالِ التِّبْنِ الَّتِي تَدْخُلُ فَخَلَّاهُ،ثُمَّ دَعَاهُ الْمَنْصُورُ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ حَتَّى عَدَّ لَهُ اللَّبِنَ الَّذِي كَانَ يُضْرَبُ لِسُورِ مَدِينَةِ الْمَنْصُورِ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ وَقِصَّتُهُ فِي أَمْرِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ مَشْهُورَةٌ،وَفِي حَمْلِهِ الْمَالَ إِلَيْهِ وَفُتْيَاهُ النَّاسَ سِرًّا فِي وُجُوبِ نُصْرَتِهِ وَالْقِتَالِ مَعَهُ،وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ مَعَ مُحَمَّدٍ وَإِبْرَاهِيمَ ابْنَيْ عَبْدِ اللَّهِ بن الحسن،ثم قَالَ:وَإِنَّمَا غَلِطَ مَنْ غَلِطَ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ أَنَّ قَوْلَ أَبِي حَنِيفَةَ:إِنَّ الْقَاضِيَ إِذَا كَانَ عَدْلًا فِي

نَفْسِهِ،وَتَوَلَّى الْقَضَاءَ مِنْ إِمَامٍ جَائِرٍ فَإِنَّ أَحْكَامَهُ نَافِذَةٌ،وَالصَّلَاةَ خَلْفَهُ جَائِزَةٌ،لِأَنَّ الْقَاضِيَ إِذَا كَانَ عَدْلًا فِي نَفْسِهِ وَيُمْكِنُهُ تَنْفِيذُ الْأَحْكَامِ كَانَتْ أَحْكَامُهُ نَافِذَةً،فَلَا اعْتِبَارَ فِي ذَلِكَ بِمَــنْ وَلَّاهُ،لِأَنَّ الَّذِي وَلَّاهُ بِمَنْزِلَةِ سَائِرِ أَعْوَانِهِ،وَلَيْسَ شرط أعوان القاضي أن يكون عُدُولًا أَلَــا تَرَى أَنَّ أَهْلَ بَلَدٍ لَا سُلْطَانَ عَلَيْهِمْ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى الرِّضَا بِتَوْلِيَةِ رَجُلٍ عَدْلٍ مِنْهُمُ الْقَضَــاءَ حَتَّى يَكُونُوا أَعْوَانًا لَهُ عَلَى مَنِ امْتَنَعَ مِنْ قَبُولِ أَحْكَامِهِ لَكَانَ قَضَاؤُهُ نَافِذًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وِلَايَةٌ مِنْ جِهَةِ إِمَامٍ وَلَا سُلْطَانٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ."[٢٦٤]

وقال الشوكاني:" وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ لَــا بُــدَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالشَّرْعِ كَمَا وَرَدَ،لِأَنَّهُ إِذَا زَاغَ عَنْ ذَلِكَ كَانَ ظَالِمًا.وَيُمْكِنُ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى مَا يَصْدُقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْعَهْدِ،وَمَا تُفِيدُهُ الْإِضَافَةُ مِنَ الْعُمُومِ،فَيَشْمَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ اعْتِبَارًا بِعُمُومِ اللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ نَظَرٍ إِلَى السَّبَبِ وَلَا إِلَى السِّيَاقِ،فَيُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَــى اشْــتِرَاطِ السَّلَامَةِ مِنْ وَصْفِ الظُّلْمِ فِي كُلِّ مَنْ تَعَلَّقَ بِالْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ."[٢٦٥]

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ:وَقَالُوا فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْفَاسِقَ لَا يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ،وَكَيْفَ يَصْلُحُ لَهَا مَنْ لَا يَجُوزُ حُكْمُهُ وَلَا شَهَادَتُهُ،وَلَا تَجِبُ طَاعَتُهُ،وَلَا يُقْبَلُ خَبَرُهُ،وَلَا يُقَدَّمُ لِلصَّلَاةِ؟ وَكَــانَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُفْتِي سِرًّا بِوُجُوبِ نُصْــرَةِ زَيْــدِ بْــنِ عَلِيٍّ،وَحَمْــلِ الْمَــالِ إِلَيْهِ،وَالْخُرُوجِ مَعَهُ عَلَى اللِّصِّ الْمُتَغَلِّبِ الْمُتَسَمَّى بِالْإِمَامِ وَالْخَلِيفَةِ،كَالدَّوَانِيقِيِّ وَأَشْبَاهِهِ. وَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ:أَشَرْتَ عَلَى ابْنِي بِالْخُرُوجِ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّــدٍ،ابْنَيْ عَبْــدِ اللَّــهِ بْــنِ الْحُسَيْنِ،حَتَّى قُتِلَ فَقَالَ:لَيْتَنِي مَكَانَ ابْنِكِ.وَكَانَ يَقُولُ فِي الْمَنْصُورِ وَأَشْيَاعِهِ:لَوْ أَرَادُوا بِنَاءَ مَسْجِدٍ،وَأَرَادُونِي عَلَى عَدِّ آجُرِّهِ لَمَا فَعَلْتُ.وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ:لَــا يَكُــونُ الظَّــالِمُ إِمَامًــا قَطُّ.وَكَيْفَ يَجُوزُ نَصْبُ الظَّالِمِ لِلْإِمَامَةِ،وَالْإِمَامُ إِنَّمَا هُوَ لِكَفِّ الْمَظْلَمَةِ؟ فَإِذَا نُصِّبَ مَــنْ كَانَ ظَالِمًا فِي نَفْسِهِ،فَقَدْ جَاءَ الْمَثَلُ السَّائِرُ:مَنِ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ فَقَدْ ظَلَمَ.انْتَهَى كَلَامُهُ.[٢٦٦]

---

[264] – تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٤/ ٣٨) زيادة مني

[265] فتح القدير للشوكاني (١/ ١٦٠) وفتح البيان في مقاصد القرآن (١/ ٢٧٤) زيادة مني

[266] – البحر المحيط في التفسير (١/ ٦٠٥) وتفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التتريل (١/ ١٨٤)

وقال ابن خويز منداد المالكي:الظَّالِم لَا يَصْلُح أَنْ يَكُون خَلِيفَة وَلَا حَاكِمًا وَلَا مُفْتِيًا وَلَا شَاهِدًا وَلَا رَاوِيًا .[٢٦٧]

وقال الماوردي:" وَالثَّانِي:مَا تَعَلَّقَ فِيهِ بِشُبْهَةٍ،فَأَمَّا الْأَوَّلُ مِنْهُمَا فَمُتَعَلِّقٌ بِأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ،وَهُوَ ارْتِكَابُهُ لِلْمَحْظُورَاتِ،وَإِقْدَامُهُ عَلَى الْمُنْكَرَاتِ تَحْكِيمًا لِلشَّهْوَةِ وَانْقِيَادًا لِلْهَوَى،فَهَذَا فِسْقٌ يَمْنَعُ مِنِ انْعِقَادِ الْإِمَامَةِ وَمِنِ اسْتِدَامَتِهَا،فَإِذَا طَرَأَ عَلَى مَنِ انْعَقَدَتْ إمَامَتُهُ خَرَجَ مِنْهَا،فَلَوْ عَادَ إلَى الْعَدَالَةِ لَمْ يَعُدْ إلَى الْإِمَامَةِ إلَّا بِعَقْدٍ جَدِيدٍ."[٢٦٨]

وقال القرطبي في تفسير هذه الآية:(اسْتَدَلَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى أَنَّ الْإِمَامَ يَكُونُ مِنْ أَهْلِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ مَعَ الْقُوَّةِ عَلَى الْقِيَامِ بِذَلِكَ،وَهُوَ الَّذِي أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَلَّا يُنَازِعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ،عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْقَوْلِ فِيهِ.فَأَمَّا أَهْلُ الْفُسُوقِ وَالْجَوْرِ وَالظُّلْمِ فَلَيْسُوا لَهُ بِأَهْلٍ،لِقَوْلِهِ تَعَالَى:" لَا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ" وَلِهَذَا خَرَجَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَالْحُسَيْنُ بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.وَخَرَجَ خِيَارُ أَهْلِ الْعِرَاقِ وَعُلَمَاؤُهُمْ عَلَى الْحَجَّاجِ،وَأَخْرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بَنِي أُمَيَّةَ وَقَامُوا عَلَيْهِمْ،فَكَانَتِ الْحَرَّةُ الَّتِي أَوْقَعَهَا بِهِمْ مُسْلِمُ بْنُ عُقْبَةَ .)[٢٦٩]

وقَالَ ابْنُ خُوَيْزِ مَنْدَادَ:" وَكُلُّ مَنْ كَانَ ظَالِمًا لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا وَلَا خَلِيفَةً وَلَا حَاكِمًا وَلَا مُفْتِيًا،وَلَا إِمَامَ صَلَاةٍ،وَلَا يُقْبَلُ عَنْهُ مَا يَرْوِيهِ عَنْ صَاحِبِ الشَّرِيعَةِ،وَلَا تُقْبَلُ شَهَادَتُهُ فِي الْأَحْكَامِ،غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُعْزَلُ بِفِسْقِهِ حَتَّى يَعْزِلَهُ أَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ،وَمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَحْكَامِهِ مُوَافِقًا لِلصَّوَابِ مَاضٍ غَيْرَ مَنْقُوضٍ.وَقَدْ نَصَّ مَالِكٌ عَلَى هَذَا فِي الْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ أَنَّ أَحْكَامَهُمْ لَا تُنْقَضُ إِذَا أَصَابُوا بِهَا وَجْهًا مِنَ الِاجْتِهَادِ،وَلَمْ يَخْرِقُوا الْإِجْمَاعَ،أَوْ يُخَالِفُوا النُّصُوصَ."[٢٧٠]

وقال ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير:"وَفِي الْآيَةِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ لَيْسُوا جَدِيرِينَ بِالْإِمَامَةِ لِاتِّصَافِهِمْ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الظُّلْمِ كَالشِّرْكِ وَتَحْرِيفِ

---

267 – تفسير ابن كثير ط العلمية (١/ ٢٨٩) وسقط هذا النص من طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، لا أدري عمدا أم سهوا

268 – الأحكام السلطانية للماوردي (ص: ٤٢) والإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة (ص: ٨٤) والخلافة (ص: ٤٦) محمد رشيد رضا

269 – تفسير القرطبي (٢/ ١٠٨)

270 – تفسير القرطبي (٢/ ١٠٩)

الْكِتَابِ وَتَأْوِيلِهِ عَلَى حَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ وَالِانْهِمَاكِ فِي الْمَعَاصِي حَتَّى إِذَا عَرَضُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَصْفِ عَلِمُوا انْطِبَاقَهُ عَلَيْهِمْ.

وَإِنَاطَةُ الْحُكْمِ بِوَصْفِ الظَّالِمِينَ إِيمَاءٌ إِلَى عِلَّةِ نَفْيِ أَنْ يَنَالَهُمْ عَهْدُ اللَّهِ فَيُفْهَمُ مِنَ الْعِلَّةِ أَنَّهُ إِذَا زَالَ وَصْفُ الظُّلْمِ نَالَهُمُ الْعَهْدُ.

وَفِي الْآيَةِ أَنَّ الْمُتَّصِفَ بِالْكَبِيرَةِ لَيْسَ مُسْتَحِقًّا لِإِسْنَادِ الْإِمَامَةِ إِلَيْهِ أَعَنِي سَائِرَ وِلَايَاتِ الْمُسْلِمِينَ:الْخِلَافَةُ وَالْإِمَارَةُ وَالْقَضَاءُ وَالْفَتْوَى وَرِوَايَةُ الْعِلْمِ وَإِمَامَةُ الصَّلَاةِ وَنَحْوَ ذَلِكَ.قَالَ فَخْرُ الدِّينِ:قَالَ الْجُمْهُورُ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ الْفَاسِقُ حَالَ فِسْقِهِ لَا يَجُوزُ عَقْدُ الْإِمَامَةِ لَهُ.وَفِي «تَفْسِيرِ ابْنِ عَرَفَةَ» تَسْلِيمُ ذَلِكَ.وَنَقَلَ ابْنُ عَرَفَةَ عَنِ الْمَازِرِيِّ وَالْقُرْطُبِيُّ عَنِ الْجُمْهُورِ إِذَا عُقِدَ لِلْإِمَامِ عَلَى وَجْهٍ صَحِيحٍ ثُمَّ فَسَقَ وَجَارَ فَإِنْ كَانَ فِسْقُهُ بِكُفْرٍ وَجَبَ خَلْعُهُ وَأَمَّا بِغَيْرِهِ مِنَ الْمَعَاصِي فَقَالَ الْخَوَارِجُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَبَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ يَخْلَعُ وَقَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا يُخْلَعُ بِالْفِسْقِ وَالظُّلْمِ وَتَعْطِيلِ الْحُدُودِ وَيَجِبُ وَعْظُهُ وَتَرْكُ طَاعَتِهِ فِيمَا لَا تَجِبُ فِيهِ طَاعَةٌ وَهَذَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى خَلْعِهِ فَإِنْ لَمْ يُقْدَرْ عَلَيْهِ إِلَّا بِفِتْنَةٍ وَحَرْبٍ فَاتَّفَقُوا عَلَى مَنْعِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى جَوْرِهِ أَوْلَى مِنَ اسْتِبْدَالِ الْأَمْنِ بِالْخَوْفِ وَإِرَاقَةِ الدِّمَاءِ انطلاق أَيْدِي السُّفَهَاءِ وَالْفُسَّاقِ فِي الْأَرْضِ وَهَذَا حُكْمُ كُلِّ وِلَايَةٍ فِي قَوْلِ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ،وَمَا نُقِلَ عَنِ أبي حينفة مِنْ جَوَازِ كَوْنِ الْفَاسِقِ خَلِيفَةً وَعَدَمِ جَوَازِ كَوْنِهِ قَاضِيًا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ الْجَصَّاصُ هُوَ خَطَأٌ فِي النَّقْلِ."[271]

فهذه بعض أحكام السمع والطاعة وشروطها وحدودها،كما جاءت في القرآن والسنة،وكما فهمها علماء الأمة من السلف والخلف،ليس فيهم من يقول بأن لغير المسلم أو المرتد ولاية شرعية كحال كثير من الأنظمة العربية اليوم،ولا أنه يجب إعانة الظالم على ظلمه لا على الغير ولا على النفس،ولا أنه يجب الصبر على عدوانه،ولم يحتج أحد على جواز ذلك بحديث (وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ)،فلا يتصور أن يحرم الله الظلم ويوجب التصدي للظالم والأخذ على يده وأطره على الحق أطرا،ويأمر بتغيير المنكر،كما في الصحيح عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ:أَوَّلُ مَنْ بَدَأَ بِالْخُطْبَةِ يَوْمَ الْعِيدِ قَبْلَ الصَّلَاةِ

271 - التحرير والتنوير (١/ ٧٠٧)

مَرْوَانُ.فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ،فَقَالَ:الصَّلَاةُ قَبْلَ الْخُطْبَةِ،فَقَالَ:قَدْ تُرِكَ مَا هُنَالِكَ،فَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ:أَمَّا هَذَا فَقَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ،فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ،وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢٧٢]

وكما في حديث البيعة في الصحيحين عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ،عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،قَالَ:«بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ،وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ،وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا،وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ،وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا،لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ»[٢٧٣]

ويأمر بجهادهم باليد،فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ،وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ،ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ،فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ،وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[٢٧٤]

وفي المقابل يأمر بالسمع والطاعة لهم وإن أخذوا مال الإنسان أو اعتدوا عليه! فهذا تناقض صريح لا يقع أبدا من الشارع الحكيم!

وإذا كان لا يجوز بالإجماع إعانة الظالم والسلطان الجائر على ضرب بريء أو أخذ ماله ولو كان غير مسلم كما قال تعالى:{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة:٢]

فكيف يتصور أن يأمر الله المسلم أن يعين الجائر على ظلم نفسه وأخذ ماله؟! أو أن يصبر على ذلك ولا يدفع عن نفسه كما أذن له على لسان نبيه ﷺ،فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ»[٢٧٥]

---

272 - صحيح مسلم (١/ ٦٩)٧٨ - (٤٩)

273 - صحيح البخاري (٩/ ٧٧)(٧١٩٩) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٠)٤١ - (١٧٠٩) واللفظ له

274 - صحيح مسلم (١/ ٦٩)٨٠ - (٥٠)

275 - صحيح البخاري (٣/ ١٣٦)(٢٤٨٠)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ:أَرَأَيْتَ إِنْ أَتَانِي رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟،قَالَ:«لَا تُعْطِهِ مَالَكَ»،قَالَ:أَفرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟،قَالَ:«فَقَاتِلْهُ»،قَالَ:أَفرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟،قَالَ:«فَأَنْتَ شَهِيدٌ»،قَالَ:أَفرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟،قَالَ:«هُوَ فِي النَّارِ»[276]

وكيف يأمر الله المؤمنين بقبول الظلم وإقراره على أنفسهم بينما ذكر أهم صفات أهل الإيمان وأنهم يدفعون الظلم وينتصرون ممن ظلمهم فقال:{وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢)} [الشورى:٣٧ - ٤٢]!

وفي الصحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ قَالَ:«عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ،إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ،فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ،فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[277]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ،مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ،فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ»[278]

فإذا أراد السلطان المسلم الجائر ضرب إنسان،أو أخذ ماله،فإن كان هذا الضرب والأخذ للمال ظلما فهو معصية،فلا سمع ولا طاعة،بنص هذا الحديث الذي في الصحيحين،بل يجب الامتناع ومقاومة الجائر كما في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ قَاتَلَ دُونَ مَالِهِ فَقُتِلَ فَهُوَ شَهِيدٌ»[279]

---

276 - الإيمان لابن منده (٢/ ٦٣٣)(٥٨٣) صحيح

277 - صحيح مسلم (٣/ ١٤٦٩)٣٨ - (١٨٣٩)

278 - صحيح البخاري (٩/ ٦٣)(٧١٤٤)

279 - سنن النسائي (٧/ ١١٤)(٤٠٨٤) صحيح

فكيف ترد كل قطعيات القرآن والسنة هذه بمثل هذه الزيادة الضعيفة (وإن أخذ مالك وضرب ظهرك) التي ضعفها أئمة الحديث أنفسهم ونقاده كالإمام الدارقطني وهو أعلم أهل عصره بعلم العلل بلا خلاف!

المطلب الحادي عشر–في بيان معنى لفظة (اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك)

عَنْ أَبِي سَلَّامٍ،قَالَ:قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ،فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ،فَنَحْنُ فِيهِ،فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قُلْتُ:هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قُلْتُ:فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قُلْتُ:كَيْفَ؟ قَالَ:«يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ،وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي،وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»،قَالَ:قُلْتُ:كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ،إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ:«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ،وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ،وَأُخِذَ مَالُكَ،فَاسْمَعْ وَأَطِعْ»[٢٨٠]

وهذه زيادة وردت في حديث محفوظ مشهور عن حذيفة،ولم يذكر عامة الرواة عنه هذه الزيادة،فالموقف منها على ثلاثة أنحاء:

الأول:الحكم عليها بالضعف وردها،أولا لكونها مرسلة منقطعة،وقد أخرجها مسلم في المتابعات لا في الأصول،وثانيا لأنها زيادة تفرد بها راو ليس ممن يحتمل منه مثل هذا التفرد في حديث محفوظ مشهور،وهذا عند نقاد الحديث علة ترد بسببها هذه الزيادة لو كانت متصلة،فكيف وهي مرسلة منقطعة بلا خلاف!

قال الدارقطني في التتبع فيما استدركه على الصحيحين رقم ٥٣ (وأخرج مسلم حديث معاوية بن سلام عن زيد عن أبي سلام عن حذيفة ..وهذا عندي مرسل لم يسمع أبو سلام من حذيفة)!

---

280 - صحيح مسلم (٣/ ١٤٧٦)٥٢ - (١٨٤٧)

[ش (عن أبي سلام قال قال حذيفة) قال الدارقطني هذا عندي مرسل لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة وهو كما قال الدارقطني لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى وقد قدمنا أن الحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصلا تبينا به صحة المرسل وجاز الاحتجاج به ويصير في المسئلة حديثان صحيحان (في جثمان إنس) أي في جسم بشر]

وقد وافق الدارقطني على الحكم بالإرسال بين أبي سلام وحذيفة،كل من الحافظ المزي في تهذيب الكمال،والحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب،والعلائي في جامع التحصيل،والنووي في شرح مسلم حيث قال (قال الدارقطني:هذا عندي مرسل،وهو كما قال الدارقطني)!

وقال محقق الكتاب الشيخ مقبل بن هادي (في حديث حذيفة هذا زيادة ليست في حديث حذيفة المتفق عليه،وهي قوله ((وإن أخذ مالك وضرب ظهرك))،فهذه الزيادة ضعيفة،لأنها من هذه الطريق منقطعة)!

فهذه الزيادة منكرة عند أهل التحقيق،لأنه اجتمع فيها تفرد في الزيادة،وضعف في الرواية!

قلت:الصواب أنها صحيحة ؛ لأنها وردت موصولة من طريق آخر صحيح،فعَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالد،قَالَ:خَرَجْتُ إِلَى الْكُوفَة زَمَنَ فُتحَتْ تُسْتَرُ لأَجْلبَ منْهَا بغَالًا،فَدَخَلْتُ الْمَسْجدَ فَإِذَا صَدْعٌ منَ الرِّجَال تَعْرفُ إِذَا رَأَيْتَهُمْ أَنَّهُمْ منْ رجَال الْحجَاز،قَالَ:قُلْتُ:مَنْ هَذَا؟ قَالَ:فَحَدَّقَني الْقَوْمُ بأَبْصَارهمْ،وَقَالُوا:مَا تَعْرفُ هَذَا؟ هَذَا حُذَيْفَةُ صَاحبُ سرِّ رَسُول اللَّه ﷺ،قَالَ:فَقَالَ حُذَيْفَةُ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ:إِنَّ النَّاسَ كَانُوا يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّه ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه،أَرَأَيْتَ هَذَا الْخَيْرَ الَّذي أَعْطَانَا اللَّهُ يَكُونُ بَعْدَهُ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ؟ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّه،فَمَا الْعصْمَةُ منْ ذَلكَ؟ قَالَ:«السَّيْفُ» قُلْتُ:وَهَلْ للسَّيْف منْ بَقيَّة؟ قَالَ:«نَعَمْ» قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:«ثُمَّ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ» قَالَ:«جَمَاعَةٌ عَلَى فرْقَة،**فَإِنْ كَانَ للَّه عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَئذ خَليفَةٌ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ،فَاسْمَعْ وَأَطعْ** وَإِلَّا فَمُتْ عَاضًّا بجذْل شَجَرَة» قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:«يَخْرُجُ الدَّجَّالُ وَمَعَهُ نَهْرٌ وَنَارٌ،فَمَنْ وَقَعَ في نَاره أَجَرَهُ وَحَطَّ وزْرَهُ،وَمَنْ وَقَعَ في نَهْره وَجَبَ وزْرُهُ وَحُطَّ أَجْرُهُ» قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:«ثُمَّ إِنَّمَا هيَ قيَامُ السَّاعَة»

وفي رواية:" **فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْزَمْهُ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ وَإِنْ لَمْ تَرَ خَلِيفَةً فَاهْرُبْ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ»** [٢٨١]

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ،قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،مَا الْعِصْمَةُ مِنْ ذَلِكَ؟،وَذَكَرَ دُعَاةَ الضَّلَالَةِ،فَقَالَ:«إِنْ لَقِيتَ لِلَّهِ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَالْزَمْهُ،وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ،وَأَخَذَ مَالَكَ،وَإِلَّا فَاهْرُبْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى أَصْلِ شَجَرَةٍ» [٢٨٢]

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«سَتَكُونُ أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي،وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي،وَسَتَكُونُ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي أَجْسَادِ الْإِنْسِ» قُلْتُ:كَيْفَ أَصْنَعُ إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:«تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ الْأَعْظَمِ،وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ،وَأَخَذَ مَالَكَ،فَاسْمَعْ وَأَطِعْ» [٢٨٣]

وعجبت لمن يزعم أنه محدث ثم لا يستوعب طرق الحديث،فكيف إذا كان في صحيح الإمام مسلم،ثم يسارع فيحكم عليه بالضعف !!!!!

الثاني:قبول الزيادة بشرط تفسيرها على نحو يوافق النصوص القرآنية والنبوية القطعية،بأن يقال وإن أخذ مالك بالحق وقضى به لخصمك،أو ضرب ظهرك في حد من حدود الله بالحق،فلا تخرج عليه كحال أهل الجاهلية الذين لا يعرفون السمع والطاعة في مثل هذا الأمر،كما قال ابن حزم:" كل هَذَا لَا حجَّة لَهُم فِيهِ لما قد تقصيناه غَايَة التَّقَصِّي خَبرا خَبرا بأسانيدها ومعانيها فِي كتَابنَا الموسوم بالاتصال إِلَى فهم معرفَة الْخِصَال وَنَذْكُر مِنْهُ إِن شَاءَ الله هَاهُنَا جملا كَافِيَة وَبِاللَّه تَعَالَى نتأيد أما أمره ﷺ بِالصبرِ على أَخذ المَال وَضرب الظّهْر فَإِنَّمَا ذَلِك بِلَا شكّ إِذا تولى الإِمَام ذَلِك بِحَق وَهَذَا مَا لَا شكّ فِيهِ أَنه فرض علينا

---

281 - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٤٧٩)(٨٣٣٢) وصححه ووافقه الذهبي ومسند البزار = البحر الزخار (٧/ ٣٦١)(٢٩٥٩ و٢٩٦٠و٢٩٦١) من طرق وهو صحيح،وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٥٣٩)(٢٧٣٩) وسلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٨٤٧)(٦٣٨١)

282 - الفتن لنعيم بن حماد (١/ ١٤٤) (٣٥٧) صحيح

283 - المعجم الأوسط (٣/ ١٩٠) (٢٨٩٣) صحيح لغيره

الصَّبْر لَهُ وَإِن امْتنع من ذَلِك بل من ضرب رقبته إِن وَجب عَلَيْهِ فَهُوَ فَاسق عَاص لله تَعَالَى وَإِمَّا إِن كَانَ ذَلِك بباطل فمعاذ الله أَن يَأْمر رَسُول الله ﷺ بالصبر على ذَلِك برهَان هَـذَا قَول الله عز وَجل {وتعاونوا على الْبر وَالتَّقوى وَلَا تعاونوا على الْإِثْم والعـدوان} وَقـد علمنَا أَن كَلَام رَسُول الله ﷺ لَا يُخَالف كَلَام ربه تَعَالَى قَالَ الله عز وَجل {وَمَا ينْطق عَن الْهوى أَن هُوَ إِلَّا وَحي يُوحى} وَقَالَ تَعَالَى {وَلَو كَانَ من عِنْد غـير الله لوجـدوا فِيـه اخْتِلَافا كثيرا} فصح أَن كل مَا قَالَه رَسُول الله ﷺ فَهُوَ وَحي من عِنْد الله عز وَجل وَلَـا اخْتِلَاف فِيهِ وَلَا تعَارض وَلَا تنَاقض فَإِذا كَانَ هَذَا كَذَلِك فيقين لَا شكّ فِيهِ يـدْرِي كـل مُسلم أَن أَخذ مَال مُسلم أَو ذمِّي بِغَيْر حق وَضرب ظَهره بِغَيْر حق إِثْم وعدوان وَحـرَام قَالَ رَسُول الله ﷺ إِن دماءكم وَأَمْوَالكُمْ وَأَعْرَاضكُمْ حرَام عَلَيْكُم فَإِذْ لَا شكّ فِي هَذَا وَلَا اخْتِلَاف من أحد من الْمُسلمين فالمسلم مَاله للأخذ ظلما وظهره للضرب ظلما وَهُوَ يقدر على الِامْتِنَاع من ذَلِك بِأَيّ وَجه أمكنه معاون لظالمه على الْإِثْم والعدوان وَهَذَا حرَام بِنَصّ الْقُرْآن وَأما سَائِر الْأَحَادِيث الَّتِي ذكرنَا وقصة ابْني آدم فَلَا حجَّة فِي شَيْء مِنْهَا أما قصَّـة ابْني آدم فَتلك شَرِيعَة أُخْرَى غير شريعتنا قَالَ الله عز وَجل {لكل جعلنَا مـنْكُم شـرعة ومنهاجاً} وَأما الْأَحَادِيث فقد صَحَّ عَن رَسُول الله ﷺ من رأى مِنْكُم مُنْكرا فليغيره بِيَـدِهِ إِن اسْتَطَاعَ فَإِن لم يسْتَطع فبلسانه فَإِن لم يسْتَطع فبقلبه وَذَلِكَ أَضْعَف الْإِيمَان لَـيْسَ وَرَاء ذَلِك من الْإِيمَان شَيْء وَصَحَّ عَن رَسُول الله ﷺ لَا طَاعَة فِي مَعْصِيّة إِنَّمَا الطَّاعَة فِي الطَّاعَة وعَلى أحدكُم السّمع وَالطَّاعَة مَا لم يُؤمر بِمَعْصِيَة فَإِن أَمر بِمَعْصِيَة فَلَا سمع وَلَا طَاعَة وَإنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَام قَالَ من قتل دون مَاله فَهُوَ شَهِيد والمقتول دون دينه شَـهِيد والمقتـول دون مظْلمَة شَهِيد وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَام لتأمرن بِالْمَعْرُوفِ ولتنهون عَن الْمُنكـر أَو ليعمـنكم الله بِعَذَاب من عِنْده فَكَانَ ظَاهر هَذِه الْأَخْبَار مُعَارضا للْآخر فصح أَن إِحْدَى هَاتين الجملـتين ناسخة للْأُخْرَى لَا يُمكن غير ذَلِك فَوَجَبَ النّظر فِي أَيهمَا هُوَ النَّاسـخ فَوَجَـدنَا تِلْـكَ الْأَحَادِيث الَّتِي مِنْهَا النَّهْي عَن الْقِتَال مُوَافقَة لمعهود الأَصْل وَلما كَانَت الْحَال فِيهِ فـي أول الْإِسْلَام بِلَا شكّ وَكَانَت هَذِه الْأَحَادِيث الْأُخَر وَارِدَة بشريعة زَائِدَة وَهِي الْقِتَال هَذَا مَا لَـا شكّ فِيهِ فقد صَحَّ نسخ متن تِلْكَ الحاديث وَرفع حكمهَا حِين نطقه عَلَيْهِ السَّـلَام بِهَـذِهِ

الْأُخَر بِلَا شكّ فَمن الْمحَال الْمحرم أَن يُؤْخَذ بالمنسوخ وَيتْرك النَّاسِخ وَأَن يُؤْخَذ الشَّك وَيتْرك الْيَقِين وَمن ادّعى أَن هَذِه الْأَخْبَار بعد أَن كَانَت هِيَ الناسخة فَعَادَت مَنْسُوخَة فقد ادّعى الْبَاطِل وَقفا مَا لَا علم لَهُ بِهِ فَقَالَ على الله مَا لم يعلم وَهَذَا لَا يحل وَلَو كَانَ هَذَا لما أخلا الله عز وَجل هَذَا الحكم عَن دَلِيل وبرهان يبين بِهِ رُجُوع الْمَنْسُوخ نَاسِخا لقَوْله تَعَالَى فِي الْقُرْآن تبياناً لكل شَيْء وبرهان آخر وَهُوَ أَن الله عز وَجل قَالَ {وَإِن طَائِفَتَانِ من الْمُؤمنِينَ اقْتَتَلُوا فأصلحوا بَينهمَا فَإِن بَغت إِحْدَاهمَا على الْأُخْرَى فَقَاتلُوا الَّتِي تبغي حَتَّى تفيء} لم يخْتَلف مسلمان فِي أَن هَذِه الْآيَة الَّتِي فِيهَا فرض قتال الفئة الباغية محكمَة غير مَنْسُوخَة فصح أَنَّهَا الحاكمة فِي تِلْكَ الْأَحَادِيث فَمَا كَانَ مُوَافقا لهَذِهِ الْآيَة فَهُوَ النَّاسِخ الثَّابِت وَمَا كَانَ مُخَالفا لَهَا فَهُوَ الْمَنْسُوخ الْمَرْفُوع"[284]

الثالث:حمل الزيادة على معنى خاص لا يتعارض مع النصوص الأخرى،وهو الحث على لزوم الجماعة ولزوم الخلافة في عصور الفتن،حتى وإن تعرض المسلم للتعذيب بسبب ذلك،فالخلافة العامة عصمة من الفتنة العامة،وقد ضبطت اللفظة على المبني للمجهول (وإن أُخذ مالك،وضُرب ظهرك)![285]

ويكون المعنى الزم الخلافة والجماعة،حتى وإن أوذيت بسبب ذلك على يد أهل الفتنة والفرقة فأخذوا مالك وضربوا ظهرك،كما فعل الخوارج في المسلمين حين كانوا يمتحنوهم بالبيعة لهم،ونقض بيعة خلفاء المسلمين!

ويزيده وضوحا رواية أبي داود الطيالسي عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ قَالَ:غَلَتِ الدَّوَابُّ فَأَتَيْنَا الْكُوفَةَ نَجْلِبُ مِنْهَا دَوَابَّ فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ صَدَعٌ مِنَ الرِّجَالِ حَسَنُ الثَّغْرِ يُعْرَفُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الْحِجَازِ وَإِذَا نَاسٌ مُشْرَئِبُّونَ عَلَيْهِ فَقَالَ:لَا تَعْجَلُوا عَلَيَّ أُحَدِّثْكُمْ،فَإِنَّا كُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ فَإِذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَكَانَ اللَّهُ رَزَقَنِي فَهْمًا فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،قُلْتُ:فَمَا الْعِصْمَةُ يَا رَسُولَ

284 - الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٣٣)

285 - كما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٤٤/١٥ !

اللَّهِ؟ قَالَ:«السَّيْفُ»،قُلْتُ:فَهَلْ لِلسَّيْفِ مِنْ بَقِيَّةٍ؟ فَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ؟ قَالَ:«تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ»،قَالَ:قُلْتُ:فَمَا يَكُونُ بَعْدَ الْهُدْنَةِ؟ قَالَ:«دُعَاةُ الضَّلَالَةِ فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْزَمْهُ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ وَإِنْ لَمْ تَرَ خَلِيفَةً فَاهْرُبْ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ»،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ:«الدَّجَّالُ».[286]

فالمقصود ليس الصبر على الجائر حتى وإن أخذ المال واستحل الضرب،بل الصبر على لزوم الخلافة العامة وجماعة الأمة،مهما تعرض المسلم للأذى على يد دعاة الضلالة والفرقة بسبب لزومه للخلافة والجماعة!

ويزيده بيانا الحديث المتفق عليه في الصحيحين عن أبي إِدْرِيسَ الخَوْلاَنِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ يَقُولُ:كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ،وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي،فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ،فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ،فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ:«نَعَمْ» قُلْتُ:وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ:«نَعَمْ،وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ:وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ:«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي،تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ:فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ:«نَعَمْ،دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ،مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ:«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا،وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ:فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ،قُلْتُ:فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا،وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ،حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[287]

---

[286] - مسند أبي داود الطيالسي (١/ ٣٥٥)(٤٤٤) صحيح

[287] - صحيح البخاري (٤/ ١٩٩)(٣٦٠٦) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٥)٥١ - (١٨٤٧)

[ش (أسأله عن الشر) أستوضحه عنه.(مخافة أن يدركني) خوفا من أن أقع فيه أو أدرك زمنه.(دخن) من الدخان أي ليس خيرا خالصا بل فيه ما يشوبه ويكدره وقيل الدخن الأمور المكروهة.(تعرف منهم وتنكر) أي ترى منهم أشياء موافقة للشرع وأشياء مخالفة له.(جلدتنا) من أنفسنا وقومنا وقيل هم في الظاهر مثلنا ومعنا وفي الباطن مخالفون لنا في أمورهم وشؤونهم وجلدة الشيء ظاهره.(جماعة المسلمين) عامتهم التي تلتزم بالكتاب والسنة.(إمامهم) أميرهم العادل الذي اختاروه ونصبوه عليهم.(تعض بأصل شجرة) أي حتى ولو كان الاعتزال بالعض على أصل شجرة والعض هو الأخذ بالأسنان والشد عليها والمراد المبالغة في الاعتزال]

وفي رواية أحمد عَنْ سُبَيْعٍ قَالَ:أَرْسَلُونِي مِنْ مَاهٍ إِلَى الْكُوفَةِ أَشْتَرِي الدَّوَابَّ،فَأَتَيْنَا الْكُنَاسَةَ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَيْهِ جَمْعٌ،قَالَ:فَأَمَّا صَاحِبِي فَانْطَلَقَ إِلَى الدَّوَابِّ وَأَمَّا أَنَا فَأَتَيْتُهُ،فَإِذَا هُوَ حُذَيْفَةُ،فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ:كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ؟ قَالَ:" نَعَمْ "،قُلْتُ:فَمَا الْعِصْمَةُ مِنْهُ؟ قَالَ:" السَّيْفُ " – أَحْسَبُ أَبُو التَّيَّاحِ يَقُولُ:السَّيْفُ،أَحْسَبُ – قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:" ثُمَّ تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ "،قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:" ثُمَّ تَكُونُ دُعَاةُ الضَّلَالَةِ،فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ خَلِيفَةَ اللهِ فِي الْأَرْضِ فَالْزَمْهُ،وَإِنْ نَهَكَ جِسْمَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ،فَإِنْ لَمْ تَرَهُ فَاهْرَبْ فِي الْأَرْضِ،وَلَوْ أَنْ تَمُوتَ وَأَنْتَ عَاضٌّ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ "،قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:" ثُمَّ يَخْرُجُ الدَّجَّالُ "،قَالَ:قُلْتُ:فَبِمَ يَجِيءُ بِهِ مَعَهُ؟ قَالَ:" بِنَهَرٍ – أَوْ قَالَ:مَاءٍ – وَنَارٍ،فَمَنْ دَخَلَ نَهْرَهُ حُطَّ أَجْرُهُ،وَوَجَبَ وِزْرُهُ،وَمَنْ دَخَلَ نَارَهُ وَجَبَ أَجْرُهُ وَحُطَّ وِزْرُهُ "،قَالَ:قُلْتُ:ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:" لَوْ أَنْتَجْتَ فَرَسًا لَمْ تَرْكَبْ،فَلُوَّهَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ "[٢٨٨]

ففيه تحذير من طاعة دعاة الضلالة والدعاة على أبواب جهنم،حتى وإن أخذوا ماله وضربوا ظهره،والأمر بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم،إن كانت الخلافة قائمة،وإلا وجب على الفرد اعتزال تلك الفرق كلها،ووجب على الأمة بمجموعها القيام بواجبها في أن تقيم الجماعة الواحدة والخلافة الراشدة!

فقسَّم هذا الحديث الصحيح عن حذيفة الأطوار التي تمر بها الأمة،وأنظمتها السياسية،وخطابها السياسي إلى ثلاث مراحل:

أولا:مرحلة الخير المحض،وهو عهد النبوة والخلفاء الراشدين،حيث يسود الخطاب السياسي المترل،وحيث الأمة الواحدة،والإمامة والخلافة الواحدة،ثم تحدث فتنة وشر،وهو ما جرى من فتن في آخر عهد الصحابة،وهي إرهاصات التحول إلى مرحلة جديدة.

---

288 – مسند أحمد ط الرسالة (٣٨/ ٤٢١)(٢٣٤٢٥) صحيح

"نهك جسمك": أى أجهده ."بجذل": الجذل هو أصل الشجرة .

ثانيا:مرحلة الخير الذي فيه دخن،حيث يظهر الخطاب المؤول،ويكون الناس جماعة واحدة على دخن فيهم وبينهم،وتختلط السنة بالبدعة،والخطاب المترل بالمؤول،حيث يكون خلفاء يخلطون الخير بالشر،والمعروف بالمنكر،والسنة بالبدعة،كما قال عنهم النبي ﷺ «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي،تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»[289].

وهم الذين قال فيهم كما في الحديث الصحيح عَنْ فُرَاتٍ القَزَّازِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ،قَالَ:قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ،فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ،كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ،وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي،وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا:فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:«فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ،أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ،فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[290]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ،فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا»[291]

وهؤلاء هم الذين تترل عليهم أحاديث الصبر على ما قد يقع منهم من أثرة،مع أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر،وإعانتهم على الحق.

وهذه هي مرحلة الخطاب المؤول التي ظلت الخلافة فيه قائمة نحو ألف ومائتي عام،منذ استشهاد آخر خليفة صحابي وهو عبد الله بن الزبير سنة ٧٣هـ إلى سقوط آخر خلافة للمسلمين وهي الخلافة العثمانية على يد الجيوش الصليبية الاستعمارية في الحرب العالمية الأولى!

قلت:" وقد يكون أمره بالصبر كما أمر الصحابي الجليل أبا ذر رضي الله عنه بذلك،حيث يكون هناك اختلاف في فهم أمور الحياة،وفي فهم الظلم وغيره،فقد لا

---

289 - صحيح البخاري (٤/ ١٩٩)(٣٦٠٦)

290 - صحيح البخاري (٤/ ١٦٩)(٣٤٥٥) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧١)٤٤ - (١٨٤٢)

[ش (تسوسهم) تتولى أمورهم والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.(فيكثرون) أي يكون أكثر من حاكم واحد للمسلمين في زمن واحد.(فوا) من الوفاء.(ببيعة الأول فالأول) أي إن الذي تولى الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصحيحة التي يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها مطلقا.(أعطوهم حقهم) أطيعوهم في غير معصية.(سائلهم) محاسبهم بالخير والشر عن حال رعيتهم]

291 - صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠)٦١ - (١٨٥٣)

يكون مظلوما في حقيقة الأمر،لأن الله تعالى قد حرم الظلم،وجعله محرما بين عباده وأمر برد المظالم،فلا يمكن أن يقر الظالم على ظلمه إلا إذا ترتب تغيير المنكر إلى منكر أشد منه،لأن تقدير الفرد في مثل هذه الظروف غير تقدير الجماعة قطعاً "[٢٩٢]

ثالثا:ثم مرحلة الشر المحض،وهي مرحلة الخطاب المبدل كلية،وما أقامته الحملة الصليبية على أنقاض الخلافة من دويلات طوائف على أسس قومية ووطنية،لتغيب لأول مرة في تاريخ المسلمين الخلافة الجامعة،ولتتشرذم الأمة والجماعة الواحدة،وتتعطل الشريعة الحاكمة،حيث الفتنة العمياء الصماء،فعَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ:وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدَ اقْتَرَبَ،أَظَلَّتْ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ أَظَلَّتْ،وَاللهِ لَهِيَ أَسْرَعُ إِلَيْهِمْ مِنَ الْفَرَسِ الْمُضَمَّرِ السَّرِيعِ،الْفِتْنَةُ الْعَمْيَاءُ الصَّمَّاءُ الْمُشْبِهَةُ،يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا عَلَى أَمْرٍ وَيُمْسِي عَلَى أَمْرٍ،الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ،وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي،وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي،وَلَوْ أُحَدِّثُكُمْ بِكُلِّ الَّذِي أَعْلَمُ لَقَطَعْتُمْ عُنُقِي مِنْ هَاهُنَا،وَأَشَارَ عَبْدُ اللهِ إِلَى قَفَاهُ بِحَرْفِ كَفِّهِ يَحُزُّهُ،وَيَقُولُ:اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكُ أَبَا هُرَيْرَةَ إِمْرَةُ الصِّبْيَانِ.[٢٩٣]

وَعَنِ ابْنِ عَائِذٍ،قَالَ:حَدَّثَنِي مِشْرَحٌ،أَنَّ ثَوْبَانَ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«إِنَّ أَمَامَكُمْ فِتَنًا ثَلَاثًا دُونَ الدَّجَّالِ،إِحْدَاهُنَّ مَوْتِي،وَالْأُخْرَى فِتْنَةُ السَّرَّاءِ،وَالْأُخْرَى الْعَمْيَاءُ الصَّمَّاءُ الْمُظْلِمَةُ،تَلِجُ كُلَّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الْعَرَبِ،يَبْعَثُهَا رَجُلٌ مِنْ بَيْنِ الْحَجَرَيْنِ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَالْحَجَرِ الْأَسْوَدِ»[٢٩٤]

وعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:" جُعِلَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَمْسُ فِتَنٍ:فِتْنَةٌ عَامَّةٌ،ثُمَّ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ،ثُمَّ فِتْنَةٌ عَامَّةٌ،ثُمَّ فِتْنَةٌ خَاصَّةٌ،ثُمَّ تَأْتِي الْفِتْنَةُ الْعَمْيَاءُ الصَّمَّاءُ الْمُطْبِقَةُ الَّتِي تَصِيرُ النَّاسُ فِيهَا كَالْأَنْعَامِ »[٢٩٥]

---

292 - زيادة مني

293 - مصنف ابن أبي شيبة -دار القبلة (٢١/ ٩٤)(٣٨٤٠٦) حسن

294 - مسند الشاميين للطبراني (٣/ ٣٩٢)(٢٥٣٤) حسن

295 - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٤٨٤)(٨٣٥٠) حسن زيادات مني

فلا جماعة ولا خلافة،ليقوم فيها دعاة من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا،على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيه،حيث يحكم الأمة ويتصرف فيها خطاب سياسي مبدل،قوميا تارة،واشتراكيا تارة،وشيوعيا تارة ثالثة،ورأسماليا ليبراليا تارة أخرى!!

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ،وَالْبُخْلُ،وَيُخَوَّنَ الْأَمِينُ،وَيُؤْتَمَنَ الْخَائِنُ،وَيَهْلِكَ الْوُعُولُ،وَتَظْهَرَ التَّحُوتُ» قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَمَا الْوُعُولُ وَالتَّحُوتُ؟ قَالَ:«الْوُعُولُ:وُجُوهُ النَّاسِ وَأَشْرَافُهُمْ،وَالتَّحُوتُ:الَّذِينَ كَانُوا تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ لَا يُعْلَمُ بِهِمْ».[٢٩٦]

ومما يؤكد أن الانحراف المقصود بهذا الحديث هو الانحراف في الخطاب السياسي،ما جاء فعن بِشْرَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ الْحَضْرَمِيِّ،أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيَّ،يَقُولُ:سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ،رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ:كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ،وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي،فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ:إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ،فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ:«نَعَمْ»،فَقُلْتُ:هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ فَقَالَ:«نَعَمْ،وَفِيهِ دَخَنٌ»،فَقُلْتُ:وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ:«قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي،وَيَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي،تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»،فَقُلْتُ:هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ:«نَعَمْ،دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ،مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا».فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ:صِفْهُمْ لَنَا،قَالَ:«نَعَمْ،هُمْ قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا».قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»،قُلْتُ:فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ؟ قَالَ:«اعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا،وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[٢٩٧]

فجعل العصمة من هذه الفتنة العامة،لا بلزوم الكتاب والسنة الذين يجب لزومهما في كل وقت وحال،بل بلزوم النظام السياسي الإسلامي المتمثل في الخلافة الجامعة،والأمة الواحدة،وفي رواية عَنْ سُبَيْعِ بْنِ خَالِدٍ،قَالَ:غَلَتِ الدَّوَابُّ فَأَتَيْنَا الْكُوفَةَ نَجْلِبُ مِنْهَا دَوَابَّ

---

[296] - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٥/ ٢٥٨)(٦٨٤٤) صحيح لغيره زيادة مني

[297] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٧٢) صحيح

فَدَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَجُلٌ صَدَعٌ مِنَ الرِّجَالِ حَسَنُ الثَّغْرِ يُعْرَفُ أَنَّهُ مِنْ رِجَالِ الْحِجَازِ وَإِذَا نَاسٌ مُشْرَئِبُّونَ عَلَيْهِ فَقَالَ:لاَ تَعْجَلُوا عَلَيَّ أُحَدِّثْكُمْ،فَإِنَّا كُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ فَإِذَا أَمْرٌ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَكَانَ اللَّهُ رَزَقَنِي فَهْمًا فِي الْقُرْآنِ وَكَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ كَمَا كَانَ قَبْلَهُ شَرٌّ ؟ قَالَ:نَعَمْ،قُلْتُ:فَمَا الْعِصْمَةُ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ:السَّيْفُ،قُلْتُ:فَهَلْ لِلسَّيْفِ مِنْ بَقِيَّةٍ ؟ فَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ ؟ قَالَ:تَكُونُ هُدْنَةٌ عَلَى دَخَنٍ،قَالَ:قُلْتُ:فَمَا يَكُونُ بَعْدَ الْهُدْنَةِ ؟ قَالَ:دُعَاةُ الضَّلاَلَةِ فَإِنْ رَأَيْتَ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً فَالْزَمْهُ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ وَإِنْ لَمْ تَرَ خَلِيفَةً فَاهْرُبْ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَاضٌّ عَلَى جِذْلِ شَجَرَةٍ،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ ؟ قَالَ:الدَّجَّالُ.[٢٩٨]

فدل على أن المحدثات والبدع هي في الخطاب السياسي الذي يسوس شئون الأمة على غير هدى الكتاب والسنة وسنن الخلفاء الراشدين،كما في الحديث عن خَالِدَ بْنِ مَعْدَانَ،قَالَ:حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ،وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ،قَالَا:أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ،وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} [التوبة:٩٢] فَسَلَّمْنَا،وَقُلْنَا:أَتَيْنَاكَ زَائِرِينَ وَعَائِدِينَ وَمُقْتَبِسِينَ،فَقَالَ الْعِرْبَاضُ:صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ،ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ،فَقَالَ قَائِلٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ،فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ فَقَالَ «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا،فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا،فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ،تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ،فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ،وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢٩٩]

---

298 - مسند أبي الطيالسي -طبعة دار هجر - مصر (١/ ٢٥٢)(٤٤٤) صحيح

299 - سنن أبي داود (٤/ ٢٠١)(٤٦٠٧) صحيح

حيث بدأت بالملك العضوض،ثم يأتي زمان تزول فيه الخلافة كلية،ويكون البـــديل عنـــها جبابرة وطواغيت ودعاة على أبواب جهنم،كل طاغوت يحكـــم في بلـــده وفـــق هـــواه وشهواته وياسقه![300]

ثم ستعود بعد ذلك خلافة على نهج النبوة من جديد،كما جاء في أحاديث صحيحة أخرى عن حذيفة نفسه!

فربط حديث حذيفة الانحراف بما سيجري من افتراق الجماعة والإمامـــة،وهو موضـــوع سياسي،إذ توحيد الأمة السياسي قرين توحيدها الديني كما في الحديث الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا،وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا،فَيَرْضَى لَكُمْ:أَنْ تَعْبُدُوهُ،وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا،وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا،وَيَكْرَهُ لَكُـــمْ:قِيـــلَ وَقَالَ،وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ،وَإِضَاعَةَ الْمَالِ "[301]

ويزيده وضوحا ما جاء عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ،قَالَ:كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُـــولِ اللهِ ﷺ،وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكُفُّ حَدِيثَهُ،فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيُّ،فَقَالَ:يَا بَشِيرُ بْنَ سَعْدٍ أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،فِي الْأُمَرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ:أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ،فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَـــةَ،فَقَالَ حُذَيْفَةُ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ،ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ،فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ،ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا،ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا،فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ،ثُمَّ يَرْفَعُهَـــا إِذَا شَـــاءَ أَنْ

---

300 - قال ابن كثير: وَقَوْلُهُ: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ} يُنْكِرُ تَعَالَى عَلَى مَـــنْ خَرَجَ عَنْ حُكْمِ اللَّهِ الْمُحْكَمِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى كُلِّ خَيْرٍ، النَّاهِي عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَعَدَلَ إِلَى مَا سِوَاهُ مِـــنَ الْـــآرَاءِ وَالْـــأَهْوَاءِ وَالِاصْطِلَاحَاتِ، الَّتِي وَضَعَهَا الرِّجَالُ بِلَا مُسْتَنَدٍ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ، كَمَا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَحْكُمُونَ بِهِ مِـــنَ الضَّـــلَالَاتِ وَالْجَهَالَاتِ، مِمَّا يَضَعُونَهَا بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ، وَكَمَا يَحْكُمُ بِهِ التَّتَارُ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَلَكِيَّةِ الْمَأْخُوذَةِ عَـــنْ مَلِكِهِـــمْ جِنْكِزْخَانَ، الَّذِي وَضَعَ لَهُمُ اليَساق وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ كِتَابٍ مَجْمُوعٍ مِنْ أَحْكَامٍ قَدِ اقْتَبَسَهَا عَنْ شَرَائِعَ شَتَّى، مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ وَالْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَفِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَحْكَامِ أَخَذَهَا مِنْ مُجَرَّدِ نَظَرِهِ وَهَوَاهُ، فَصَارَتْ فِي بَنِيهِ شَـــرْعًا مُتَّبَعًـــا، يُقَدِّمُونَهَا عَلَى الْحُكْمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ كَافِرٌ يَجِبُ قِتَالُهُ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى حُكْـــمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ [ﷺ] فَلَا يَحْكُمُ سِوَاهُ فِي قَلِيلٍ وَلَا كَثِيرٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ} أَيْ: يَبْتَغُونَ وَيُرِيدُونَ، وَعَنْ حُكْمِ اللَّهِ يَعْدِلُونَ.تفسير ابن كثير ت سلامة (٣/ ١٣١)

301 - صحيح مسلم (٣/ ١٣٤٠)١٠ - (١٧١٥)

يَرْفَعَهَا،ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً،فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ،ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا،ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ "[٣٠٢]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ،رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ يَقُولُ:لَكَأَنِّي بِرَاكِبٍ قَدْ أَنَاخَ بِكُمْ،فَقَالَ:الْأَرْضُ أَرْضُنَا،وَالْمَالُ مَالُنَا،فَحَالَ بَيْنَ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ،وَبَيْنَ الْمَالِ الَّذِي أَفَاءَ اللهُ عَلَى آبَائِهِمْ "[٣٠٣]

فكل هذه الأحاديث التي كان يحدث بها حذيفة بن اليمان تتحدث عن فتن سياسية،وعن انحراف في الخطاب السياسي،وعن بعض ملامح هذا الانحراف،وأنها تطرأ على الخلافة وتحولها من خلافة راشدة وشورى على نهج النبوة،إلى خلافة ملك عضوض،ثم ملك جبري قهري،واستبداد بالسلطة،واستئثار بالأموال،وأن من يفعلون ذلك سيدَّعون أن الأرض أرضهم والمال مالهم،بعد أن كانت الأرض للأمة والمال مالها!

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ،أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ:إِنَّمَا الْمَالُ مَالُنَا،وَالْفَيْءُ فَيْئُنَا،فَمَنْ شَاءَ أَعْطَيْنَاهُ وَمَنْ شِئْنَا مَنَعْنَاهُ،فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ،فَلَمَّا كَانَ الْجُمُعَةُ الثَّانِيَةُ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ،فَلَمْ يُجِبْهُ أَحَدٌ،فَلَمَّا كَانَ الْجُمُعَةُ الثَّالِثَةُ قَالَ مِثْلَ مَقَالَتِهِ،فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِمَّنْ حَضَرَ الْمَسْجِدَ،فَقَالَ:كَلَّا،إِنَّمَا الْمَالُ مَالُنَا وَالْفَيْءُ فَيْئُنَا،فَمَنْ حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ حَاكَمْنَاهُ إِلَى اللهِ بِأَسْيَافِنَا،فَنَزَلَ مُعَاوِيَةُ فَأَرْسَلَ إِلَى الرَّجُلِ فَأَدْخَلَهُ فَقَالَ الْقَوْمُ:هَلَكَ الرَّجُلُ،ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ فَوَجَدُوا الرَّجُلَ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ،فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلنَّاسِ:إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ أَحْيَانِي أَحْيَاهُ اللهُ،سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«سَيَكُونُ أَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَقُولُونَ وَلَا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ،يَتَقَاحَمُونَ فِي النَّارِ كَمَا تَتَقَاحَمُ الْقِرَدَةُ»،وَإِنِّي تَكَلَّمْتُ أَوَّلَ جُمُعَةٍ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ أَحَدٌ،فَخَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مِنْهُمْ،ثُمَّ تَكَلَّمْتُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ أَحَدٌ،فَقُلْتُ فِي نَفْسِي:إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ،ثُمَّ تَكَلَّمْتُ فِي الْجُمُعَةِ الثَّالِثَةِ فَقَامَ هَذَا الرَّجُلُ فَرَدَّ عَلَيَّ فَأَحْيَانِي أَحْيَاهُ اللهُ"[٣٠٤]

---

302 - مسند أحمد ط الرسالة (٣٠/ ٣٥٥)(١٨٤٠٦) صحيح

303 - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٢٧٥) صحيح

304 - المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٣٩٣)(٩٢٥) حسن زيادة مني

المطلب الثاني عشر–ملامح الانحراف السياسي وتحوله من خلافة راشدة:

لقد وردت أحاديث كثيرة كحديث حذيفة،تحدد ملامح الانحراف في الخطاب السياسي وتحوله من خلافة راشدة،ثم خلافة رحمة،إلى خلافة ملك عضوض،ثم إلى جبابرة وطواغيت ومن ذلك:

١– عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«أَوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ،ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبَرُوتٌ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الْخَمْرُ وَالْحَرِيرُ» قَالَ أَبُو مُحَمَّد:" سُئِلَ عَنْ أَعْفَرَ فقال:يُشَبِّهُهُ بِالتُّرَابِ ولَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ "[305]

وفي رواية عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«أَوَّلُ دِينِكُمْ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبْرِيَّةٌ يُسْتَحَلُّ فِيهَا الْحِرُ وَالْحَرِيرُ»[306]

وفي رواية عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ مُلْكٌ عَضُوضٌ،ثُمَّ تَصِيرُ جَبْرِيَّةً وَعَبَثًا»[307]

وفي رواية وعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَحَدُهُمَا:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا» وَقَالَ أَحَدُهُمَا:«عَاضٌّ وَفِيهِ رَحْمَةٌ،ثُمَّ جَبَرُوتٌ صَلْعَاءُ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا مُتَعَلَّقٌ،تُضْرَبُ فِيهَا الرِّقَابُ،وَتُقْطَعُ فِيهَا الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ،وَتُؤْخَذُ فِيهَا الْأَمْوَالُ»[308]

٢– عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«إِنَّ دِينَكُمْ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ مُلْكًا وَجَبْرِيَّةٌ،ثُمَّ مُلْكًا عَضُوضًا يُسْتَحَلُّ فِيهِ الْحِرُ وَالْحَرِيرُ»[309]

٣– عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ قَالَ:كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ،وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ يَتَنَاجَيَانِ بَيْنَهُمَا بِحَدِيثٍ،فَقُلْتُ لَهُمَا:مَا حَفِظْتُمَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِي؟ قَالَ:وَكَانَ أَوْصَاهُمَا بِي،قَالَا:مَا أَرَدْنَا أَنْ نَنْتَجِيَ بِشَيْءٍ دُونَكَ،إِنَّمَا ذَكَرْنَا حَدِيثًا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،فَجَعَلَا يَتَذَاكَرَانِهِ

---

305 – سنن الدارمي (٢/ ١٣٣٤)(٢١٤٦) صحيح لغيره

306 – مسند الشاميين للطبراني (٢/ ٢٩٣)(١٣٦٩) صحيح لغيره

307 – الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٩٨)(٢٣٥) حسن

308 – الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٩٨)(٢٣٣) صحيح لغيره

309 – المعجم الكبير للطبراني (٢٢/ ٢٢٣)(٥٩١) صحيح لغيره

قَالَا:«إِنَّهُ بَدَأَ هَذَا الْأَمْرُ نُبُوَّةً وَرَحْمَةً،ثُمَّ كَائِنٌ خِلَافَةً وَرَحْمَةً،ثُمَّ كَائِنٌ مُلْكًا عَضَوضًا،ثُمَّ كَائِنٌ عُتُوًّا وَجَبْرِيَّةً وَفَسَادًا فِي الْأُمَّةِ،يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيرَ وَالْخُمُورَ وَالْفُرُوجَ وَالْفَسَادَ فِي الْأُمَّةِ،يُنْصَرُونَ عَلَى ذَلِكَ،وَيُرْزَقُونَ أَبَدًا حَتَّى يَلْقُوا اللَّهَ»[310]

٥- عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ كَعْبًا،يَقُولُ:«أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ نُبُوَّةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ خِلَافَةٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ سُلْطَانٌ وَرَحْمَةٌ،ثُمَّ مُلْكٌ جَبْرِيَّةٌ،فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَبَطْنُ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنْ ظَهْرِهَا»[311]

ويظهر من مجموع هذه الأحاديث أنه تكون بعد النبوة ثلاث نظم سياسية:

أولا:خلافة رحمة على نهج النبوة،وهي التي تعبر عن مضامين الخطاب المترل،وهي تنقسم إلى فترتين:خلافة نبوة،وهو عهد الخلفاء الراشدين،وخلافة رحمة،وهم الخلفاء من الصحابة بعد الخلفاء الراشدين،كما فصلته في (تحرير الإنسان).

ثانيا:خلافة مشوبة بملك فيه رحمة،وسلطان ورحمة،وملك أعفر مختلط،وهو الذي يمثل الخطاب المؤول،وهم الخلفاء الذين تتابعوا بعد عهد الصحابة من خلفاء بني أمية وبني العباس وبني عثمان،حيث يكون الأمر فيه بالمغالبة والقوة وهو خلافة الملك،مع العدل والصلاح والحكم بالشريعة والجهاد في سبيل الله،إلا أنه تختلط فيه السنة والبدعة،والمعروف والمنكر،وسلطان ورحمة،وملك أعفر،ويختلط فيه الخير والشر،والرحمة والشدة،والاستبداد والعدل،كما في الحديث الصحيح (تعرف منهم وتنكر)،ثم يزول هذا الأمر كلية.

ثالثا:ثم تزول الخلافة كلية ويخلفها جبرية وطاغوتية وعبث لا رحمة فيه،وجبابرة وطواغيت،يستحلون فيها كل المحرمات،وتضرب فيها الرقاب،وتسفك الدماء،وتقطع الأيدي والأرجل،وتؤخذ الأموال،ويستباح الخمر والربا والزنى،فلا خلافة،ولا جماعة واحدة،ولا شريعة حاكمة،ولا جهاد قائم،وهم الذين قال فيهم الحديث «دُعَاةٌ عَلَى

---

310 - مسند أبي يعلى الموصلي (٢/ ١٧٧)(٨٧٣) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (١/ ١٥٢)(٥٩٤) والمطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية (٩/ ٥٧٤)(٢٠٩٢) حسن

311 - الفتن لنعيم بن حماد (١/ ٩٩)(٢٣٧) وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٢٥) صحيح

أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»[312]،وهم الذين أوجب الشارع على الأمة اعتزالهم!

وهو الواقع المعاصر الذي زالت فيه الخلافة الإسلامية كلية لأول مرة في تاريخ الأمة،بعد أن ساد المسلمون العالم مدة ثلاثة عشر قرنا بالخلافة والجماعة،فحدث ما أخبر به النبي ﷺ بحذافيره،وحلَّ محل ذلك خطاب سياسي مبدل،على يد الحملة الصليبية في الحرب العالمية الأولى،التي أقامت على أنقاض الخلافة دويلات الطوائف والفتنة،حيث تم تعطيل الشريعة الإسلامية كلية،وتم استباحة الربا والخمر والزنى،وقام فيها الطواغيت في عامة أمصار المسلمين،وتسلطت أنظمة حكم بدعم من الاستعمار الأجنبي بما لا عهد للأمة به في تاريخها كله،حتى تحول العالم العربي خاصة إلى سجن كبير لشعوبه،وحتى بلغ سجناء الرأي في بعض دوله في مدة واحدة مائة ألف سجين،وقام فيه دعاة للطواغيت من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا،يدعون إلى أبواب جهنم!

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري قَوله:"هُم مِن جِلـدَتِنا" ؛ أَي مِن قَومنا ومِن أَهل لِساننا ومِلَّتنا،وفِيهِ إِشارَة إِلَى أَنَّهُم مِنَ العَرَب.

وقالَ الدّاوُدِيُّ:أَي مِن بَنِي آدَم.وقالَ القابِسِيّ:مَعناهُ أَنَّهُم فِي الظّاهِر عَلَى مِلَّتنا وفِي الباطِن مُخالِفُونَ .

وقَولُه:"وأَنتَ عَلَى ذَلِكَ أَي العَضّ"،وهُو كِنايَة عَن لُـزُوم جَماعَـة المُسـلِمِينَ وطاعَـة سَلاطِينهم ولَو عَصَوا.قالَ البَيضاوِيّ:المَعنَى إِذا لَم يَكُن فِي الأَرض خَلِيفَة فَعَلَيك بِالعُزلَـةِ والصَّبر عَلَى تَحَمُّل شِدَّة الزَّمان "..[313]

رابعا:ثم ستزول هذه الأنظمة،لتعود من جديد خلافة على نهج النبوة،وستعود وحدة الأمة من جديد،وتعود أحكام الشريعة من جديد بالعدل والقسط والرحمة والعلم،وتعود للأمة حريتها وخلافتها في الأرض من جديد،كما بشر بذلك النبي ﷺ،وكما تشهد به إرهاصات الواقع المعاصر،وما ذلك على الله بعزيز،إلا إن الإصلاح لن يحدث فجأة،كما

---

312 - صحيح البخاري (٩/ ٥١)(٧٠٨٤) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٧٥)٥١ - (١٨٤٧)

313 - فتح الباري شرح صحيح البخاري- ط دار المعرفة (١٣/ ٣٦)

أن الانحراف لم يحدث فجأة،بل على مراحل كما هي سنن الله التي لا تتخلف،وكما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث الصحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ..»[314]

وكما في الحديث الآخر عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" لَا يَلْبَثُ الْجَوْرُ بَعْدِي إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يَطْلُعَ،فَكُلَّمَا طَلَعَ مِنَ الْجَوْرِ شَيْءٌ ذَهَبَ مِنَ الْعَدْلِ مِثْلُهُ،حَتَّى يُولَدَ فِي الْجَوْرِ مَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ،ثُمَّ يَأْتِي اللهُ بِالْعَدْلِ،فَكُلَّمَا جَاءَ مِنَ الْعَدْلِ شَيْءٌ،ذَهَبَ مِنَ الْجَوْرِ مِثْلُهُ،حَتَّى يُولَدَ فِي الْعَدْلِ مَنْ لَا يَعْرِفُ غَيْرَهُ "[315]

المطلب الثالث عشر–ليست كل سلطة شرعية وتجب طاعتها:

من ظن أن كل سلطة هي سلطة شرعية مهما كانت طبيعة النظام السياسي،وأن كل ذي سلطان مهما كان حاله يجب طاعته،فقد خالف الكتاب والسنة وأقوال الأئمة،بل إن أهل السنة والجماعة لا يعترفون بأي نظام حكم إلا بالخلافة على أصولها،كما جاء في الحديث الصحيح عن خَالِدَ بْنِ مَعْدَانَ،حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَمْرٍو السُّلَمِيُّ،وَحُجْرُ بْنُ حُجْرٍ الْكَلَاعِيُّ،قَالَا:أَتَيْنَا الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ،وَهُوَ مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ:{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ} [التوبة:٩٢]،فَسَلَّمْنَا وَقُلْنَا:أَتَيْنَاكَ زَائِرَيْنَ وَمُقْتَبِسَيْنِ،فَقَالَ الْعِرْبَاضُ:صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصُّبْحَ ذَاتَ يَوْمٍ،ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً،ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ،وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ،فَقَالَ قَائِلٌ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ،فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ:«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ،وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ،وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا،فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا،فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ،فَتَمَسَّكُوا بِهَا،وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ،وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ،وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[316]

---

314 – صحيح مسلم (١/ ١٣١)(١٤٦)

315 – مسند أحمد ط الرسالة (٣٣/ ٤٢٢)(٢٠٣٠٨) ومسند الروياني (٢/ ٣٢٧)(١٢٩٢) حسن

316 – صحيح ابن حبان – مخرجا (١/ ١٧٨)(٥) صحيح

وفي الصحيح عَنْ فُرَاتٍ الْقَزَّازِ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا حَازِمٍ،قَالَ:قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ،فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ،كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ،وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي،وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا:فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ:«فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ،أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ،فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[٣١٧]

وفي الحديث الأخر الصحيح عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«إِذَا بُويِعَ لِخَلِيفَتَيْنِ،فَاقْتُلُوا الْآخَرَ مِنْهُمَا»[٣١٨]

المطلب الرابع عشر -أهل السنة والجماعة لا يعترفون بتعدد الأئمة

فأهل السنة والجماعة وهم عامة الأمة،يرون الخلافة الواحدة هي النظام الشرعي الوحيد في الإسلام،ولا يعترفون بتعدد الأئمة،ولا بافتراق الأمة،فإذا كانت الأمة جماعة واحدة على إمام واحد،يحكم بينهم بما أنزل الله،فهذا الذي تجب طاعته بالمعروف،فإن كان زمن فتنة وفرقة،ولا خلافة ولا جماعة،كما هو حال الأمة اليوم،فلا بيعة تلزم الأمة لواحد من المختلفين،قال الخلال:وَأَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي هَارُونَ،أَنَّ إِسْحَاقَ،حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ سُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ:«مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»،مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:" تَدْرِي مَا الْإِمَامُ؟ الْإِمَامُ الَّذِي يُجْمِعُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ،كُلُّهُمْ يَقُولُ:هَذَا إِمَامٌ،فَهَذَا مَعْنَاهُ "[٣١٩]

وقَالَ أَحْمَدُ فِي رِسَالَةِ عُبْدُوسِ بْنِ مَالِكٍ الْعَطَّارِ:" أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – " إِلَى أَنْ قَالَ:" وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَأَجْمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ

---

317 – صحيح البخاري (٤/ ١٦٩)(٣٤٥٥) [ش (تسوسهم) تتولى أمورهم والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه.(فيكثرون) أي يكون أكثر من حاكم واحد للمسلمين في زمن واحد.(فوا) من الوفاء.(ببيعة الأول فالأول) أي إن الذي تولى الأمر وبويع قبل غيره هو صاحب البيعة الصحيحة التي يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها مطلقا.(أعطوهم حقهم) أطيعوهم في غير معصية.(سائلهم) محاسبهم بالخير والشر عن حال رعيتهم]

318 – صحيح مسلم (٣/ ١٤٨٠)٦١ – (١٨٥٣)

319 – السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٨١)(١٠)

وَرَضُوا بِهِ،وَمَنْ غَلَبَهُمْ بِالسَّيْفِ حَتَّى صَارَ خَلِيفَةً وَسُمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،فَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِ جَائِزٌ بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا ".

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ إِسْحَاقَ بْنِ مَنْصُورٍ،وَقَدْ سُئِلَ عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ - ﷺ - " «مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» " مَا مَعْنَاهُ؟ فَقَالَ:تَدْرِي مَا الْإِمَامُ؟ الْإِمَامُ الَّذِي يُجْمِعُ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ،كُلُّهُمْ يَقُولُ:هَذَا إِمَامٌ؛ فَهَذَا مَعْنَاهُ " [320]

واحتج بفعل ابن عمر نفسه،راوي هذا الحديث،فعن سَعِيدَ بْنِ حَرْبٍ الْعَبْدِيِّ،قَالَ:كُنْتُ جَلِيسًا لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ زَمَنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ،وَفِي طَاعَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ رُءُوسُ الْخَوَارِجِ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ وَعَطِيَّةُ بْنُ الْأَسْوَدِ وَنَجْدَةُ فَبَعَثُوا أَوْ بَعْضُهُمْ شَابًّا إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ:مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَرَأَيْتُهُ حِينَ مَدَّ يَدَهُ وَهِيَ تَرْجُفُ مِنَ الضَّعْفِ،فَقَالَ:" وَاللهِ مَا كُنْتُ لِأُعْطِيَ بَيْعَتِي فِي فُرْقَةٍ،وَلَا أَمْنَعُهَا مِنْ جَمَاعَةٍ "[321]

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ الْبَرَاءِ،أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ،وَعَبْدَ اللهِ بْنَ صَفْوَانَ،كَانَا ذَاتَ يَوْمٍ قَاعِدَيْنِ فِي الْحِجْرِ،فَمَرَّ بِهِمَا ابْنُ عُمَرَ،وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ،فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ:أَتُرَاهُ بَقِيَ أَحَدٌ خَيْرٌ مِنْ هَذَا؟ ثُمَّ قَالَ لِرَجُلٍ:ادْعُهُ لَنَا إِذَا قَضَى طَوَافَهُ فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ،وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ،أَتَاهُ رَسُولُهُمَا فَقَالَ:هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ يَدْعُوانِكَ،فَجَاءَ إِلَيْهِمَا فَقَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ صَفْوَانَ:يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُبَايِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ،فَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَهْلُ الْعَرُوضِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ وَعَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ؟ فَقَالَ:" وَاللهِ لَا أُبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ وَاضِعُو سُيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَصَبَّبُ أَيْدِيكُمْ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ " [322]

وعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ،أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ،وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ صَفْوَانَ،كَانَا فِي الْحِجْرِ،فَمَرَّ بِهِمَا ابْنُ عُمَرَ،فَبَعَثَا إِلَيْهِ فَأَتَاهُمَا،فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ:مَا يَمْنَعُكَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنْ تُبَايِعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ،يَعْنِي ابْنَ الزُّبَيْرِ،وَقَدْ بَايَعَ لَهُ أَهْلُ الْعُرُوضِ،وَأَهْلُ الْعِرَاقِ،وَعَامَّةُ أَهْلِ الشَّامِ؟

---

320 - منهاج السنة النبوية (١/ ٥٢٩)

321 - السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٣٤)(١٦٨٠٩) وتاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/ ١٩٠) وتلخيص المتشابه في الرسم للخطيب البغدادي (٢/ ٨٠٤)(١٥٦٠) والتاريخ الأوسط (١/ ١٦٤)(٧٤٩) حسن

322 - السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٣٤)(١٦٨٠٨) و تاريخ دمشق لابن عساكر (٣١/ ١٨٩) صحيح

فَقَالَ:«لَا وَاللَّه،لَا أُبَايِعُكُمْ وَأَنْتُمْ وَاضِعُوا سُيُوفِكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ يُصِيبُ أَحَدُكُمْ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ»[323]

وهذا مذهب محمد بن علي رضي الله عنه المشهور بابن الحنفية،جَاءَ كِتَابٌ مِنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَرَسُولٌ حَتَّى دَخَلَ الشِّعْبَ فقرأ محمد ابن الْحَنَفِيَّةِ الْكِتَابَ فَقَرَأَ كِتَابًا لَوْ كَتَبَ بِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَتِهِ أَوْ وَلَدِهِ مَا زَادَ عَلَى أَلْطَافِهِ.وَكَانَ فِيهِ:إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ ابْنَ الزُّبَيْرِ قَدْ ضَيَّقَ عَلَيْكَ وَقَطَعَ رَحِمَكَ وَاسْتَخَفَّ بِحَقِّكَ حَتَّى تُبَايِعَهُ فَقَدْ نَظَرْتَ لِنَفْسِكَ وَدِينِكَ وَأَنْتَ أَعْرَفُ بِهِ حَيْثُ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ.وَهَذَا الشَّامُ فَانْزِلْ منه حيث شئت فنحن مكرموك وواصلو رحمك وعارفو حَقَّكَ.فَقَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ لِأَصْحَابِهِ:هَذَا وَجْهٌ نَخْرُجُ إِلَيْهِ.قَالَ فَخَرَجَ وَخَرَجْنَا مَعَهُ وَمَعَهُ كُثَيِّرُ عَزَّةَ يَنْشُدُ شِعْرًا:

أَنْتَ إِمَامُ الْحَقِّ لَسْنَا نَمْتَرِي ...أَنْتَ الَّذِي نَرْضَى بِهِ وَنَرْتَجِي

أَنْتَ ابْنُ خَيْرِ النَّاسِ مِنْ بَعْدِ النَّبِي ...يَا ابْنَ عَلِيٍّ سِرْ وَمَنْ مِثْلُ عَلِي

حَتَّى تَحِلَّ أَرْضَ كَلْبٍ وَبَلِي

قَالَ أَبُو الطُّفَيْلِ:فَسِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا أَيْلَةَ فَجَاوَرُونَا بِأَحْسَنِ جِوَارٍ وَجَاوَرْنَاهُمْ بِأَحْسَنِ ذَلِكَ وَأَحَبُّوا أَبَا الْقَاسِمِ حُبًّا شَدِيدًا وَعَظَّمُوهُ وَأَصْحَابَهُ.وَأُمِرْنَا بِالْمَعْرُوفِ وَنُهِينَا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلا يُظْلَمُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قُرْبَنَا وَلا بِحَضْرَتِنَا.فَبَلَغَ ذَلِكَ عَبْدَ الْمَلِكِ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَذَكَرَهُ لِقَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ وَرَوْحِ بْنِ زِنْبَاعٍ وَكَانَا خَاصَّتَهُ فَقَالا:مَا نرى أَنْ نَدَعَهُ يُقِيمُ فِي قُرْبَةٍ مِنْكَ وَسِيرَتُهُ سِيرَتُهُ حَتَّى يُبَايِعَ لَكَ أَوْ تَصْرِفَهُ إِلَى الْحِجَازِ.فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ:إِنَّكَ قَدِمْتَ بِلادِي فَنَزَلْتَ فِي طَرَفٍ مِنْهَا.وَهَذِهِ الْحَرْبُ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الزُّبَيْرِ كَمَا تَعْلَمُ.وَأَنْتَ لَكَ ذِكْرٌ وَمَكَانٌ.وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ لا تُقِيمَ فِي سُلْطَانِي إِلا أَنْ تُبَايِعَ لِي.فَإِنْ بَايَعْتَنِي فَخُذِ السُّفُنَ الَّتِي قَدِمَتْ عَلَيْنَا مِنَ الْقُلْزُمِ وَهِيَ مِائَةُ مَرْكَبٍ فَهِيَ لَكَ وَمَا فِيهَا.وَلَكَ أَلْفَا أَلْفِ دِرْهَمٍ أُعَجِّلُ لَكَ مِنْهَا خَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ وَأَلْفَ أَلْفٍ وَخَمْسَمِائَةِ أَلْفٍ آتِيتُكَ مَعَ مَا أَرَدْتَ مِنْ فَرِيضَةٍ لَكَ وَلِوَلَدِكَ وَلِقَرَابَتِكَ وَمَوَالِيكَ وَمَنْ مَعَكَ.وَإِنْ أَبَيْتَ فَتَحَوَّلْ عَنْ بَلَدِي إِلَى مَوْضِعٍ لا يَكُونُ لِي فِيهِ سُلْطَانٌ.قَالَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ:بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.مِنْ

323 – الفتن لنعيم بن حماد (١/ ١٦١)(٤١٢) صحيح

مُحَمَّد بْنِ عَلِيٍّ إِلَى عَبْد الْمَلك بْنِ مَرْوَانَ.سَلامٌ عَلَيْكَ.فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذي لا إِلَهَ إلا هُوَ.أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَرَفْتَ رَأْيِي فِي هَذَا الأَمْرِ قَديمًا.وَإِنِّي لَسْتُ أُسَفِّهُهُ عَلَى أَحَد.وَاللَّه لَو اجْتَمَعَتْ هَذه الأُمَّةُ عَلَيَّ إلا أَهْلُ الزَّرْقَاء مَا قَاتَلْتُهُمْ أَبَدًا وَلا اعْتَزَلْتُهُمْ حَتَّى يَجْتَمعُوا.نَزَلْتُ مَكَّةَ فِرَارًا ممَّا كَانَ بِالْمَدينَة فَجَاوَرْتُ ابْنَ الزُّبَيْرِ فَأَسَاءَ جَوَارِي وَأَرَادَ منِّي أَنْ أُبَايعَهُ فَأَبَيْتُ ذَلكَ حَتَّى يَجْتَمعَ النَّاسُ عَلَيْكَ أَوْ عَلَيْه.ثُمَّ أَدْخُلَ فيمَا دَخَلَ فيه النَّاسُ فَأَكُونُ كَرَجُلٍ منْهُمْ.ثُمَّ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَدْعُونِي إِلَى مَا قِبَلكَ فَأَقْبَلْتُ سَائِرًا فَنَزَلْتُ فِي طَرَفٍ مِنْ أَطْرَافكَ.وَاللَّه مَا عنْدي خلافٌ وَمَعِي أَصْحَابِي فَقُلْنَا بلادٌ رَخيصَةُ الأسعار وندنو منْ جوَارِكَ وَنَتَعَرَّضُ صِلَتَكَ.فَكَتَبْتَ بِمَا كَتَبْتَ به وَنَحْنُ مُنْصَرِفُونَ عَنْكَ إنْ شَاءَ اللَّهُ.[٣٢٤]

المطلب الخامس عشر–لا تجوز طاعة هؤلاء الطواغيت:

فإذا كان ابن عمر ومحمد بن الحنفية وأحمد بن حنبل لا يرون البيعة ولا السمع والطاعة حال افتراق الأمة على رجلين في الحجاز والشام،فكيف بهذا العصر الذي هو عصر الشر المحض والدعاة إلى أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها،وهو الذي لا جماعة فيه ولا خلافة عامة،بل فرقة عامة وتشرذم ودويلات طوائف وملوك وجبابرة وطواغيت،لكل دولة دعاة يدعون لطاعة طاغوتها،ولها خطاب يخالف خطاب القرآن والسنة،وما كان عليها الخلفاء الراشدون،بل وما كان عليه الخلفاء المسلمون حتى في عصر المحدثات،حيث تغيب اليوم الخلافة تماما،وتتعطل أحكام الشريعة،وتستحل فيه المحرمات والموبقات وتسفك الدماء ظلما وعدوانا وطغيانا،وهو هذا الواقع الذي تعيشه الأمة اليوم منذ سقوطها تحت جحافل الاستعمار الغربي في الحرب العالمية الأولى،تلك الحملة التي فرضت على الأمة واقعاً سياسياً واقتصاديا وتشريعيا وثقافيا وعسكريا يصطدم بأصول دينها وأحكام شريعتها،فأسقطت خلافتها،وفرقت وحدتها،وأقصت شريعتها،وعطلت قدرتها وقوتها،وأقامت بدلا من ذلك دويلات قطرية وحددت حدودها وفق مصالحها الصليبية الاستعمارية في العالم الإسلامي،وهو ما لم يحدث في تاريخ الأمة كله مدة ثلاثة عشر

---

324 – الطبقات الكبرى ط العلمية (٥/ ٧٩)

قرنا،فتحولت تلك الدويلات القطرية إلى كيانات هشة ضعيفة متخلفة وقواعد عسكرية للدول الاستعمارية والقوى الدولية!

كما فرضت تلك الحملة الاستعمارية الصليبية على الأمة القوانين والتشريعات الوضعية الغربية الفرنسية والبريطانية والسويسرية حتى غدت المصدر التشريعي الرئيسي في عامة أقطارها و لم يعد التحاكم للشريعة وللكتاب والسنة قائما بل ولا مسموحا به إلا هامشيا!

وتم استباحة الربا الصريح بكل صوره حتى شاعت مؤسساته في كل قطر وصار الاقتصاد فيها قائما عليه حتى تحولت أكثر بلدان العالم الإسلامي والعربي خاصة إلى أكبر مدين للدول الغربية الصليبية التي تتحكم بأسواقها ومنتجاتها وقراراتها الاقتصادية وأصبح العالم العربي كله يعيش حالة من التبعية للغرب والتخلف الاقتصادي والتنموي والمعرفي.

كما تم فرض ثقافة غربية صليبية تحرم على الأمة حقها في الجهاد في سبيل الله والدفاع عن أرضها ودينها وحقوقها وثرواتها بذريعة مكافحة الإرهاب – في الوقت الذي تشن أمريكا وأوربا الحروب الصليبية على الأمة – حتى وصل الأمر إلى كافة المنابر الثقافية والإعلامية والمناهج التعليمية،فتشكلت ثقافة دينية وسياسية ممسوخة ترسخ وجود الاحتلال،وتكرسه باسم الإسلام تارة،وباسم المصلحة الوطنية تارة أخرى!

كما فُرض على الأمة حصار معرفي صناعي وتقني وربطت تلك الأقطار والدويلات بمعاهدات عسكرية بالدول الصليبية تحول دون قدرتها على الدفاع عن نفسها والاستقلال بقرارها وسيادتها،حتى تحولت إلى أكبر قاعدة عسكرية للجيوش الغربية الصليبية الاستعمارية تنطلق منها لشن حروبها على شعوب العالم الإسلامي،وإذا الأمر يصل حد موالاتهم والقتال معهم لترسيخ شوكتهم وهو باب ردة جامحة كما قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ **وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ** إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [المائدة:٥١]،بينما اشترط في الولاية الشرعية على المؤمنين أن تكون منا { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ **وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ** فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء:٥٩]!

ومع هذا كله فما من بلد من هذه البلدان وهذه الفرق – التي افترقت عن الخلافة وفارقت الإسلام والكتاب والسنة وهدي الخلفاء الراشدين على اختلاف مستويات هذا الافتراق – إلا ولها دعاة ضلالة على أبواب جهنم يدعون الأمة إلى طاعة أنظمتها وطغاتها،ويعظمون أمرهم ويوجبون طاعتهم وموالاتهم باسم الإسلام والسنة وسلف الأمة! ويزينون باطلـــهم حتى صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وصارت طاعة الطواغيت – الذين يعطلون حكم الله ويحاربون الله ورسوله والمؤمنين – من طاعة الله ورسوله!

هذا مع أن القرآن قد أمر المؤمنين بالكفر بهم كما قال تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُــونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّــاغُوتِ وَقَــدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (} [النساء:٦٠]!

وحذر من اتباعهم وطاعتهم فقال:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِــنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة:٢٥٧]!

وأمر بجهادهم والتصدي لهم فقال:{الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّــذِينَ كَفَــرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّــيْطَانِ كَــانَ ضَــعِيفًا } [النساء:٧٦]!

وقد بين القرآن معنى الطاغوت الذي جاءت الرسل كلها للتحــذير منــه كمــا قــال تعالى:{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَــدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } [النحل:٣٦].

فبين القرآن أن الطاغوت ثلاثة أنواع إما:

١ ــ طاغوت العبادة:{ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا } [الزمر:١٧].

٢ــ أو طاغوت الحكم والتحاكم:{يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِــرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ } [النساء:٦٠] وهو يصدق على كل من يحكم بغير حكم الله ورسوله كأكثر الحكومات العربية اليوم!

٣ ــ أو طاغوت الاتباع والتولي والطاعة:{ وَالَّــذِينَ كَفَــرُوا أَوْلِيَــاؤُهُمُ الطَّــاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْــحَابُ النَّــارِ هُــمْ فِيهَــا خَالِــدُونَ } [البقرة:٢٥٧]!

وقد أخبر القرآن بأن الذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت سواء منهم من يقاتـــل في سبيل طاغوت العبادة،أو في سبيل طاغوت الولاية والطاعة والاتباع،أو في سبيل طاغوت الحاكمية،سواء بيده أو لسانه وقلمه وفتواه!

وقد أمر القرآن بجهاد كل هؤلاء بكل أنواع الجهاد وصوره فقال تعالى:{الَّــذِينَ آمَنُــوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا } [النساء:٧٦]

" والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت،لتحقيق مناهج شتى – غير منهج الله – وإقرار شرائع شتى – غير شريعة الله – وإقامة قيم شتى – غير التي أذن بها الله – ونصب موازين شتى غير ميزان الله! ويقف الذين آمنوا مستندين إلى ولاية الله وحمايته ورعايته.

ويقف الذين كفروا مستندين إلى ولاية الشيطان بشتى راياقم،وشـــتى مناهجهم،وشـــتى شرائعهم،وشتى طرائقهم،وشتى قيمهم،وشتى موازينهم ...فكلهم أولياء الشيطان.

ويأمر الله الذين آمنوا أن يقـــاتلوا أوليـــاء الشـــيطان ولا يخشـــوا مكـــرهم ولا مكـــر الشيطان:«فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ،إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً».وهكذا يقف المســـلمون على أرض صلبة،مسندين ظهورهم إلى ركن شديد.مقتنعي الوجـــدان بـــأنهم يخوضـــون معركة لله،ليس لأنفسهم منها نصيب،ولا لذواتهم منـــها حـــظ.وليســـت لقـــومهم،ولا لجنسهم،ولا لقرابتهم وعشيرتهم منها شيء ..إنما هي لله وحده،ولمنهجه وشريعته.وأنهـــم يواجهون قوما أهل باطل يقاتلون لتغليب الباطل على الحق.لأنهم يقاتلون لتغليب منـــاهج البشر الجاهلية – وكل مناهج البشر جاهلية – على شريعة منهج الله ولتغليب شرائع البشر الجاهلية – وكل شرائع البشر جاهلية – على الله ولتغليب ظلم البشر – وكل حكم للبشر من دون الله ظلم – على عدل الله،الذي هم مأمورون أن يحكموا به بين الناس ..

كذلك يخوضون المعركة،وهم يوقنون أن الله وليهم فيها.وأهم يواجهون قوما،الشـيطان وليهم فهم إذن ضعاف ..إن كيد الشيطان كان ضعيفا ..
ومن هنا يتقرر مصير المعركة في حس المؤمنين،وتتحدد نهايتها.قبل أن يدخلوها.وسواء بعد ذلك استشهد المؤمن في المعركة – فهو واثق من النتيجة – أم بقي حتى غلب،ورأى بعينيه النصر فهو واثق من الأجر العظيم.
من هذا التصور الحقيقي للأمر في كلتا حالتيه،انبثقت تلك الخوارق الكثيرة التي حفظهـا تاريخ الجهاد في سبيل الله في حياة الجماعة المسلمة الأولى والتي تناثرت على مدى التاريخ في أجيال كثيرة.وما بنا أن نضرب لها هنا الأمثال فهي كثيرة مشهورة ..ومن هذا التصور كان ذلك المد الإسلامي العجيب،في أقصر فترة عرفت في التاريخ فقد كان هذا التصـور جانبا من جوانب التفوق الذي حققه المنهج الرباني للجماعة المسـلمة،على المعسـكرات المعادية ...وبناء هذا التصور ذاته كان طرفا من المعركة الكلية الشاملة التي خاضها القرآن في نفوس المؤمنين،وهو يخوض بهم المعركة مع أعدائهم المتفوقين في العدد والعـدة والمـال ولكنهم في هذا الجانب كانوا متخلفين فأمسوا مهزومين! وها نحن أولاء نرى الجهد الذي بذله المنهج في إنشاء هذا التصور وتثبيته.فلم يكن الأمر هينـا.ولم يكـن مجـرد كلمـة تقال.ولكنه كان جهدا موصولا،لمعالجة شح النفس،وحرصها على الحياة – بأي ثمـن – وسوء التصور لحقيقة الربح والخسارة ..وفي الدرس بقية من هذا العلاج،وذلـك الجهـد الموصول."[٣٢٥]

المطلب السادس عشر–الرد على علماء الطواغيت في تحريم الخروج عليهم

وهذه الآيات تصدق على الذين افتتنوا في تعظيم الطغاة وتعظـيم أمـرهم والـدعوة إلى وجوب طاعتهم – مهما خرجوا عن طاعة الله ورسوله ومهما اختلفت طبيعة أنظمتـهم وحكوماتهم – بدعوى أنهم ولاة أمر!

---

325 – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ١٠٥٩) زيادة مني

وقد وصل بهم الحال وتطورت بهم الأحوال حتى زعموا أن ما يدعون إليه من طاعة الطاغوت وموالاته ونصرته بل ومحبته والتحاكم إليه هو السنة وما كان عليه سلف الأمة! وأن من يدعو إلى العودة إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة والعودة إلى سنن الخلفاء الراشدين وهديهم في باب الإمامة وسياسة الأمة بالعدل والقسط خوارج وحرورية..الخ!

وأخذوا يترلون كلام الأئمة وسلف الأمة في خلفاء المسلمين من بني أمية وبني العباس وبني عثمان – حيث الخلافة قائمة والشريعة حاكمة والجهاد ماض – على طواغيت دويلات الطوائف الصليبية التي أقامها الاستعمار في المنطقة على أنقاض الخلافة العثمانية،وعلى حكوماته العميلة له على اختلاف أشكالها وصورها وكفرها من شيوعية واشتراكية وإباحية وشهوانية ومادية ممن قال الله فيهم:{ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا } [الأنعام:٧٠]!

ولا يفرقون بين من قال فيهم النبي ﷺ «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي،تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» وهو الخير الذي فيه دخن حيث وجود الخلافة عاصم للأمة من الفتنة العامة – ومن قال فيهم النبي ﷺ «نَعَمْ،دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ،مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ:«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا،وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» وهو زمن الفتنة العامة والشر المحض حيث لا خلافة قائمة ولا أمة واحدة وإنما فرق شتى أمر الشارع باعتزالها فقال «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا،وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ،حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»[326]!

فجعلوا جميع الرؤساء المجرمين،والطغاة الملحدين،كالخلفاء المسلمين في وجوب موالاتهم وطاعتهم والرضا بحكمهم ونصرتهم وتثبيت أمرهم والقتال معهم..الخ مهما خالفوا وغيروا وبدلوا!

فجمعوا بين من فرق الله ورسوله بينهم في الأسماء والأحكام،وعطلوا فيهم ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمة الإسلام!

---

326 – صحيح البخاري (٤/ ١٩٩)(٣٦٠٦)

المطلب السابع عشر–الأئمة الذين تجب طاعتهم والأئمة الذين لا تجوز طاعتهم:

والمقصود مما سبق بيان ما يلي:

١– أن للولاية الشرعية شروطها،وهي أن تكون خلافة واحدة،فإذا افترقت الأمة فهو زمن فتنة فلا تجب فيه بيعة أحد،ولا تلزم المسلمين بيعة أحد حتى يجتمعوا،كما هو قول أئمة أهل السنة ومنهم أحمد بن حنبل،كما يشترط لها أن تكون عن شورى ورضا،فلا شرعية مع الإكراه والقوة كما قال مالك،والشرط الثالث أن يكون الخليفة عدلا لم يشتهر بجور ولا فجور،فالولاية التي توفرت فيها هذه الشروط فهي الولاية الشرعية التي أجمع عليها الصحابة والأئمة وسلف الأمة،وهي التي طاعتها من طاعة الله ورسوله،وهي التي تلزم لها البيعة في عنق كل مسلم حال وجودها.

٢– وأن كلام الصحابة وسلف الأمة وأئمة أهل السنة في الصبر على جور الأئمة والسمع والطاعة لهم،إنما يقصدون به الصبر على الخلفاء المسلمين – في ظل خلافة الإسلام،الذين يحكمون بالشريعة ويحمون البيضة – مراعاة للمصالح الكلية،فلا يقصدون الصبر على كل سلطان وإن كان كافرا أو مرتدا أو زنديقا أو سفيها يوليه العدو الصليبي الحكم ويقوم بحمايته،ولا يقصدون كل دولة وإن كانت قومية أو وطنية،ولا يقصدون كل نظام سياسي غير الخلافة،سواء كان شيوعيا أو بعثيا أو اشتراكيا أو ليبراليا أو شهوانيا!

فمن ظن ذلك في الصحابة وسلف الأمة وأئمة أهل السنة وأنهم يقصدون السمع والطاعة لمثل هذه الأنظمة الطاغوتية فهو لم يعرف الإسلام والسنة وما كان عليه سلف الأمة!

وكيف يتصور ذلك والقرآن يدعو إلى الكفر بهم والبراءة منهم:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا } [النساء:٦٠]!

٣– ولا يوجد اليوم إمامة وولاية شرعية إسلامية في ظل غياب الخلافة،ولا بيعة شرعية عامة تلزم الأمة في ظل الافتراق،ولا سمع ولا طاعة شرعية للحكومات الموجودة اليوم،لعدم وجود الخلافة الواحدة والأمة الواحدة،كما هو قول أئمة أهل السنة قديما وحديثا،وكما أفتى بذلك الشيخ الألباني من المعاصرين كما نقلته عنه في كتابي (تحرير

الإنسان) حيث سئل عن البيعة للحكومات الحالية فقال:(من قال لك أنه فيه بيعة اليوم؟ البيعة لا تكون إلا للخليفة الذي يبايعه المسلمون جميعا)! وسئل عن تعدد الحكومات والأمراء فقال (لا يجوز لا يجوز)![٣٢٧]

وإنما الولاية لهذه الحكومات إما ولاية قهرية جبرية اضطرارية بحكم الأمر الواقع،وهذا حال الحكومات العربية،أو ولاية تعاقدية اختيارية دستورية،ولكل أحكامها في فقه النوازل!

٤- وأن للأمة ولشعوبها في هذا الدول الثورة على هذه الحكومات القهرية الجبرية غير الشرعية وتغييرها ولو بالقوة فضلا عن الثورة السلمية التي تحقق المطلوب بأقل التضحيات،ولا يشترط أن لا يخرج الناس عليها إلا من أجل الدين،بل لكل إنسان أن يشارك في الثورة للدفاع دون أي حق أو مظلمة له،وإن كان خروجه لأجل الدين أعلاها وأشرفها..

٥- وأن كل من خرج عليها بشكل سلمي يدعو للإصلاح ورفع الظلم فقتلته فهو شهيد،وكل من رد عدوانها وقاتلها فقتل فهو شهيد.

وأما كيف يكون التعامل مع هذه الحكومات غير الشرعية في حال العجز عن تغييرها،أو في حال استبدالها بما هو أخف شرا وضررا منها،فهذا ما فصلت فيه القول في كتابي (تحرير الإنسان)،وفي كتابي (نحو وعي سياسي راشد)،وكتابي (الفرقان)،وغيرها من الدراسات،وكلها في موقعي وفي موقع مجلة مؤتمر الأمة،والله الهادي إلى سواء السبيل..



327 - (تحرير الإنسان) ص ٢٠٣

المبحث الثامن

تعليق على استشهاد المقدم أحمد حلاق من محافظة إدلب قضاء أرمناز طيب الله ثراه

الخبر:

استشهد في مدينة حمص المقدم أحمد حلاق من محافظة إدلب قضاء أرمناز وهو ضابط في الكلية الحربية بحمص عند الساعة العاشرة صباحا اتصل بوالدته طالبا منها الدعاء له لأنه متواجد على الخط الأول وخلفه مجموعة من الامن والشبيحة...

ثم اتصل الساعة ١١ قائلا لها بأنهم لن يروا بعضهم مرة أخرى وطلب رضاء والدته وأخبرهم بأنه سيقتل.

سألته أمه عن من سيقتله فأجابها...اللصوص من ورائي سيقتلوني.

وبعد نصف ساعة أتى خبر استشهاده

لم يكن بحيازة هذا الضابط سوى مسدسه الشخصي....

==============

التعليق على هذا الخبر:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه ...

أما بعد:

لقد استوقفتني هذه الحادثة الجلل ....

صحيح أنه كل يوم يسقط منا شهداء يقدِّمون أرواحهم زكية عطرة ليرووا بها غرس الحرية والكرامة التي يطالبون بها ....

لكن هذه الحادثة أثرت في نفسي كثيراً،ولم أتمالك نفسي وأنا أقرأها إلا والدموع تترل رغماً عني ....

أيها الأحبة الكرام:

هناك مجموعة من الحقائق لا بد الوقوف عندها قليلاً:

الحقيقة الأولى –كم كنا نتمنى أن يكـــون هـــذا الاتصـــال مـــن الجبهـــة الحقيقيـــة الجولان،والتي لم يطلق عليها طلقة واحدة منذ ٣٨ سنة ....

أما على الشعب الذي دفع كل شيء من أجل هذا الجيش لتحرير الجولان،يفاجأ بأنه ليس لتحرير الجولان،لأن الجولان لا تهم النظام أصلاً،وكيف تهمه وقد باعها أبوه لليهود بثمن بخس ؟؟؟!!!

المهم هو الحفاظ على النظام الفرعوني الطاغوتي الذي يحكم بلدنا الحبيب سورية بالحديـــد والنار ....

لأن الحفاظ على هذا الطاغية وعصابته المجرمة الذين نهبوا كل شيء وانتهكوا الحرمـــات وداسوا على المقدسات ..أهم من كل شيء على الاطلاق .....

الحقيقة الثانية – هذا الجيش في الحقيقة الذي يربَّى من دخله على عبادة الطاغية الصنم الأسد وأنه مليك كل شيء وبيده كل شيء،لم يربَّ على تحرير الأوطـــان ولا حمايـــة الحدود،ولكن ربيَ على حماية عرش آل الأسد وأزلامهم،لماذا ؟؟؟

الجواب لا يحتاج إلى عناء،وهو أن هذا الجيش،وقبله الفروع الأمنية والشبيحة والمخابرات .....كلها لحماية ظهر اليهود من أي واحد يريد الاقتراب من الحدود،ومع هذا يعلن هذا الكذاب الأشر في وسائل إعلامه ليل نهار أنه بطل الصمود والتصـــدي،والممانعة،والوقوف في وجه الامبريالية العالمية إلى آخر هذه الأكاذيب ليضحك على الشعب لكي يبقى مخدراً طيلة عمره ...{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } [النساء:١٢٠]

فهل يفهم أبناؤنا في الجيش هذه الحقيقة قبل فوات الأوان ؟؟؟

الحقيقة الثالثة – هناك تجهيل كبير للجيش في سوريا فلا يصل إليه إلا وســـائل الإعـــلام السوري وهو أكذب إعلام في العالم ....

لذلك هم صوروا للجيش أن الذي يقوم بالانتفاضة عصابات مســـلحة – مدسوســـون– مرتزقة – عملاء لدول عدة – جماعة سلفية مسلحة ......

وصاروا يبينون لهم عن طريق وسائل الإعلام الأفلام الجاهزة عن هذه الجماعات ....وهم يصدِّقون ذلك وشحنوا هذا الجيش وعبؤوه وقالوا له:

إن الخطر الحقيقي ليس هم اليهود – لأنهم جميعا كما نعلم من أصل واحد – ...

ولكن الخطر الحقيقي يكمن في الداخل في هذه العصابات التي يمولها الحريري- أمريكا- بعض دول الخليج –أعداء الوطن،والذين يريدون القضاء على صمودنا في وجه الامبريالية العالمية وحدنا ومع الشقيق حزب الله والدولة الشقيقة جمهورية إيران الإسلامية ....

وعلى هذا الأساس انطلت هذه الأكاذيب على عامة الجند والضباط إلا من رحم ربي ....

الحقيقة الرابعة –عندما عجز الأمن والشبيحة وكل الذين أتوا بهم من جماعة حزب اللات اللبناني ورافضة إيران من الحرس الثوري لم يستيطعوا إخماد الثورة السلمية التي تطالب برحيل النظام ....اضطر للاستعانة بالجيش ذي الأسلحة الثقيلة،فهو الوحيد القادر على سحق الانتفاضة كما سحقها من قبل في مدينة حماة وغيرها .....

وهو يبتغي من وراء ذلك عدة أمور:

١- عامة قواد الجيش من طائفة واحدة والتي ينتمي إليها الأسد،فقد قال لهم:إذا طرت أنا سوف تقتلون جميعا وتصادر أملاككم وتنتهك حرماتكم،فاليوم يومكم فأنتم لا تدافعون عني بل تدافعون عن أنفسكم .....وهذا يجعلهم يستميتون في سبيل بقاء هذا النظام الإجرامي ...

وفات أولئك الحمقى أننا لو كنا نريد سحقهم لسحقناهم منذ زمان عندما كان بيدنا كل شيء وهم لا يملكون شيئا،ولكنه الهوى والجهل والحقد والطمع والجشع ....

٢- عندما ينزل الجيش ليحاصر المدن والقرى ويضربهم بالدبابات والرشاشات والأسلحة الثقيلة فيكون الأسد قد دمَّر الشعب وقضى على الانتفاضة من خلال أبنائهم الجاهلين بحقيقة ما يجري ....

٣- كذلك إذا قام بعض المتضررين بالرد على الجيش تكون الفرصة سانحة لكي يضـــربهم الجيش بكل وسائل الدمار ....ويصدق أكاذيب النظام

الحقيقة الخامسة -عندما حاصر الجيش درعا على هـــذا الأســـاس مـــن الأكاذيـــب والأراجيف التي سوَّقها النظام الأسدي الطاغوتي فوجئ كثيرٌ منهم أنه لا يوجـــد بـــين المتظاهرين مسلحين أصلاً .....

وأن ما قيل لهم إنما هو كذب بكذب،ومن ثم رفض العديد من الجنود والضباط إطـــلاق النار على الشعب الأعزل الذي يطالب بحقوقه المشروعة ....

مما اضطر النظام إلى محاكمة هؤلاء الذين رفضوا إطلاق النار على الشعب الأعزل الـــذي يقول:الشعب والجيش يد واحدة ....ورميهم بالرصاص بتهمة الخيانة العظمى !!!!!

طبعا الخيانة العظمى للأسد الطاغية الصنم،وليس الخيانة العظمى لسورية،وكأن الأسد في معركة مع اليهود ورفض هؤلاء إطلاق النار على اليهود فكانت المحاكمة جاهزة لقتلـــهم فورا من قبل الشبيحة والمخابرات الذين لا يوجد فيهم واحد فيـــه دم ولا إحســـاس أو يعرف الله تعالى أصلاً،فهم في الأصل من حثالة المجتمع وســـقاطه،الذين لا وزن لهـــم ولا اعتبار،الذين لا يساوي أحدهم حذاءا فصاروا هم في المخابرات والأمن والشبيحة والجيش !!!!!!

وما فعله الأسد وزبانيته هو ترهيب للجيش على أن يكون رهن إشارتهم وينفذ ما يريدون وإلا الموت كل ذلك لإرهاب البقية من الجيش على تنفيذ أوامرهم ....الخبيثة النتنة..

الحقيقة السادسة – لقد قلت في رسالتي الموجهة إلى جيشنا أنه إذا أمروا بإطلاق علـــى المتظاهرين فلا يحل لهم تنفيذ ذلك مهما كانت الأسباب

ومن وجد نفسه أنه سوف يقتل إذا لم يطلق النار فليقتل من يأمره بذلك وليمت بعـــدها ميتة شرف وعز وكرامة،لا ميتة ذل ومهانة وهو إلى الجنة إن شاء الله وهـــم إلى جهـــنم وبئس المهاد ...

الحقيقة السابعة –أن كثيرا من الضباط الذين فيهم بقية من خـــير والجنـــود الأبـــرار اكتشفوا أنها لعبة

ويريد النظام منهم أن يقتلوا أهلهم دون وجه حق،ومن ثم انشق عدد من الضباط وكـــثير من الجنود عن هذا الظلم الصريح،و لم يبالوا بالموت بعد ذلك،وهذا ما حصـــل في درعـــا الأبية وفي حمص وغيرها ...

الحقيقة الثامنة –اتصال المقدم أحمد حلاق رحمه الله بوالدته يطلب منها الـــدعاء،ذلك لأنه يعرف دعاء الوالد والوالدة بحق الولد مستجاب

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:" ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْـــتَجَابَاتٍ:دَعْـــوَةُ الْمَظْلُومِ،وَدَعْـــوَةُ الْمُسَافِرِ،وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ "[٣٢٨]

ولكن إذا حضر القدر لا يرده شيء،يقول الإمام الشافعي رحمه الله[٣٢٩]:

دَعِ الأَيَّامَ تَفْعَل مَا تَشَاءُ وطبْ نفساً إذا حكمَ القضاءُ
وَلا تَجْزَعْ لِحَادثة الليالي فما لحوادثِ الدنيا بقاءُ
وكنْ رجلاً على الأهوالِ جلداً وشيمتكَ السماحة ُ والوفاءُ
وإنْ كثرتْ عيوبكَ في البرايا وسَركَ أَنْ يَكُونَ لَها غطَاءُ
تَسَتَّرْ بِالسَّخَاء فَكُلُّ عَيْب يغطيه كما قيلَ السَّخاءُ
ولا ترجُ السماحة َ من بخيلٍ فَما فِي النَّارِ للظْمآنِ مَاءُ
وَرِزْقُكَ لَيْسَ يُنْقصُهُ التَأَنِّي وليسَ يزيدُ في الرزقِ العناءُ
وَلا حُزْنٌ يَدُومُ وَلا سُرورٌ ولا بؤسٌ عليكَ ولا رخاءُ
وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَته الْمَنَايَا فلا أرضٌ تقيه ولا سماءُ
وأرضُ الله واسعة ً ولكن إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ

328 – الأدب المفرد مخرجا (ص:١٦٩)(٤٨١) صحيح

329 – موسوعة الشعر الإسلامي (٤٠٤/ ١)

دَعِ الأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ فما يغني عن الموت الدواءُ

الحقيقة التاسعة –أنه قال لوالدته بأنه على الخط الأول

ليس الخط الأول في الجولان،ولكن الخط الأول في مدينة حمص التي شكلت إمارة إسلامية حسب ما يسوِّق النظام....!!!!!

في البداية كان الجيش من الخلف والأمن والشبيحة من الأمام لكـــي يقتلـــوا ويبطشـــوا ويروعوا المتظاهرين ..ويجهزوا على الجرحى ويخطفوا الموتى ....

لكن المسرحية الآن اختلفت لأنهم صاروا يخافون من الجيش أن ينشق عليهم أو يضـــربهم من الخلف وخاصة أن لعبتهم القذرة باتت مكشوفة حيث لا يوجد عصابات مسلحة ولا مندسين ولا متآمرين ...

لذلك لا بد من وضع الجيش في الأمام وهم – الجبناء أولاد الجبناء – الخونة أولاد الخونة– من الخلف

وهذا ما أكده المقدم رحمه الله في مكالمته لأمه " وخلفه مجموعة من الأمن والشبيحة"

الحقيقة العاشرة – نلاحظ أنه منذ الاتصال الأول هو يشعر أن هناك مؤامرة واضحة

لذلك طلب من أمه الدعاء،ثم عاد واتصل بعد ساعة قائلاً لأهله:"بأنهم لن يروا بعضـــهم مرة أخرى وطلب رضاء والدته وأخبرهم بأنه سيقتل."

نعم لن يروه لأنه رأى الموت أمامه لمن رفض إطلاق النار على المتظاهرين العزل

وهو قد رفض إطلاق النار على أهله،ومن ثم قال لهم ما قال،وطلب رضاء والدته عليه قبل أن يفارق الحياة بلحظات ....

فقد أحسَّ بريح الجنة ينتظره ومن ثم قال لأمه ذلك وطلب رضاها عليه فقط،الله أكبر إنه الإيمان الذي تشتعل جذوته ولاسيما في الأوقات العصيبة ....

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ،فَقَالَ:«يَا رَسُولَ اللَّهِ غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ،لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَـــرَيَنَّ اللَّـــهُ مَـــا

أَصْنَعُ»،فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُد،وَانْكَشَفَ المُسْلِمُونَ،قَالَ:«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ – يَعْنِي أَصْحَابَهُ – وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ،– يَعْنِي المُشْرِكِينَ – ثُمَّ تَقَدَّمَ»،فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ،فَقَالَ:«يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذ،الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُد»،قَالَ سَعْدٌ:فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ،قَالَ أَنَسٌ:فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ،أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ،فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ قَالَ أَنَسٌ:" كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ:{مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ} [الأحزاب:٢٣] إِلَى آخِرِ الآيَةِ "[٣٣٠]

الحقيقة الحادية عشرة –عندما سألته أمه من سيقتله فأجابها "اللصوص من ورائي سيقتلوني."

نعم الأمن والمخابرات والشبيحة كلهم لصوص وقطاع طرق وموتورون بلا ريب،فهم لصوص لأنهم وضعوا في أمكنة لا يستحقونها،وهم لصوص لأنهم يسرقون وينهبون أموال الناس ولا حسيب ولا رقيب،وهم لصوص لأنهم ليسو من طينتنا ولاجبلتنا،فهم مأجورون لا قيم عندهم ولا حرمات بل رئيسهم الأكبر هو لص بن لص ومجرم بن مجرم وطاغية بن طاغية وعميل بن عميل ودجال بن دجال...

الحقيقة الثانية عشر –بعد نصف ساعة أتى خبر استشهاده ولم يكن بحيازة هذا الضابط سوى مسدسه الشخصي...

فنقول لأمه:يا أم أحمد أبشري لقد نال ابنك سعادة الدارين وهو – إن شاء الله – في أعلى الجنان،فعَنْ أَنَسٍ:أَنَّ أُمَّ حَارِثَةَ أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،وَقَدْ هَلَكَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ،أَصَابَهُ غَرْبُ

[330] – صحيح البخاري (٤/ ١٩)(٢٨٠٥) [(انكشف المسلمون) انهزموا.(الجنة) أريد الجنة وهي مطلوبي.(أجد) أشم.(من دون أحد) عند أحد ويحتمل أنه وجد ريحها حقيقة كرامة له ويحتمل أنه أراد أن الجنة تكتسب في هذا الموضع فاشتاق لها.(بضعا) من الثلاث إلى تسع.(ببنانه) أصابعه أو أطراف أصابعه]

سَهْمٍ،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَدْ عَلِمْتَ مَوْقِعَ حَارِثَةَ مِنْ قَلْبِي،فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ لَمْ أَبْكِ عَلَيْهِ،وَإِلَّا سَوْفَ تَرَى مَا أَصْنَعُ؟ فَقَالَ لَهَا:«هَبِلْتِ،أَجَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِيَ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ،وَإِنَّهُ فِي الفِرْدَوْسِ الأَعْلَى»[331]

وسوف يشفع لك ولسبعين من أهل بيته يوم القيامة،فعَنْ نِمْرَانَ بْنِ عُتْبَةَ الذِّمَارِيِّ،قَالَ:دَخَلْنَا عَلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ وَنَحْنُ أَيْتَامٌ صِغَارٌ،فَمَسَحَتْ رُءُوسَنَا،وَقَالَتْ:أَبْشِرُوا يَا بَنِيَّ،فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا فِي شَفَاعَةِ أَبِيكُمْ،فَإِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:«الشَّهِيدُ يَشْفَعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ»[332]

ولكن عليك أختي الفاضلة أم الشهيد أحمد أن تقولي ما علمنا الله ورسوله ﷺ أن نقوله عند المصائب،قال تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [البقرة:١٥٥ - ١٥٧]

وعَنْ سَعْدِ بْنِ سَعِيدٍ،حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ،قَالَ:سَمِعْتُ سَفِينَةَ،يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ،رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:" مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ:إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ،اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَاخْلُفْنِي خَيْرًا مِنْهَا،إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَهُ خَيْرًا مِنْهَا " [333]

فما عليك إلا الصبر والسلوان ...لتنالي جنة الرضوان { إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [الزمر:١٠]

الحقيقة الثالثة عشرة – أن الشهيد أحمد رحمه الله وأعلى مقامه عاليا في الدارين،مات بقدره،وأجله الذي حدده الله تعالى له

[331] – صحيح البخاري (٨/ ١١٧)(٦٥٦٧)

[332] – صحيح ابن حبان – مخرجا (١٠/ ٥١٧)(٤٦٦٠) صحيح

[333] – الدعاء للطبراني (ص:٣٧١)(١٢٣١) صحيح

فلن يزيد أجله ولن ينقص بيقين،قال تعالى:{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [التوبة:٥١]

وقال تعالى:{قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران:١٥٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ:«خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ دَابَّةٍ وَكَتَبَ أَجَلَهَا وَرِزْقَهَا وَأَثَرَهَا »[٣٣٤]

وعَنْ عَاصِمِ بْنِ رَجَاءٍ مَوْلَى غُفْرَةَ،حَدَّثَنِي ابنُ عَبَّاسٍ،قَالَ:كُنْتُ يَوْمًا بِالصَّعِيدِ،وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺجَالِسٌ فَقَالَ:«يَا غُلَامُ،أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِنَّ؟»،قَالَ:قُلْتُ:بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ،قَالَ:«احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ،تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ،وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ،وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،قَدْ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ،فَلَوْ جَهَدَ الْخَلْقُ أَنْ يَسُوقُوا لَكَ رِزْقًا لَمْ يُقَدِّرْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْتَطِيعُوا،وَلَوْ جَهَدُوا عَلَى أَنْ يَدْفَعُوا عَنْكَ رِزْقًا قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَسْتَطِيعُوا،اعْمَلْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالرِّضَا بِالْقَدَرِ مَا اسْتَطَعْتَ،فَإِنَّ لَمْ تَسْتَطِعْ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ أَجْرًا كَثِيرًا،وَاعْلَمْ أَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ،وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الْخَذْلِ،وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا» [٣٣٥]

ولذلك لا يجوز لأحد أن يقول:لو فعل المقدم كذا وكذا لنجا بنفسه،فهو من وسوسة الشيطان التي لا يجوز التفوه بها،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ،خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ،وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ،وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ،فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ،فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٣٣٦]

----

334 - المجالسة وجواهر العلم (١/ ٣٠٠)(٩) صحيح

335 - أمالي ابن بشران - الجزء الأول (ص:٩٦)(١٨٨) صحيح

336 - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢)٣٤ - (٢٦٦٤)

الحقيقة الرابعة عشرة – لا يجوز استقبال الوفد العسكري الذي سيرافق الشـــهيد ويجـــب طردهم لأنهم شركاء في هذه الجريمة النكراء التي يندى لها جبين الإنسانية،على طريقة مـــا يقال ((تقتلون القتيل وتشيلون بنعشه!!!))

فكل من رأى هذه الجريمة وسكت عليها فهو شريك في الجريمة،بل كان على أي حر أبي مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يمنع هؤلاء المجرمين من رميه بالرصاص غدراً،ويجوز لـــه بل يجب عليه قتلهم في الحال إن استطاع ولو قتل بعد ذلك،فالروح لن تخـــرج إلا مـــرة واحدة،فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًـــا» قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا،فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ:«تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ»[337]

وعَنْ خَيْثَمَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ،يَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُـــولَ اللهِ ﷺيَقُـــولُ:" إِنَّمَـــا الْمُؤْمِنُونَ مِثْلُ رَجُلٍ – أَوْ كَرَجُلٍ – وَاحِدٍ إِذَا اشْتَكَى عَيْنَاهُ اشْتَكَى كُلُّـــهُ،وَإِذَا اشْـــتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ "[338]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«لَوِ اجْتَمَعَ أَهْلُ السَّمَاءِ،وَأَهْلُ الْأَرْضِ عَلَى قَتْلِ رَجُـــلٍ مُؤْمِنٍ لَكَبَّهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ» [339]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُـــرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ.." [340]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا،فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ،وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ أَحَدٌ ظُلْمًا،فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ»[341]

----

[337] – صحيح البخاري (٣/ ١٢٨)(٢٤٤٤) [ش (تأخذ فوق يديه) تمنعه من الظلم]

[338] – شعب الإيمان (١٠/ ٨٤)(٧٢٠٢) صحيح

[339] – المعجم الأوسط (٩/ ٩٩)(٩٢٤٢) صحيح لغيره

[340] – شعب الإيمان (١٠/ ١٠١)(٧٢٢٧) حسن

[341] – المعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢٦٠) (١١٦٧٥) حسن لغيره

الحقيقة الخامسة عشرة –يجب الاتصال بكل من له ولد في الجيش أو أخ أو قريب لشرح الوضع بالتفصيل له،وأمره بالانضمام للشعب أهله وأقرباؤه

ولا يجوز له طاعة هذا المجرم السفاح بن السفاح في قتل أخوته وأقربائه وأولاد بلده دون ذنب ارتكبوه إلا أنهم قالوا:ربنا الله وليس ربنا الأسد،وولينا الله وليس ولينا الأسد ....

\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-\-

الحقيقة السادسة عشرة – يجب أن نعلم أن المستهدفين بالقتل من قبل هذا النظام الفرعوني الطغياني هم أهل السنة

ولذلك فالقتل يكون عليهم وليس على غيرهم ....

ومن شدة الحقد الذي يحمله هؤلاء لأهل السنة هو قتل المتظاهرين في الرأس وفي القلب والتمثيل بهم وخطف خثثهم ودفنهم في مقابر جماعية حتى الجرحى منهم ...ومنع الماء والكهرباء والطعام والدواء عنهم ..

أي حقد ولؤم وخسة وقذارة يحملها هذا النظام وأتباعه لأهل السنة ؟؟؟!!!

وصدق الله العظيم حينما قال:{ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) } [التوبة:٨ – ١١]

فعلى أهل السنة والجماعة وعي هذا الدرس جيدا،والتكاتف والتعاون فيما بينهم على أساس العقيدة والولاء والبراء وليس على أساس عصبي جاهلي إقليمي ....

ويجب أن نثبت حتى النهاية كما قال تعالى:{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) } [آل عمران:١٣٧ – ١٤٠]

والنصر لنا بإذن الله تعالى،وما هي أيام معدودة حتى يزول هذا الظلام الذي خـــيم علـــى الشام عقودا متوالية وتنار بالإيمان وبالإسلام وبالخير وتعود معقلاً للمسلمين وللمـــؤمنين وللأخيار إلى قيام الساعة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:يَكُونُ بِالشَّامِ جُنْـــدٌ،وَبِالْعِرَاقِ جُنْدٌ،وَبِالْيَمَنِ جُنْدٌ،فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ:خِرْ لِي يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ:عَلَيْكَ بِالشَّامِ،فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِه"[342]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَوَالَةَ الْأَزْدِيِّ،أَنَّهُ قَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ خِرْ لِي بَلَدًا أَكُونُ فِيهِ فَلَوْ عَلِمْـــتُ أَنَّكَ تَبْقَى لَمِ اخْتَرْ عَلَى قُرْبِكَ قَالَ:«عَلَيْكَ بِالشَّامِ ثَلَاثًا».فَلَمَّا رَأَى النَّبِيُّ ﷺكَرَاهِيَتَهُ إِيَّاهَا قَالَ:" هَلْ تَدْرِي مَا يَقُولُ اللَّهُ فِي الشَّامِ إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:«يَا شَامُ أَنْتِ صَفْوَتِي مِـــنْ بِلَـــادِي أُدْخِلُ فِيكِ خِيْرَتِي مِنْ عِبَادِي ، أَنْتِ سَوْطُ نِقْمَتِي وَسَوْطُ عَذَابِي ، أَنْتِ الَّذِي لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرْ ، [أَنْتِ الْأَنْدَرُ] وَإِلَيْكِ [عَلَيْكِ] الْمَحْشَرُ» ، وَرَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَمُودًا أَبْيَضَ كَأَنَّهُ لُؤْلُؤَةٌ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ قُلْتُ:«مَا تَحْمِلُونَ؟» قَالَ:عَمُودُ الْإِسْلَامِ أَمَرَنَا أَنَ نَضَعَهُ بِالشَّامِ وَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ الْكِتَابَ اخْتُلِسَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي ، فَظَنَنْتُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ تَخَلَّى مِنْ أَهْـــلِ الْأَرْضِ فَأَتْبَعْتُهُ بَصَرِي فَإِذَا هُوَ نُورٌ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى وُضِعَ بِالشَّامِ ، فَمَنْ أَبَى فَلْيَلْحَقْ بِيَمَنِـــهِ [وَلْيَسْتَقِ] مِنْ غُدُرِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ "[343]



---

342 - الآحاد والمثاني-دار الراية - الرياض (٤/ ٥٨٥)(٢٧٤٤) صحيح

343 - مسند الشاميين للطبراني (١/ ٣٤٥)(٦٠١) صحيح

المبحث التاسع

دروس وعبر من استشهاد البطل أسامة أحمد الصياصنة رحمه الله

شام:عاجل:درعا:قامت عناصر نظام بشار المجرم بإعدام الشهيد البطل أسامة أحمد الصياصنة إمام باب مترله لأنه رفض أن يرشدهم إلى مكان تواجد والده الشيخ أحمد الصياصنة حفظه الله ....

=============

أيها الأحبة الكرام:

يقول الله تعالى:{ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٧) } [العنكبوت]

هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أنْ نَتْرَكَهُمْ وشَأْنَهُمْ بِمُجَرَّدِ نُطْقِهِمْ بالشَّهادَتَيْنِ،وَقَوْلِهِمْ آمنَّا باللهِ وَرَسُولِهِ،دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُم اللهُ،ويَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيمَانِهِمْ:بالهِجْرَةِ،والتَّكَاليف الدِّينْيةِ الأُخرى،والجِهَادِ،والمَصَائِبِ؟ كلاّ،فإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ المُؤْمنِينَ،بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيمانٍ .

وَلَقَدِ امتَحَنَ اللهُ المُؤمنينَ السَّالفِينَ،وَعَرَّضَهُمْ للفِتْنَةِ والاختْبَارِ،وغَايَتُهُ سُبحَانَهُ وَتَعالى مِنْ هذا الابتِلاءِ والاختِبارِ هيَ أَنْ يُمَحِّصَهُم فَيَعْلَمَ الذينَ صَدَقُوا في دَعوى الإِيمانِ،مِمَّنْ هُمْ كاذبون في دَعواهُم،وليُجَازِيَ كُلاًّ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ .

أمْ هَلْ يظُنَّ الذينَ يَرْتَكِبُونَ الفَواحِشَ والآثَامَ،أَنْ يَفُوتُوا رَبَّهُمْ،وَيَسْبِقُوهُ،فَلا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزِلَ بِهِمْ عِقَابَهُ العَادِلَ،وَلا أَنْ يَأْخُذَهُمْ بِظُلْمِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ،كَما هِيَ سُنَّتُهُ في الظَّالِمين؟ إِنَّهم إِنْ ظَنُّوا أَنَّ في اسْتِطَاعَتِهِمْ ذَلِكَ فَإِنَّهُمْ سَاءَ مَا يَظُنُّونَ،وَمَا يَحْكُمُونَ .

مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالبَعْثِ،وَيَطْمَعُ فِي ثَوابِ اللهِ يَومَ لِقَائِهِ فِي الآخِرَةِ،فَلْيُبَادِرْ إلى فِعْلِ مَا يَنْفَعُهُ،وَعَمَلِ مَا يُوصِلُهُ إلى مَرْضَاةِ رَبِّهِ،وَلَيَجْتَنِبْ ما يُسْخِطُ رَبَّه عَلَيه،فإنَّ أَجَلَ اللهِ الذي حَدَّدَهُ لِبَعْثِ خَلْقِهِ لِلحِسَابِ والجَزَاءِ لآتٍ لاَ مَحَالَةَ،وَاللهُ هُوَ السَّمِيعُ لأَقْوالِ العِبَادِ،العَلِيمُ بِعَقَائِدِهُمْ وأَعْمَالِهِمْ .

وَمَنْ بَذَلَ جُهْدَهُ فِي جِهَادِ عَدُوٍّ لِدِينِهِ وَوَطَنِهِ وَقَوْمِهِ،وَفِي مُجَاهَدَةِ نَفْسِهِ،وَكَفِّهَا عَنِ التَّفْكِيرِ فِي الْمُنْكَرِ والسُّوءِ،فَإِنَّهُ إِنَّما يَفْعَلُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ نَفْعِ نَفْسِهِ،بِالفَوْزِ بِثَوابِ اللهِ عَلَى جِهَادِهِ،وبِالنَّجَاةِ مِنْ عِقَابِهِ،وَلَيْسَ اللهُ بِحَاجَةٍ إلى جِهَادِ أَحَدٍ،فَهُوَ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ جَمِيعِ خَلْقِهِ،وَهُوَ عَزِيزٌ لا يُنَالُ وَلاَ يُضَامُ .[٣٤٤]

أيها الأحبة الكرام:

أمام هذه الجريمة النكراء والتي يندى لها جبين الإنسانية نقول وبالله التوفيق:

أولا- رحم الله الشهيد أسامة أحمد الصياصنة رحمة الله واسعة وجعله في أعلى عليين

عَنْ قَتَادَةَ،حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَتْ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ،أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ،وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ،فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ،وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ،اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ،قَالَ:«يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ،وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[٣٤٥]

ولو قارنا بين استشهاد حارثة رضي الله عنه وبين استشهاد أسامة لوجدنا الفارق كبيرا،أما حارثة فقد استشهد بيد الكفار المشركين المعلنين كفرهم وشركهم،وفي داخل المعركة بينهم وبين المسلمين،فأعطاه الله تعالى هذه المرتبة الرفيعة في الجنة ...

أما أسامة -طيب الله ثراه- فقد اختطف من بيته ظلما وعدوانا على يدي عصابة الجزار بن الجزار بشار،ورفض بعد التهديد والوعيد أن يدلّهم على مكان تواجد أبيه - الأعمى

---

344 - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٢٢٤، بترقيم الشاملة آليا)

345 -» صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨٠٩)

[ش (تحدثني) تخبرني.(غرب) لا يدري من رمى به.(اجتهدت) بذلت وسعي وطاقتي.(أصاب) كان نصيبه.(الفردوس الأعلى) أفضل مكان في الجنة والفردوس هو البستان الذي يجمع ما في البساتين من شجر وزهر ونبات]

المسكين – حفظه الله من كيدهم ومكرهم،فأتوا به إلى باب بيته وأمام الأهـــل والجـــيران الألصق به،فأطلقوا عليه الرصاص نكاية بأبيه وبأهله وجيرانه،ونكاية بأهل درعا،ونكايـــة بالمسلمين ((((السنَّة))) عامة

ففرق كبير بين القتلة هذه وهذه .....

أسامة – رحمه الله تعالى- لم يقتل في معركة بيننا وبين الكفار ....قتل أمـــام بيتـــه بيـــد عصابات الأسد والتي هي وزعيمها – الأسد- أشد على المسلمين من المشركين والكفـــار الأصلاء المعلنين بكفرهم صراحة ...

ويكفيه فخرا ما أعدَّه الله تعالى للشهداء عنده من خير عميم ونعيم مقيم،فعَنْ الْمِقْدَامِ بْـــنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:يُغْفَرُ لَـــهُ فِـــي أَوَّلِ دَفْعَةٍ،وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِـــنَ الحُورِ العِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ "[٣٤٦]

والأحاديث في هذا كثيرة جدا .....

ثانيا- لا يجوز للمسلم الإفشاء بالأسرار التي تؤدي إلى الضرر بالمسلمين مهما عُذِّبَ حتى لو قتل لأن الحفظظ على روحه ليس أفضل من الحفاظ على روح غيره،فكيف لو كانت أرواحاً كثيرة ؟؟!!!

وإذا قتل يكون من أصحاب العزيمة،الذين لهم ثواب كبير عند الله تعالى ....

وفي الموسوعة الفقهية:"وَأَمَّا إِذَا كَانَ الإِْصْرَارُ عَلَى غَيْرِ مَعْصِيَةٍ،فَإِنَّهُ قَـــدْ يَكُـــونُ مَنْـــدُوبًا إِلَيْهِ،كَالإِْصْرَارِ عَلَى عَدَمِ إِفْشَاءِ أَسْرَارِ الْمُسْلِمِينَ لِلْعَدُوِّ رَغْـــمَ مَـــا يُلاَقِيـــهِ مِـــنْ عَنَـــتِ الأَْعْدَاءِ."[٣٤٧]

----

[346] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨٨)(١٦٦٣) صحيح

[347] – الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (٥/ ٥٤)

ثالثا– نحن نعتقد كمسلمين أن أسامة –أعلى الله مقامه في الدارين – قد مات بأجله الذي حدده الله تعالى له .

والله لن يزيد ولن ينقص،ولن تختلف الميتة أبدا،قال تعالى:{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } [التوبة:٥١]

قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لِهَؤُلاَءِ الذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا يُصِيبُ المُسْلِمِينَ مِنَ المَصَائِبِ،وَتَسُوؤُهُم النِّعْمَةُ الَّتِي تُصِيبُ المُسْلِمِينَ:نَحْنُ تَحْتَ مَشِيئَةِ اللهِ وَقَدَرِهِ،وَمَا قَدَّرَهُ لَنَا سَيَأْتِينَا،وَلَيْسَ لَهُ مَانِعٌ وَلاَ دَافِعٌ.وَنَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللهِ،وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ،فَلاَ نَيْأسُ عِنْدَ الشِّدَّةِ،وَلاَ نَبْطَرُ عِنْدَ النِّعْمَةِ .[٣٤٨]

وقال تعالى:{ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } [آل عمران:١٥٤]

يَقُولُ تَعَالَى مُصَحِحاً قَوْلَ هَؤُلاءِ وَاعْتِقَادَهُمْ،قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ:إِنَّ قَدَرَ اللهِ سَيَقَعُ لاَ مَحَالَةَ،وَلَوْ كَانَ الذِينَ كُتِبَ عَلَيهِم القَتْلُ مَوْجُودِينَ فِي بُيُوتِهِمْ لَخَرَجُوا،دُونَ دَعْوَةٍ مِنْ أَحَدٍ إِلَى حَيْثُ قُدِّرَ لَهُمْ أَنْ يُقْتَلُوا،لِيُقَتَّلُوا.فَهُنَاكَ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ لاَ يَسْتَقْدِمُ وَلاَ يَسْتَأْخِرُ،وَجَعَلَ اللهُ الأَمْرَ كُلَّهُ ابْتِلاءً مِنْهُ،واخْتِبَاراً لِمَا فِي صُدُورِ المُؤْمِنِينَ وَقُلُوبِهِمْ،وَتَمْحِيصاً لِمَا فِي نُفُوسِهِمْ وَتَطْهِيراً.وَلَيْسَ كَالحَقِّ كَاشِفٌ لِلنُّفُوسِ وَالحَقَائِقِ،وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ،،وَبِالأَسْرَارِ الخَفِيَّةِ .[٣٤٩]

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ

---

[348] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص:١٢٨٧،بترقيم الشاملة آليا)

[349] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٧، بترقيم الشاملة آليا)

الْجَنَّة إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَأَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِيَ أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِه " [٣٥٠]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ:«خَلَقَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ دَابَّةٍ وَكَتَبَ أَجَلَهَا وَرِزْقَهَا وَأَثَرَهَا »[٣٥١]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا،فَقَالَ:«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ،احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ،احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ،إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ،وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ،وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ،رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[٣٥٢]

وغير ذلك من نصوص قطعية في القرآن والسنة ....

ومن ثم لا يجوز للمسلم أن يعترض على قدر الله تعالى ....

رابعا– على أي واحد منا – معشر المسلمين –إذا أصيب بأية مصيبة كبيرة كانت أو صغيرة أن يعلم أنها بتقدير الله تعالى وتدبيره وحكمته.

قال تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦) } [آل عمران:١٨٥،١٨٦]

وبما أنه قد مات بقدره،فما على أهله إلا الصبر والسلوان والتسليم للملك الديان،الفعال لما يريد،قال تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

[350] – شعب الإيمان (١٣/ ١٩)(٩٨٩١) صحيح

[351] – المجالسة وجواهر العلم (١/ ٣٠٠)(٩) صحيح

[352] – سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ٦٦٧)(٢٥١٦) صحيح

(١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) } [البقرة:١٥٥ - ١٥٧]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمنينَ بأَنَّهُ سَيَبْلُوهُمْ وَيَختَبِرُهُمْ بقَليلٍ (بِشَيءٍ) مِنْ الخَوْفِ والجُوعِ،وَبِذَهَابِ بَعْضِ المَالِ،وَبِمَوتِ بَعْضِ الأَصْحَابِ وَالأَقَارِبِ وَالأَحْبَابِ،وَبِنَقْصِ غلاَلِ المَزَارِعِ...فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَحُكْمِهِ أَثَابَهُ،وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ .وَيُبَشِّرُ اللهُ الصَّابِرينَ بِحُسْنِ العَاقِبَةِ فِي أُمُورِهِمْ .

أَمَّا الصَّابِرُونَ الذينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِالبُشْرَى فَهُمُ الذينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللهِ،وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا،وتَمَسَّكُوا بِقَولِهِمْ:إنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُونَ،أَيْ إِنَّهُم عَبِيدُ اللهِ وَمُلْكُهُ،وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِليهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ .

ويُثنِي اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّابِرِينَ،وَيُخْبِرُ بِأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ،وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ،وَأَنَّهُمْ هُمُ المُهْتَدُونَ إلى طَرِيقِ الخَيْرِ،وَإِلى الحَقِّ والصَّوابِ،وَأَنَّهُمُ اسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللهِ فَلَمْ يَسْتَحْوِذ الجَزَعُ عَلَيهِمْ .[٣٥٣]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،فِي قَوْلِهِ:{إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة:١٥٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ،قَالَ:أَخْبَرَ اللهُ أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَلَّمَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَجَعَ وَاسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ كَتَبَ اللهُ لَهُ ثَلَاثَ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ:الصَّلَاةَ مِنَ اللهِ،وَالرَّحْمَةَ،وَتَحْقِيقَ سَبِيلِ الْهُدَى،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ،وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ،وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ"[٣٥٤]

وطلب منا إذا أصابتنا مصيبة أن نقول أيضاً ما جاء في حديث سَعْد بْنِ سَعِيدٍ،قَالَ:أَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ كَثِيرِ بْنِ أَفْلَحَ،قَالَ:سَمِعْتُ ابْنَ سَفِينَةَ،يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ أُمَّ سَلَمَةَ،زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ،تَقُولُ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:" مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ،فَيَقُولُ:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة:١٥٦]،اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي،وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا،إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي

353 - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

354 - شعب الإيمان (١٢/ ١٧٨)(٩٢٤٠) حسن

مُصِيبَتِهِ،وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "،قَالَتْ:فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ،قُلْتُ:كَمَا أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ،فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ،رَسُولَ اللهِ ﷺ.[355]

خامساً- في هذه الطريقة القميئة من القتل يتبين لنا بالأدلة القاطعة مدى الحقد الدفين والعلني الذي يكنُّه هذا النظام الطاغوتي الإجرامي لأهل السنَّة والجماعة خاصة ولمن خالفهم عامة ....

بل ويقطع أهم ليسو على شيء،وليس عندهم دين بيقين ....مهما كذبوا وادَّعوا غير ذلك ...

فهذا النظام بكل أركانه وفروعه قائم على الكفر والفسوق والعصيان وعلى الحقد والكراهية والبطش والإرهاب ....

ويصدق فيهم قول الله تعالى:{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)} [التوبة:٨ - ١٠]

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَى الأَسْبَابَ التِي تَدْعُو إِلَى أَنْ لاَ يَكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ،ذَلِكَ لأَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللهِ وَكَذَّبُوا رَسُولَهُ،وَلأَنَّهُمْ إِذِ انْتَصَرُوا عَلَى المُسْلِمِينَ،وَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ،اجْتَثُوهُمْ وَلَمْ يُبْقُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ،وَلَمْ يَرْقُبُوا فِي المُسْلِمِينَ قَرَابَةً،وَلا عَهْداً،فِي نَقْضِ العَهْدِ وَالمِيثَاقِ،وَهَؤُلاَءِ يَخْدَعُونَ المُؤْمِنِينَ بِكَلاَمِهِمِ المَعْسُولِ،وَقُلُوبُهُمْ مُنْطَوِيَةٌ عَلَى كَرَاهَتِهِمْ،وَأَكْثَرُهُمْ خَارِجُونَ عَنِ الحَقِّ،نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ .

اعْتَاضُوا عَنِ اتِّبَاعِ آيَاتِ اللهِ بِمَا التَهَوا بِهِ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيا الخَسِيسَةِ،فَمَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ عَنِ الإِيمَانِ بِاللهِ،وَعَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ،وَمَنَعُوا النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ فِي الإِسْلاَمِ فَبِئْسَ العَمَلِ عَمَلُهُمْ،وَسَاءَ مَا عَمِلُوا مِنِ اشْتِرَاءِ الكُفْرِ بِالإِيمَانِ،وَالضَّلاَلَةِ بِالهُدَى .وَيَجْعَلُهُمْ كُفْرُهُمْ لاَ

---

355 - صحيح مسلم (٢/ ٦٣٢)٤ - (٩١٨)

يَرْعَوْنَ فِي مُؤْمِنٍ،يَقْدِرُونَ عَلَى الفَتْك به،قَرَابةً تَقْتَضِي الودَّ،وَلا ذِمَّـةً تُوجِـبُ الوَفَـاءَ بِالعَهْدِ،وَلا رِبّاً يُحَرِّمُ الخِيَانَةَ وَالغَدْرَ،وَهَؤُلاَءِ هُمُ المُتَجَاوِزُونَ الحُدُودَ فِي الظُّلْمِ .[356]

سادساً – هذا يبين كذلك مدى التخبط العجيب الذي يفعله هذا النظـام الطـاغوتي الإجرامي

فهم يريدون إنهاء الانتفاضة بأية وسيلة كانت،لأنهم في الأصل لا يتورعون عن أية وسيلة نتنة في سبيل القضاء على من يقول لهم:((لا))

ولذلك قام هذا الأحمق المغفل المسمى – زوراً وبهتاناً – بالـدكتور بشـار الأسـد،بهذه الأفعال المشينة ...

والله إن الأمي الذي لم يدرس شيئا في حياته يفهم أكثر منه بكثير،ونحن نعلم كيف كـان يتعلم أولاد المسؤولين من الروضة حتى الجامعة،فكل علمهم قائم على التزوير والكـذب والغش،ولو امتحن هذا الدكتور بالشهادة الثانوية لرسب فيها بجدارة ....

فهذا الدكتور هو يحمل أعلى الشهادات العلمية – ولكن ليس بالطب – إنهـا في المكـر والخداع والكذب والبطش والإرهاب ....

أليس هو الذي يقول لبوش الابن أثناء الحرب الظالمة الجائرة على العراق:

تعال لنعلمك كيف تحارب الإرهاب،لقد اكتوينا بناره قبلك وسحقناه دون هوادة،تعـال خذ دروساً رفيعة المستوى في فن محاربة الإرهاب ....

سابعاً– لقد اشترى الأسد الصغير –صَغَّرَهُ اللهُ في الدارين– ومن قبله الأسـد الكـبير نفوسَ كثير من المحسوبين على العلم بعد أن خلت الشـام مـن العلمـاء الأخيـار الأبرار،لأنهم إما ماتوا أو قتلوا أو فرُّوا خارج البلد من بطش الجزار ...

ومن ثمَّ كان يلعب بهم كما يلعب الأطفال بالكرة،وبما أنَّ هؤلاء قد ربُّوا علـى صـناعة المشيخة والطريقة الفلانية والعلانية فمن السهل جدا الضحك عليهم وخـداعهم،ومن ثمَّ

356 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٤٤، بترقيم الشاملة آليا)

كان هؤلاء المشايخ يكيلون المدائح العجيبة للرئيس المؤمن التـــواب الأواب .....بطـــل الصمود والتصدي،بطل المقاومة وحاميها ...ويظهرون على التلفاز السوري وهم يدجّنون هذا الشعب المسكين ويخدرونه ببطولات الأسد المزيفة ....

بل وفي دروسهم ومحاضراتهم وندواتهم،طالما أن مصـــالحهم ماشـــية ولا أحـــد يتعـــرض لجماعتهم بسوء فهم في مهد عيسى عليه السلام،ولتمت الأمة كلها فلا يهمهم ذلك بتاتاً ....

بل كانوا السلاح الأمضى بيد الأسد في وجه الصحوة الإسلامية النيرة ...

فكم دُكَّ في سجون الأسد من جماعة الإخوان أو التحرير أو السلفيين ...بسبب هـــؤلاء المشايخ – الذين أعمى الله أبصارهم وبصائرهم – ذلك لأن هذه التيـــارات الإســـلامية تشكّل أكبر خطر على النظام وعلى مشايخ النظام أيضاً وعلى الرافضة الذين غزوا الشـــام غزوا غير مسبوق أبدا في التاريخ ....

وهؤلاء المشايخ هم أخطر على أمة الإســـلام مـــن الـــدجال بـــيقين،فعن أَبِـــي تَمِـــيمٍ الْجَيْشَانِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ،يَقُولُ:كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِيِّ ﷺ يَوْمًـــا إِلَـــى مَنْزِله،فَسَـــمِعْتُهُ يَقُولُ:"غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ " فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ،قُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِ،أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ؟ قَالَ:"الْأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ " [٣٥٧]

وليس بعد كلام الرسول ﷺ أي كلام

ثامناً– هذا النظام الطاغوتي– بكل أجهزته القمعية الإجرامية التي لا تعرف الله تعـــالى ولا تتورع عن ارتكاب كل الموبقات أبدا

ولأول مرة يظهر للجميع أنه نظامٌ مهلهلٌ ونمرٌ من ورقٍ ليس إلا ...

فقد كشفت أوراقه،وبان كذبه وخداعه ومكره وبطشه لكل ذي عينين ....

لذلك نراهم كل يوم يوجهون الاتهام بقيام هذه الانتفاضة إلى عناصر خارجية مخربة .....

وهم يعلمون أنهم كذابون أفاكون بيقين ....

---

[357] – مسند أحمد ط الرسالة (٣٥/ ٢٢٢) ٢١٢٩٧ صحيح لغيره

ولذلك لم يعد يصدّقهم أحد من الناس إلا حفنة من المـــأجورين والمرتزقـــة ممـــن علـــى شاكلتهم.

ومن ثم كان تعامل هذا الطاغوت مع الانتفاضة الشعبية السلمية كان تعامله تعاملاً يـــدلُّ بشكل قاطع على مدى الرعب الذي أصيب به القوم،لأنهم لم يكونوا يتوقعون أنَّ الأجيال التي ربيت في عهد الأسدين على التصفيق والتطبيل ليل نهار لرأس النظام ((هبل العصـــر بشار)) أن تصحوا من سهادها وتعرف الحقيقة،وأن هذا الذي تعبده وتعظمه مـــن دون الله ليس إلهاً ولا ابن إله،وليس صاحب بطولات ولا أمجاد كما زيِّنَ لها من قبل،وإنما هـــو حشرة نتنة وكابوساً وشيطاناً مريداً يجثم على صدور الناس،لاسيما بعد اطلاعهم على ما يجري حولهم من أحداث جسام تحصد الأخضر واليابس .....

ومن هنا طار صواب هذا الجزار وزبانيته ولا يدرون ماذا يفعلون ....إلا البطش والسحق والقتل والنهب والسلب كما فعل أبوه من قبل بالانتفاضة الأولى ....

تاسعاً– ما يفعله النظام الطاغوتي الأسدي من جرائم بحق أهلنا في درعا خاصة وفي بقية الأمكنة عامة التي قالت له:((لا)) إننا نريد حريتنا وكرامتنا كبقية البشر.....يـــدلُّ بشكل قاطع على أنه فقد شرعيته بيقين،وأن ورقة التوت التي كان يستر بهـــا عورتـــه سقطت في درعا أولاً وفي غيرها ثانيا ....

وأنه نظام قائم على حماية ظهر اليهود وسحق الصحوة الإسلامية،فإذا عجز عـــن هـــاتين المهمتين فسوف يسعى أسياده إلى إزالته بأيديهم ..ومصيره معروف إلى أين ....

لذلك يسعى بكل ما أوتي من أدوات البطش والترهيب لتركيع الشعب ولمنعه من المطالبة بحقوقه المشروعة

ومن ثم استخدم القتل والنهب والسلب وقطع الكهرباء والماء والغذاء والدواء،وسيطر على المشافي وسرق معداتها بل وأجهز على الجرحى وأخفى الموتى أو اختطفهم عنوة ليخفـــي جرائمه ومنع التجول وحاصر الناس ....

والله إن الذي فعله الأسد في درعا خاصة وغيرها يدلُّ بشكل قاطع على أن زعماء اليهود كلهم لا يضاهونه في الإجرام والبطش والإرهاب والقمع،فما فعلوه بإخوتنا في فلسطين منذ احتلال فلسطين وإلى الآن لا يعادل جرائم هذا النظام الطاغوتي الخبيث .....

عاشراً- هذا البطش والإرهاب والتنكيل بالعزل،لن يزيد الشعب ولاسيما أهل السنة والجماعة إلا لحمةً وقوة،ويقينا أنهم على الحق وأن هذا النظام على الباطل ...

وكذلك فإن هذه الجرائم - التي يندى لها جبين الإنسانية - تزيد هذا الشعب الثائر على الباطل عزماً وإرادةً وتصميماً في الحصول على حقوقهم المشروعة والسليبة منذ عشرات السنين ...مهما كانت التضحيات ...

وأنه لا لقاء بينهم وبين هذا النظام أبداً ....

فلا بد من الثبات حتى الممات،كما قال تعالى:{قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ } [التوبة:٥٢]

هَلْ تَتَرَبَّصُونَ بِنَا،وَتَنْتَظِرُونَ أَنْ يَقَعَ لَنَا،إِلاَّ وَاحِدَةٌ مِن اثْنَتَيْنِ:وَكِلْتَاهُمَا خَيْرٌ لَنَا وَفِيهِمَا حَسَنَةٌ:شَهَادَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ظَفَرٌ.أَمَّا نَحْنُ فَإِنَّنَا نَنْتَظِرُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمْ عَذَابُ اللهِ،أَوْ أَنْ يُسَلِّطَنَا عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ فَنُذِيقَكُمْ بَأْسَنَا .[٣٥٨]

الحادي عشر- إن شيخ الانتفاضة هذه هو بحق والد الشهيد الشيخ ((أحمد الصياصنة)) حفظه الله تعالى ورعاه،والذي صدع بالحقَّ

وليس شيوخها القابعين في بيوتهم ولا الذين يتاجرون بدماء الشعب الأعزل ويتهمونه بتهم با طلة ما أنزل الله بها من سلطان ....

[358] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٨٨، بترقيم الشاملة آليا)

ولكن لا عجب فقد كان الأب الروحي للثورة السورية الكبرى هو الشيخ العلامة بـــدر الدين الحسني رحمه الله،وليس أولئك الذين درسنا أسماءهم في كتب التاريخ المزوَّرة والمحرَّفة عن عمد وسبق إصرار ....

فهنيئاً لك يا شيخ أحمد إنك على الحق،فاصبر حتى يأتي الله بوعده،قال تعالى مخاطبا رسوله ﷺ وكل مسلم من بعده:{فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَـــا يُوقِنُـــونَ } [الروم:٦٠]

ونقول لك جميعاً:عظَّم الله أجرك،وغفر ذنبك،وثبَّتك على الحق،وأعلى مقام ولدك الشهيد أسامة،وجعله الله تعالى ذخراً لكم ينتظركم هناك على أبواب الجنـــان ......إن شـــاء الله تعالى

والله إنَّ مصابك مصابنا،وابنك ابننا،وأهلك أهلنا،وبيتك بيتنا .....

فامض لما أمرت به ولا تخف فالنصر قريب بإذن الله ....

وسوف ننتصف لابنك وغيره ممن سقطوا برصاص الغدر والخسة والنذالة .....

الثاني عشر – هذا النظام الفرعوني الإجرامي يلفظ أنفاسه الأخيرة

فقد استخدم كل قوته وبطشه في سحق الانتفاضة،ولكنها بفضل الله تعالى كـــل يـــوم في ازدياد وثبات وعزيمة وإصرار على متابعة المسير،فكلهم أسامة،وهم يرددون قول الشـــاعر المسلم:

سأحمل روحي على راحتي = وألقي بها في مهاوي الردى

فإمّا حياة تسرّ الصديق = وإمّا مماتٌ يغيظ العدى

ونفسُ الشريف لها غايتان = ورود المنايا ونيلُ المنى

وما العيشُ؟ لاعشتُ إن لم أكن = مخوف الجناب حرام الحمى

إذا قلتُ أصغى لي العالمون = ودوّى مقالي بين الورى

لعمرك إنّي أرى مصرعي = ولكن أغذّ إليه الخطى

أرى مصرعي دون حقّي السليب = ودون بلادي هو المبتغى

يلذّ لأذني سماع الصليل = ويبهجُ نفسي مسيل الدما

وجسمٌ تجدّل في الصحصحان = تناوشُهُ جارحاتُ الفلا

فمنه نصيبٌ لأسد السماء = ومنه نصيبٌ لأسد الشّرى

كسا دمه الأرض بالأرجوان = وأثقل بالعطر ريح الصّبا

وعفّر منه بهيّ الجبين = ولكن عُفاراً يزيد البها

وبان على شفتيه ابتسامٌ = معانيه هزءٌ بهذي الدّنا

ونام ليحلمَ حلم الخلود= ويهنأُ فيه بأحلى الرؤى

لعمرك هذا مماتُ الرجال = ومن رام موتاً شريفاً فذا

فكيف اصطباري لكيد الحقود = وكيف احتمالي لسوم الأذى

أخوفاً وعندي تهونُ الحياة = وذُلاّ وإنّي لربّ الإبا

بقلبي سأرمي وجوه العداة = فقلبي حديدٌ وناري لظى

وأحمي حياضي بحدّ الحسام = فيعلم قومي أنّي الفتى

الثالث عشر – إن نصر الله قريب:

نعم **أيها الأحبة الكرام**،ولكنه لا يأتي دون تضحيات جسام،ودون تقديم أغلى ما نملك من أجل الحصول عليه،قال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة:٢١٤]

يُخَاطِبَ اللهُ تَعَالَى الذينَ هَدَاهُمْ إلى السِّلْمِ،وَإِلَى الخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَةِ الاخْتِلاَفِ،إلى نُورِ الوِفَاقِ،باتِّبَاعِهِمْ هُدَى الكِتَابِ زَمَنَ التَّنْزِيلِ،الذينَ يَظُنُّونَ مِنْهُمْ أَنَّ انْتِسَابَهُمْ إلى الإِسْلاَمِ فيهِ الكِفَايَةُ لِدُخُولِ الجَنَّةِ دُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ وَالأَذَى فِي سَبِيلِ الحَقِّ،وَهِدَايَةِ الخَلْقِ،جَهْلاً مِنْهُمْ بِسُنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الهُدَى مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُمْ.فَيَقُولُ لَهُمْ:هَلْ تَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تُبْتَلَوا وَتُخْتَبَرُوا كَمَا فُعِلَ بالذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الأُمَمِ الذينَ ابْتُلُوا بِالفَقْرِ (البَأْسَاءُ)،وَبِالأَسْقَامِ وَالأَمْرَاضِ (الضَّرَّاءُ)،وَخُوِّفُوا وَهُدِّدُوا مِنَ الأَعْدَاءِ (زُلْزِلُوا

)،وَامتُحِنُوا امْتِحَاناً عَظِيماً،وَاشْتَدَّتِ الأُمُورُ بِهِمْ حَتَّى تَسَاءَلَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ:مَتَى يَأْتِي نَصْرُ اللهِ .
وَحِينَما تَثْبُتُ القُلُوبُ عَلَى مِثْلِ هذه المِحَنِ المُزَلْزِلَة،حِينَئذ تَتِمُّ كَلِمَةُ اللهِ،وَيَجِيءُ نَصْرُهُ الذِي يَدَّخِرُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِبَادِهِ الذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ أَنْ لاَ نَصْرَ إلاَّ نَصْرُ اللهِ .[٣٥٩]
إنه مدخر لمن يستحقونه.ولن يستحقه إلا الذين يثبتون حتى النهاية.الذين يثبتون على البأساء والضراء.
الذين يصمدون للزلزلة.الذين لا يحنون رؤوسهم للعاصفة.الذين يستيقنون أن لا نصر إلا نصر الله،وعندما يشاء الله.وحتى حين تبلغ المحنة ذروتها،فهم يتطلعون فحسب إلى «نَصْرُ اللَّهِ»،لا إلى أي حل آخر،ولا إلى أي نصر لا يجيء من عند الله.ولا نصر إلا من عند الله.
بهذا يدخل المؤمنون الجنة،مستحقين لها،جديرين بها،بعد الجهاد والامتحان،والصبر والثبات،والتجرد لله وحده،والشعور به وحده،وإغفال كل ما سواه وكل من سواه.
إن الصراع والصبر عليه يهب النفوس قوة،ويرفعها على ذواتها،ويطهرها في بوتقة الألم،فيصفو عنصرها ويضيء،ويهب العقيدة عمقا وقوة وحيوية،فتتلألأ حتى في أعين أعدائها وخصومها.وعندئذ يدخلون في دين الله أفواجا كما وقع،وكما يقع في كل قضية حق،يلقى أصحابها ما يلقون في أول الطريق،حتى إذا ثبتوا للمحنة انحاز إليهم من كانوا يحاربونهم،وناصرهم أشد المناوئين وأكبر المعاندين ..
على أنه – حتى إذا لم يقع هذا – يقع ما هو أعظم منه في حقيقته.يقع أن ترتفع أرواح أصحاب الدعوة على كل قوى الأرض وشرورها وفتنتها،وأن تنطلق من إسار الحرص على الدعة والراحة،والحرص على الحياة نفسها في النهاية ..وهذا الانطلاق كسب للبشرية كلها،وكسب للأرواح التي تصل إليه عن طريق الاستعلاء.كسب يرجح جميع الآلام وجميع البأساء والضراء التي يعانيها المؤمنون،المؤتمنون على راية الله وأمانته ودينه وشريعته.وهذا الانطلاق هو المؤهل لحياة الجنة في نهاية المطاف ..وهذا هو الطريق ..
هذا هو الطريق كما يصفه الله للجماعة المسلمة الأولى،وللجماعة المسلمة في كل جيل.

---

[359] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٢١، بترقيم الشاملة آليا)

هذا هو الطريق:إيمان وجهاد ..ومحنة وابتلاء.وصبر وثبات ..وتوجه إلى الله وحده.ثم يجيء النصر.ثم يجيء النعيم .. [٣٦٠]



[360] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٤٥٥)

المبحث العاشر

يا نساء الشام أين أنتن من الخنساء رضي الله عنها ؟؟؟؟

حضرت الخنساء حرب القادسية ومعها بنوها أربعة رجال،فقالت لهم:

"يا بني،أنتم أسلمتم طائعين،وهاجرتم مختارين،ووالله الذي لا إله غيره،إنكم لبنو رجل واحد،كما أنكم بنو امرأة واحدة،ما خنت أباكم،ولا فضحت خالكم،ولا هجنت١ حسبكم،ولا غيرت٢ نسبكم،وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب العظيم في حرب الكافرين،واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية،يقول الله عز وجل:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [آل عمران:٢٠٠]

فإذا أصبحتم غدًا؛ فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين،ولله على أعدائه مستنصرين".

فَخرج بنوها قابلين لنصحها فَلَمَّا أَضَاء لَهُم الصُّبْح باكروا مراكزهم وَأَنْشَأَ أَوَّلهمْ يَقُول

(يَا إخوتي إِن الْعَجُوز الناصحه ...قد نصحتنا إِذْ دعتنا البارحه)

(مقَالَة ذَات بَيَان واضحه ...فباكروا الْحَرْب الضروس الكالحه)

(وَإِنَّمَا تلقونَ عنْد الصائحه ...من آل ساسان كلابا نابحه)

(قد أيقنوا منْكُم بوَقع الجائحه ...وَأَنْتُم بَين حَيَاة صَالحه)

(أَو ميتَة تورث غنما صَالحه ...)

وَتقدم فقاتل حَتَّى قتل رَحمَه اللَّه تَعَالَى ثمَّ تقدم الثَّانِي وَهُوَ يَقُول:

(إِن الْعَجُوز ذَات حزم وَجلد ...وَالنَّظَر الأوفق والرأي الْأسد)

(قد أمرتنا بالسداد والرشد ...نصيحة منْهَا وَبرا بِالْوَلَد)

(فباكروا الْحَرْب حماة فِي الْعدَد ...إِمَّا لفوز بَارِد عَلَى الكبد)

(أَو ميتَة تورثكم غنم الْأَبَد ...فِي جنَّة الفردوس والعيش الرغد)

فقاتل حَتَّى اسْتشْهد رَحمَه اللَّه تَعَالَى

ثمَّ تقدم الثَّالِث وَهُوَ يَقُول:

(وَالله لَا نعصي الْعَجُوز حرفا ...قد أمرتنا حدبا وعطفا)

(نصحا وَبرا صَادِقا ولطفا ...فبادروا الْحَرْب الضروس زحفا)

(حَتَّى تلفوا آل كسْرَى لفا ...وتكشفوهم عَن حماكم كشفا)

فقاتل حَتَّى اسْتشْهد رَحمَه اللَّه تَعَالَى وَحمل الرَّابِع وَهُوَ يَقُول:

(لست لخنسا وَلَا للأخرم ...وَلَا لعَمْرو ذِي السناء الأقدم)

(إِن لم أرد فِي الْجَيْش جَيش الْعَجم ...مَاض عَلَى الهول خضم خضرم)

(إِمَّا لفوز عَاجل ومغنم ...أَو لوفاة فِي السَّبِيل الأكرم)

فقاتل حَتَّى قتل رَحمَه اللَّه تَعَالَى فَبلغ خبرهم الخنساء أمّهم فَقَالَت:الْحَمد لله الَّذِي شــرفني بِقَتْلِهِم وَأَرْجُو من رَبِّي أَن يجمعني بهم فِي مُسْتَقر رَحمته،فَكَانَ عمر بْن الْخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُعْطي الخنساء بعد ذَلِك أرزاق أَوْلَادهَا الْأَرْبَعَة لكل وَاحِد مِنْهُم مائَتي دِرْهَم[٣٦١]

....

الهوامش

١ التهجين:التقبيح.٢ غبره:لطخه بالغبار،أي دنست.

۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞۞

[361] – المصدر:جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة (١/ ٢٣١) ١٠٢ و"حزانة الأدب:١،٣٩٥".ولب لباب لسان العرب للبغدادي (١/ ٤٣٨) وأسد الغابة ط العلمية (٧/ ٨٩) وأمير المؤمنين عمــر بــن الخطــاب (١/ ٣٨٥) والإصابة في تمييز الصحابة (٨/ ١١١) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١/ ٢٦٠)

المبحث الحادي عشر

رسالة مفتوحة إلى كل امرأة فقدت أبا زوجا أخا ابنا قريبا

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آلــه وصــحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

أما بعد:

أختي الفاضلة،أمي الحبيبة ...

إن هذه الثورة المباركة أثلجت صدورنا،ورفعت رأسنا عالياً بفضل الله تعــالى،وهي لــن تتوقف حتى تصل إلى أهدافها المطلوبة وهي إسقاط هذا النظام الطاغوتي الفرعوني الخبيث بإذن الله تعالى .

أخواتي الكريمات:

أنا أعلم أن مصاب الموت كبير،ووقعه على النفس عظيم،لكنه أمر لا مفرَّ منه بتاتاً،فلا بد واقع،ولن يستطيع أحد أن يهرب منه،قال تعالى:{قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْــهُ فَإِنَّــهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الجمعة:٨]

وقال تعالى:{ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} [النساء:٧٨]

وقال تعالى:{كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْــإِكْرَامِ (٢٧) } [الرحمن:٢٦ - ٢٨]

وأما هذه الحقيقة الماثلة أمام أعيننا أقول وبالله التوفيق:

أولا- يجب التسليم بأن ما يصيب الإنسان في هذه الدار - المؤمن والكافر- هو مقدَّر من عند الله تعالى .

قال تعالى:{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُــونَ } [التوبة:٥١]

نَحْنُ تَحْتَ مَشيئَة اللهِ وَقَدَرِه،وَمَا قَدّرَهُ لَنا سَيَأْتينَا،وَلَيْس لَهُ مَانِعٌ وَلاَ دَافِعٌ.وَنَحْنُ مُتَوَكّلُونَ عَلَى اللهِ،وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيلُ،فَلاَ نَيْأسُ عِنْدَ الشِّدَّةِ،وَلاَ نَبْطَرُ عِنْدَ النِّعْمَة .[362]

ثانيا– ما قدَّره الله تعالى من كيفية الموت هو سيكون كما قــدَّره الله تعــالى أزلاً،دون زيادة ولا نقصان.

قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } [لقمان:٣٤]

وقال تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [الأعراف:٣٤]

وقال تعالى:{ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ } [يونس:٤٩]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا،وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا،فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ،وَلَا يَحْمِلَنَّكُمِ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ،فَإِنَّ اللهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ»[363]

ثالثا– لا بد أن تذوق كل نفس الموت .

قال تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران:١٨٥]

وقال تعالى:{ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٣٥) } [الأنبياء:٣٤،٣٥]

وقال تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [العنكبوت:٥٧]

---

362 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٢٨٧، بترقيم الشاملة آليا)

363 – المعجم الكبير للطبراني (٨/ ١٦٦)(٧٦٩٤) حسن لغيره

أَيْنَمَا كُنْتُمْ يُدْرِككُمُ المَوْتُ ، فَكُونُوا فِي طَاعَةِ اللهِ ، وَحَيْثُ أَمَرَكُمْ اللهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُـــمْ ، فَالمَوْتُ آت لا مَحَالَةَ ، وَلا مَفَرَّ مِنْهُ وَلا مَهْرَبَ ، ثُمّ تُرْجَعُونَ إِلى اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ وَعِنْــدَهُ الحِسَابُ والجَزَاءُ .[٣٦٤]

فالموت حتم في كل مكان، فلا داعي أن يحسبوا حسابه، وهم لا يعلمون أسبابه. وإلى الله المرجع والمآب. فهم مهاجرون إليه، في أرضه الواسعة، وهم عائدون إليه في نهاية المطاف. وهم عباده الذين يؤويهم إليه في الدنيا والآخرة. فمن ذا يساوره الخوف، أو يهجـــس في ضميره القلق، بعد هذه اللمسات؟ ومع هذا فإنه لا يدعهم إلى هذا الإيواء وحـــده بـــل يكشف عما أعده لهم هناك. وإنهم ليفارقون وطنا فلهم في الأرض عنه سعة. ويفـــارقون بيوتا فلهم في الجنة منها عوض. عوض من نوعها وأعظم منها:«وَالَّذِينَ آمَنُـــوا وَعَمِلُـــوا الصَّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ، خالِدِينَ فِيها».[٣٦٥]

رابعا– الإنسان لا يحدد كيفية الموت ولا طريقته.

وإنما حدد ذلك ربنا سبحانه وتعالى وحده،فأبو بكر رضي الله عنه مـــات علـــى فراشـــه وخالد رضي الله عنه مات على فراشه،وعمر رضي الله عنه قتل شـــهيدا وهـــو يصـــلي الصبح،وعثمان رضي الله عنه قتل في بيته وهو يقرأ القرآن،وعلي رضي الله عنه قتل عنـــد باب المسجد فجرا .....

ولذلك رد الله تعالى على المنافقين الذين قالوا:لو بقي المســـلمون في المدينـــة المنـــورة و لم يخرجوا يوم أحد ما قتلوا،حيث قال تعالى:{لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِـــيَ اللَّـــهُ مَـــا فِـــي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [آل عمران:١٥٤]

إنَّ قَدَرَ اللهِ سَيَقَعُ لاَ مَحَالَةَ ،وَلَوْ كَانَ الذينَ كُتِبَ عَلَيهِم القَتْلُ مَوْجُودِينَ فِـــي بُيُـــوتِهِمْ لَخَرَجُوا ،دُونَ دَعْوَةٍ مِنْ أَحَدٍ إِلَى حَيْثُ قُدِّرَ لَهُمْ أنْ يُقَتْلُوا ،لِيُقْتَلُوا . فَهُنَاكَ أَجَلٌ مَكْتُوبٌ

---

[364] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٢٧٩، بترقيم الشاملة آليا)

[365] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٣٤٩٨)

لاَ يَسْتَقْدِمُ وَلاَ يَسْتَأْخِرُ ،وَجَعَلَ الله الأَمْرَ كُلَّهُ ابْتِلاءً مِنْهُ ،واخْتِبَاراً لِمَا فِي صُدُورِ المُؤْمِنِينَ وَقُلُوبِهِمْ ،وَتَمْحِيصاً لِمَا فِي نُفُوسِهِمْ وَتَطْهِيراً . وَلَيْسَ كَالحَقِّ كَاشِفٌ لِلنُّفُوسِ وَالحَقَــائِقِ ،وَاللهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ،وَبِالأَسْرَارِ الخَفِيَّةِ .[٣٦٦]

خامسا– لا يجوز لنا أن نسمع كلام شياطين الإنس والجن بأن زوجــك أو ابنــك أو أخاك ..لو بقي في البيت لما قتل.

فهذا من عمل الشيطان،عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«الْمُــؤْمِنُ الْقَــوِيُّ،خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ،وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ،وَاسْتَعِنْ بِــاللهِ وَلَا تَعْجَزْ،وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ،فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا،وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ،فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[٣٦٧]

قال الإمام الشافعي رحمه الله:

وَمَنْ نَزَلَتْ بِسَاحَتِه الْمَنَايَا فلا أرضٌ تقيه ولا سماءُ
وأرضُ الله واسعةً ولكن إذا نزلَ القضا ضاقَ الفضاءُ
دَعِ الأَيَّامَ تَغْدِرُ كُلَّ حِينٍ فما يغني عن الموت الدواءُ

سادسا–إذا نزلت بالمؤمن مصيبة واجب عليه أن يسلِّم أمــره إلى الله تعــالى ويصــبر ويحتسب

---

366 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٤٧، بترقيم الشاملة آليا)

367 – صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢)٣٤ – (٢٦٦٤)

[ش (المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصــف أكثــر إقداما على العدو في الجهاد وأسرع خروجا إليه وذهابا في طلبه وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى وأرغب في الصلاة والصوم والأذكــار وســائر العبــادات وأنشط طلبا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك (وفي كل خير) معناه في كل من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات (احرص على ما ينفعك) معناه احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيمــا عنــده واطلب الإعانة من الله تعالى على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة]

قال تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) } [البقرة]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنِينَ بِأَنَّهُ سَيَبْلُوهُمْ وَيَخْتَبِرُهُمْ بِقَلِيلٍ (بِشَيءٍ) مِنْ الخَوْفِ والجُوعِ ،وَبِذَهَابِ بَعْضِ المَالِ ،وَبِمَوتِ بَعْضِ الأَصْحَابِ وَالأَقَارِبِ وَالأَحْبَابِ ،وَبِنَقْصِ غِلاَلِ المَزَارِعِ . . . فَمَنْ صَبَرَ عَلَى قَضَاءِ اللهِ وَحُكْمِهِ أَثَابَهُ ،وَمَنْ قَنَطَ وَلَجَّ أَحَلَّ بِهِ عِقَابَهُ .وَيُبَشِّرُ اللهُ الصَّابِرِينَ بِحُسْنِ العَاقِبَةِ فِي أُمُورِهِمْ

أَمَّا الصَّابِرُونَ الذِينَ خَصَّهُمُ اللهُ بِالبُشْرَى فَهُمُ الذِينَ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ الخَيْرَ وَالشَّرَّ مِنَ اللهِ ،وَإِذَا نَزَلَتْ بِهِمْ مُصِيبَةٌ صَبَرُوا ،وَتَمَسَّكُوا بِقَولِهِمْ :إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِليهِ رَاجِعُونَ ،أَيْ إِنَّهُم عَبِيدُ اللهِ وَمُلْكُهُ ،وَإِنَّهُمْ رَاجِعُونَ إِليهِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ .

يُثنِي اللهُ جَلَّ شَأْنُهُ عَلَى هَؤُلاءِ الصَّابِرِينَ ،وَيُخْبِرُ بِأَنَّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ،وَأَنَّهُمْ يَجِدُونَ أَثَرَهَا فِي بَرْدِ قُلُوبِهِمْ عِنْدَ نُزُولِ المُصِيبَةِ ،وَأَنَّهُمْ هُمُ المُهْتَدُونَ إِلى طَرِيقِ الخَيْرِ ،وَإِلى الحَقِّ والصَّوابِ ،وَأَنَّهُمُ اسْتَسْلَمُوا لِقَضَاءِ اللهِ فَلَمْ يَسْتَحْوِذِ الجَزَعُ عَلَيهِمْ . [٣٦٨]

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،أَنَّهَا قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ،فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة:١٥٦] ،اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي،وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا،إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "،قَالَتْ:فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ،قُلْتُ:أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ،ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا،فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ....» [٣٦٩]

---

368 - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

369 - صحيح مسلم (٢/ ٦٣١)٣ - (٩١٨) [ش (ما أمره الله) أي في ضمن مدح الصابرين بقوله في سورة البقرة {الذين إذا أصابتهم مصيبة} الخ فإن كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن الأمر بها كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها (اللهم أجرني) كذا بهمزة واحدة وهو أمر من أجره الله إذا أصابه فهمزة الوصل المجلوبة لصيغة الأمر أسقطت كما أسقطت في نحو فأتنا كراهة توالي المثلين وبابه نصر وضرب فيجوز في الجيم الضم والكسر والأول أكثر قال النووي قال القاضي يقال أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته (وأخلف لي) هو بقطع الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب مالا

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،قَالَتْ:دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ،وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ فَأَغْمَضَهُ وَقَالَ:«إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ،تَبِعَهُ الْبَصَرُ»،فَصَاحَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ،فَقَالَ: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ،فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ عَلَى مَا تَقُولُونَ»،ثُمَّ قَالَ:«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلَمَةَ،وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمُقَرَّبِينَ،وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ،وَاغْفِرْ لَهُ وَلَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ،وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ»[٣٧٠]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،فِي قَوْلِهِ:{الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ،وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة:١٥٧] ،قَالَ:أَخْبَرَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:أَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا سَلَّمَ لِأَمْرِ اللهِ وَرَجَعَ ، فَاسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ كَتَبَ ثَلَاثَ خِصَالٍ مِنَ الْخَيْرِ:الصَّلَاةُ،وَالرَّحْمَةُ وَتَحْقِيقُ سَبِيلِ الْهُدَى،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنِ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ جَبَرَ اللهُ مُصِيبَتَهُ،وَأَحْسَنَ عُقْبَاهُ،وَجَعَلَ لَهُ خَلَفًا صَالِحًا يَرْضَاهُ»[٣٧١]

سابعا- إذا لم يمت الإنسان بعد - مهما كان سبب الموت- فعلينا أن نذكِّره بقول كلمة التوحيد قبل موته .

فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣٧٢] ،وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ "[٣٧٣]

ثامنا-يستحب قراءة سورة يس عند خروج الروح وبعدها،فإنها تسهل خروج الروح

يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لاجد له ولا والد له قيل له خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه عليك (أي المسلمين خير من أبي سلمة) استعظام منها لشأن زوجها وتعجب من أن يكن لها خلف خير منه (أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ) أي هو أول أهل بيت هاجر مع عياله فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم المدينة وكان أخا النبي ﷺمن الرضاعة وابن عمته]

370 - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٥/ ٥١٥)(٧٠٤١) صحيح

371 - المعجم الكبير للطبراني (١٢/ ٢٥٥)(١٣٠٢٧) حسن

372 - سنن أبي داود (٣/ ١٩٠)(٣١١٦) صحيح

373 - شعب الإيمان (١١/ ٤٣٨)(٨٧٩٨) صحيح

فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«اقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ» يَعْنِي يس "[374]
وعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ:أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:«ويس قَلْبُ الْقُرْآنِ لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيـــدُ اللهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ،اقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ»[375]
وَلِهَذَا قَالَ بَعْض الْعُلَمَاء مِنْ خَصَائِص هَذِهِ السُّورَة أَنَّهَا لَا تُقْرَأ عِنْد أَمْر عَسِير إِلَّا يَسَّرَهُ اللَّه تَعَالَى وَكَأَنَّ قِرَاءَهَا عِنْد الْمَيِّت لِتَنْزِل الرَّحْمَة وَالْبَرَكَة وَلِيَسْهُل عَلَيْهِ خُرُوج الرُّوح وَاَللَّـــه تَعَالَى أَعْلَم.[376]
و"ذهَبَ الْحَنَفِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ إِلَى نَدْبِ قِرَاءَةِ سُورَةِ يس عِنْدَ الْمُحْتَضَرِ،لِقَوْل النَّبِيِّ - ﷺ-:« اقْرَءُوا (يس) عَلَى مَوْتَاكُمْ » .أَيْ مَنْ حَضَرَهُ مُقَدِّمَاتُ الْمَوْتِ .
كَمَا ذَهَبُوا إِلَى اسْتِحْبَابِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ عَلَى الْقَبْرِ،لِمَا رُوِيَ عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْعَلَاءِ بْنِ اللَّجْلَاجِ،عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ:قَالَ [لِي] أَبِي:يَا بُنَيَّ ! إِذَا مُتُّ ؛ فَضَعْنِي فِي اللَّحْدِ،وَقُلْ:بِسْـــمِ اللهِ وَعَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ – ﷺ–،وَسُنَّ عَلَيَّ التُّرَابَ سَنًّا،وَاقْرَأْ عِنْدَ رَأْسِي بِفَاتِحَةِ الْبَقَـــرَةِ وَخَاتِمَتِهَا ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ يَقُولُ ذَلِكَ"[377]
وفي الموسوعة الفقهية أيضاً:يُنْدَبُ قِرَاءَةُ سُورَةِ (يس) عِنْدَ الْمُحْتَضَرِ،لِمَا رَوَى أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ صَفْوَانَ،حَدَّثَنِي الْمَشْيَخَةُ،أَنَّهُمْ حَضَرُوا غُضَيْفَ بْنَ الْحَارِثِ الثُّمَالِيَّ،حِينَ اشْتَدَّ سَوْقُهُ،فَقَالَ:" هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ يس؟ " قَالَ:فَقَرَأَهَا صَالِحُ بْنُ شُرَيْحٍ السَّكُونِيُّ،فَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ مِنْهَا قُبِضَ،قَالَ:وَكَانَ الْمَشْيَخَةُ يَقُولُونَ:إِذَا قُرِئَتْ عِنْدَ الْمَيِّتِ خُفِّفَ عَنْهُ بِهَا قَـــالَ صَفْوَانُ:" وَقَرَأَهَا عِيسَى بْنُ الْمُعْتَمِرِ عِنْدَ ابْنِ مَعْبَدٍ "[378]

---

374 - المعجم الكبير للطبراني (٢٠/ ٢١٩)(٥١٠) فيه ضعف
375 - السنن الكبرى للنسائي (٩/ ٣٩٤)(١٠٨٤٧) فيه ضعف
376 - تفسير ابن كثير - (١٣ / ٢٥٨)
377 -(المجالسة وجواهر العلم - (٣ / ١٢٨) (٧٥٧) صحيح) .انظر الموسوعة الفقهيـــة الكويتيـــة - (ج ٣٣ / ص ٥٩) وحاشية ابن عابدين ١ / ٦٠٥، ٦٠٧، والقليوبي وعميرة ١ / ٣٥١، وكشاف القناع ٢ / ١٤٧
378 - مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٧١)(١٦٩٦٩) مسند أحمد ط الرسالة (٢٨/ ١٧٢) أثر إسناده حسن، وإبهامُ المشيخة لا يضر، كما بينا في رواية أبي سعيد الخدري السالفة برقم (١١٧٣٧) .وحسَّن إسناده الحافظ في "الإصـــابة" (ترجمة غُضَيف)

قَال ابْنُ حبَّانَ:أَرَادَ به مَنْ حَضَرَتْهُ الْمَنيَّةُ،لاَ أَنَّ الْمَيِّتَ يُقْرَأُ عَلَيْــهِ.وَبــه قَــال الشَّــافعيَّةُ وَالْحَنَابلَةُ[379].وَزَادَت الْحَنَابلَةُ قرَاءَةَ الْفَاتحَة.وعَنِ الشَّعْبِيِّ،قَالَ:كَانَت الأَنْصَارُ يَقْرَؤُونَ عنْدَ الْمَيِّت بسُورَة الْبَقَرَة.[380]

وعَنْ جَابر بْن زَيْد،أَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ عنْدَ الْمَيِّت سُورَةَ الرَّعْد.[381]

وَقَالَت الْمَالكيَّةُ:يُكْرَهُ قرَاءَةُ شَيْءٍ منَ الْقُرْآنِ عنْدَ الْمَوْت وَبَعْدَهُ وَعَلَى الْقُبُورِ ؛ لأَنَّهُ لَــيْسَ منْ عَمَل السَّلَف[382]

والصواب قول:جمهور السلف والخلف

تاسعاً– لا يجوز الندب أثناء خروج الروح ولا بعدها ولا لطم الخــدود ولا الــدعاء بدعوى الجاهلية ولا شق الجيوب ..

عَنْ عَبْد اللَّه رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ النَّبيُّ ﷺ:«لَيْسَ منَّــا مَــنْ ضَــرَبَ الخُدُودَ،وَشَــقَّ الجُيُوبَ،وَدَعَا بدَعْوَى الجَاهليَّة» [383]

وعَنِ النُّعْمَان بْنِ بَشير،قَالَ:أُغْميَ عَلَى عَبْد الله بْنِ رَوَاحَةَ،فَجَعَلَتْ أُخْتُــهُ عَمْــرَةُ تَبْكــي وَتَقُولُ:وَأَخَاهُ،وَا كَذَا وَا كَذَا تُعَدِّدُ عَلَيْه،فَقَالَ ابْنُ رَوَاحَةَ حينَ أَفَاقَ:مَا قُلْتُ شَيْئًا إلاَّ قيلَ لي:أَنْتَ كَذَاكَ."مصنف وعَنِ النُّعْمَان بْنِ بَشيرٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:أُغْميَ عَلَى عَبْد اللَّه بْنِ رَوَاحَةَ،فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةُ تَبْكي وَاجَبَلاَهْ،وَاكَذَا وَاكَذَا،تُعَدِّدُ عَلَيْه،فَقَالَ حينَ أَفَــاقَ:" مَا قُلْت شَيْئًا إلَّا قيلَ لي:آنْتَ كَذَلكَ "[384]

---

379 –(الفتاوى الهندية ١ / ١٥٧، والمغني ٢ / ٣٠٣، ونهاية المحتاج ٢ / ٤٢٨)

380 – مصنف ابن أبي شيبة –دار القبلة (٧/ ١١٣)(١٠٩٥٣) حسن مقطوع

381 – مصنف ابن أبي شيبة –دار القبلة (٧/ ١١٤)(١٠٩٥٧) فيه لين

382 –(الشرح الصغير ١ / ٢٢٨) .الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (٢/ ٧٩)

383 – صحيح البخاري (٢/ ٨٢)(١٢٩٨) وصحيح مسلم (١/ ٩٩)١٦٥ – (١٠٣)

[ش (أودعا بدعوى الجاهلية) قال القاضي هي النياحة وندبة الميت والدعاء بالويل وشبهه والمراد بالجاهلية ما كــان في الفترة قبل الإسلام]

384 –«صحيح البخاري (٥/ ١٤٤)(٤٢٦٧) [ش (أغمي) مرض وحصل له الإغماء من شدة المرض.(واجبلاه) من صيغ الندبة وهي تعداد محاسن الميت.(تعدد عليه) تذكر محاسنه أثناء البكاء ومثل هذا منهي عنه لأن معناه يا من كــان

وعَنْ أَنَسٍ،قَالَ:لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلَ يَتَغَشَّاهُ،فَقَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ:وَا كَرْبَ أَبَاهُ،فَقَالَ لَهَا:«لَيْسَ عَلَى أَبِيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ»،فَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ:يَا أَبَتَاهُ،أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ،يَا أَبَتَاهْ،مَنْ جَنَّةُ الفِرْدَوْسِ،مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ،فَلَمَّا دُفِنَ،قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلاَمُ:يَا أَنَسُ أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ" [٣٨٥]

عاشرا– يجوز البكاء على الميت دون صوت .

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ بَكَتِ النِّسَاءُ عَلَى رُقَيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَجَعَلَ عُمَرُ يَنْهَاهُنَّ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَهْ يَا عُمَرُ " ، ثُمَّ قَالَ:" إِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمِنَ الرَّحْمَةِ وَمَا يَكُونُ مِنَ اللِّسَانِ وَالْيَدِ فَمِنَ الشَّيْطَانِ " قَالَ:وَجَعَلَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَبْكِي عَلَى شَفِيرِ قَبْرِ رُقَيَّةَ فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ الدُّمُوعَ عَنْ وَجْهِهَا بِالْيَدِ أَوْ قَالَ بِالثَّوْبِ.وَهَذَا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ قَوِيٍّ فَقَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الثَّابِتِ عَنْهُ:" إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ الْعَيْنِ وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ أَوْ يَرْحَمُ " يَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهُ وَيَشْهَدُ لَهُ بِالصِّحَّةِ وَبِاللهِ التَّوْفِيقُ" [٣٨٦]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:لَمَّا مَاتَتْ رُقْيَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«الْحَقِي بِسَلَفِنَا الْخَيِّرِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ» قَالَ:وَبَكَى النِّسَاءُ،فَجَعَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَضْرِبُهُنَّ بِسَوْطِهِ،فَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ:«دَعْهُنَّ يَا عُمَرُ»،وَقَالَ:«وَإِيَّاكُنَّ وَنَعِيقَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهُ مَهْمَا يَكُنْ مِنَ الْعَيْنِ وَالْقَلْبِ فَمِنَ اللَّهِ وَمِنَ الرَّحْمَةِ،وَمَهْمَا يَكُنْ مِنَ اللِّسَانِ وَمِنَ الْيَدِ فَمِنَ الشَّيْطَانِ».قَالَ:فَبَكَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ،فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ الدُّمُوعَ عَنْ عَيْنَيْهَا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ "[٣٨٧]

سندنا ومعتمدنا والسند والمعتمد هو الله عز وجل لذلك قيل له آنت؟ .والظاهر أن القائل هم الملائكة.(آنت كذلك) استفهام إنكاري أي لم يقولون هذا وأنت لست كذلك؟]

385 – صحيح البخاري (٦/ ١٥)(٤٤٦٢) [ش (يتغشاه) يغطيه ما اشتد به من مرض فيأخذ بنفسه ويغمه.(واكرب أباه) أندب ما يصيب أبي من هم وغم وثقل.(ننعاه) من نعى الميت إذا أذاع موته وأخبر به.(أطابت) كيف طابت ورضيت مع حبكم الشديد له.(تحثوا) تهيلوا وتدفعوا وتضعوا]

386 – السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ١١٨)(٧١٦٠) حسن

387 –".تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ١٠٣) حسن

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالك قَالَ:لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ منْ أُحُد سَمِعَ نسَاءَ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ ، فَقَالَ:" لَكنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ " فَبَلَغَ ذَلكَ نسَاءَ الْأَنْصَارِ فَبَكَيْنَ لحَمْزَةَ فَنَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُنَّ يَبْكِينَ فَقَالَ:" يَا وَيْحَهُنَّ مَا زِلْنَ يَبْكِينَ مُنْذُ الْيَوْمِ فَلْيَسْكُتْنَ وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالك بَعْدَ الْيَوْمِ ".[388]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ،وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِبْرَاهِيمَ،فَقَبَّلَهُ،وَشَمَّهُ،ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ،فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ،فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ:«يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»،ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى،فَقَالَ ﷺ:«إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ،وَالقَلْبَ يَحْزَنُ،وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا،وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»[389]

الحادي عشر – وجوب الصبر عند الصدمة الأولى:

وإلا بعد ذلك يستوي المسلم والكافر،لأن الجميع يعلم أن البكاء والحزن لن يرد الميت إلى الحياة الدنيا مرة أخرى،فعن ثَابِتَ البُنَانِيِّ،قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ لِامْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ:تَعْرِفِينَ فُلاَنَةَ؟ قَالَتْ:نَعَمْ،قَالَ:فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِهَا وَهِيَ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ،فَقَالَ:«اتَّقِي اللَّهَ،وَاصْبِرِي»،فَقَالَتْ:إِلَيْكَ عَنِّي،فَإِنَّكَ خِلْوٌ مِنْ مُصِيبَتِي،قَالَ:فَجَاوَزَهَا وَمَضَى،فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ فَقَالَ:مَا قَالَ لَكِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ:مَا عَرَفْتُهُ؟ قَالَ:إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ،قَالَ:فَجَاءَتْ إِلَى بَابِهِ فَلَمْ تَجِدْ عَلَيْهِ بَوَّابًا،فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللَّهِ،وَاللَّهِ مَا عَرَفْتُكَ،فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«إِنَّ الصَّبْرَ عِنْدَ أَوَّلِ صَدْمَةٍ» [390]

---

388 – السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ١١٦)(٧١٥٤) صحيح

389 – صحيح البخاري (٢/ ٨٣)(١٣٠٣) وصحيح مسلم (٤/ ١٨٠٧)٦٢ – (٢٣١٥)

[(ظئرا) زوج مرضعته وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية.(تذرفان) يجري دمعهما.(وأنت) تفعل كما يفعل الناس عند المصائب.(بأخرى) أتبع الدمعة بأخرى أو بالكلمة التي قالها بأخرى]

390 – صحيح البخاري (٩/ ٦٥)(٧١٥٤)

[ش (الصبر عند الصدمة الأولى) معناه الصبر الكامل الذي يترتب عليه الأجر الجزيل لكثرة المشقة فيه وأصل الصدم الضرب في شيء صلب ثم استعمل مجازا في كل مكروه حصل بغتة]

وقال تعالى:{إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر:١٠]
إن الله يُوفِّي الصَّابِرِينَ عَلَى الابْتِلاَءِ،ثَوَابَ أَعْمَالِهِمْ،وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا شَاءَ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

فيأخذ قلوبهم بهذه اللمسة في موضعها المناسب، ويعالج ما يشق على تلك القلوب الضعيفة العلاج الشافي، وينسم عليها في موقف الشدة نسمة القرب والرحمة. ويفتح لها أبواب العوض عن الوطن والأرض والأهل والإلف عطاء من عنده بغير حساب .. فسبحان العليم بهذه القلوب، الخبير بمداخلها ومساربها، المطلع فيها على خفي الدبيب.[٣٩١]

الثاني عشر – إن الذي يموت بيد عصابات الأسد المجرمة هو شهيد عند الله تعالى،إن شاء الله تعالى

فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ،رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ "[٣٩٢]

وقال تعالى:{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا (٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)} [النساء:٧٥،٧٦]

أَيُّ عُذْرٍ لَكُمْ يَمْنَعُكُمْ مِنْ أَنْ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ لِتُقِيمُوا التَّوْحِيدَ ،وَتَنْصُرُوا العَدْلَ وَالحَقَّ ،وَفِي سَبِيلِ إِنْقَاذِ إِخْوَانِكُمُ المُسْتَضْعَفِينَ الذِينَ يَسْتَذِلُّهُمُ الطُّغَاةُ الكَفَرَةُ .. ،وَهُمْ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ أَنْ يُخْرِجَهُمْ مِنْ تِلْكَ البَلْدَةِ (القَرْيَةِ) الظَّالِمِ أَهْلُها ،وَأَنْ يُسَخِّرَ لَهُمْ مِنْ عِنْدِهِ مَنْ يَنْصُرُهُمْ ،وَيُنْقِذُهُمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ .[٣٩٣]

---

391 – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٣٨٣٢)

392 – السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ٣٢٣)(١٦٧٧٧) صحيح

393 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٦٨، بترقيم الشاملة آليا)

راجعوا كتابي "الأحكام الشرعية لشهداء الثورات العربية"

الثالث عشر – الشهيد حي يرزق عند ربه .

قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)} [آل عمران:١٦٩ - ١٧١]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الشُّهَدَاءِ بِأَنَّهُمْ قُتِلُوا فِي هَذِهِ الدَّارِ ، وَلَكِنَّ أَرْوَاحَهُمْ حَيَّةٌ تُرْزَقُ عِنْدَ اللهِ .

وَيَقُولُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ : عَلَيهِمْ ألاَّ يَنْخَدِعُوا بِمَا يَقُولُهُ المُنَافِقُونَ ، وَمَا يَفْعَلُونَهُ ، فَهُمْ يُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنيا عَلَى الآخِرَةِ ، لارْتِيَابِهِمْ فِي البَعْثِ وَالحِسَابِ فِي الآخِرَةِ ، فَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ رِزْقاً حَسَناً يَعْلَمُهُ هُوَ . وَيَكُونُ الشُّهَدَاءِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَرِحِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالغَبْطَةِ ، التِي مَنَّ اللهُ بِهَا عَلَيهِمْ ، مُسْتَبْشِرِينَ بِإِخْوانِهِمْ الذِينَ يُقْتَلُونَ بَعْدَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ، أَنَّهُمْ يَقْدَمُونَ عَلَيْهِمْ حِينَمَا يَسْتَشْهِدُونَ ، لاَ يَخَافُونَ مِمَّا أَمَامَهُمْ ، وَلاَ يَحْزَنُونَ عَلَى مَا تَرَكُوهُ فِي الدُّنيا .

وَهُمْ مُسْتَبْشِرُونَ مِنْ تَلَقِّيهِمْ مَا يُفِيضُهُ اللهُ عَلَيهِمْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالفَضْلِ وَالثَّوَابِ ، وَمِنْ يَقِينِهِمْ بِأنَّ اللهَ لاَ يُضَيِّعُ أجْرَ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ .[٣٩٤]

وعَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلَّا الشَّهِيدُ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى»[٣٩٥]

الرابع عشر – يستحب الفرح بموت الشهيد في سبيل الله،لأنها ميتة عز وكرامة لا ميتة ذل وندامة .

---

[394] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٦٢، بترقيم الشاملة آليا)

[395] - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٧٧)(١٦٤٣) صحيح

عَنْ قَتَادَةَ،حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِك أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ،فَقَالَتْ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ،أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ،وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ،فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ،وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ،اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ،قَالَ:«يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ،وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[٣٩٦]

الخامس عشر – الشهيد ينال أعلى درجة في الجنة .

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،قَالَ:«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ،وَأَقَامَ الصَّلاَةَ،وَصَامَ رَمَضَانَ،كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،قَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ:«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ،كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ،وَأَعْلَى الجَنَّةِ،وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ» [٣٩٧]

السادس عشر – للشهيد عند موته ستة أشياء،ومنها الشفاعة لأهله .

فعَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ،وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الجَنَّةِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الوَقَارِ،اليَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ "[٣٩٨]

وعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«إِنَّ لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ خِصَالًا،يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْقَةٍ مِنْ دَمِهِ،وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ،وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ

---

396 - صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨٠٩)

[ش (تحدثني) تخبرني.(غرب) لا يدري من رمى به.(اجتهدت) بذلت وسعي وطاقتي.(أصاب) كان نصيبه.(الفردوس الأعلى) أفضل مكان في الجنة والفردوس هو البستان الذي يجمع ما في البساتين من شجر وزهر ونبات]

397 - صحيح البخاري (٩/ ١٢٥)(٧٤٢٣)

398 - سنن الترمذي ت شاكر (٤/ ١٨٧)(١٦٦٣) صحيح

الْعِينِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ،وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ،الْيَاقُوتَةُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا،وَيُزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ»[399]

السابع عشر – بسبب مقام الشهادة العظيم عند الله تعالى فقد تمناه خير الأنبياء والمرسلين .

قَالَ أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرِو بْنِ جَرِيرٍ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ،لاَ يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي،أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،أَوْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ،وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا،ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا،ثُمَّ أُقْتَلُ»[400]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ،لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي،وَإِيمَانًا بِي،وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي،فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ،نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ،إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ،لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ،وَرِيحُهُ مِسْكٌ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا،وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ،وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً،وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»[401]

---

[399] – سنن سعيد بن منصور (٢/ ٢٥٨)(٢٥٦٢) صحيح

[400] – صحيح البخاري (١/ ١٦)(٣٦)

[(انتدب) تكفل أو سارع بثوابه وحسن جزائه.(أن أرجعه) أي إلى بلده إن لم يستشهد.(بما نال) مع ما أصاب وأعطي.(أو أدخله الجنة) بلا حساب إن استشهد.(ما قعدت خلف سرية) ما تخلفت عن سرية وهي القطعة من الجيش.(ولوددت) أحببت ورغبت]

[401] – صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٥)١٠٣ – (١٨٧٦)

[ش (تضمن الله) وفي الرواية الأخرى تكفل الله ومعناهما أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى وهذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} الآية(إلا جهادا في

الثامن عشر – يجب على المسلمين الآن مساعدة كل أهل بيت فقدوا شهيدا أو اعتقل لهم أحد من ذويهم .

فعن زَيْدَ بْنِ خَالِد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ:«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّـه فَقَدْ غَزَا،وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّه بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»[٤٠٢]

وعَنْ زَيْد بْنِ خَالد الْجُهَنِيِّ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّه فَلَـهُ مِثْـلُ أَجْرِه،وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّه فِي أَهْلِه وَأَنْفَقَ عَلَيْه فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِه"[٤٠٣]

وعَنْ أَبِي مُوسَى،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ،أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَة جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ،ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْـنَهُمْ فِـي إِنَـاءٍ وَاحِـدٍ بِالسَّوِيَّة،فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ»[٤٠٤]

سبيلي) هكذا هو في جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعده وإيمانا بي وتصديقا وهو منصوب على أن لا مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق ومعناه لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى(نائلا ما نال من أجر) قالوا معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنموا أو من الأجر والغنيمـة معـا إن غنموا وقيل إن أو هنا بمعنى الواو أي من أجر أو غنيمة ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرا بكل حال فإما أن يستشهد فيدخل الجنة وإما أن يرجع بأجر وإما أن يرجع بأجر وغنيمة(ما من كلم يكلم في سبيل الله) أما الكلم فهو الجرح ويكلم أي يجرح والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى(خلاف سرية) أي خلفها وبعدها(لا أجد سعة فأحملهم) أي ليس لي من سعة الرزق ما أجد به لهـم دواب فأحملهم عليها(ولا يجدون سعة) فيه حذف يدل عليه ما ذكر قبله أي ولا يجدون سعة يجدون بها من الدواب ما يحملهم ليتبعوني ويكونوا معي(ويشق عليهم أن يتخلفوا عني) أي ويوقعهم تأخرهم عني في المشقة يعني يصعب علـيهم ذلك]

402 – صحيح البخاري (٤/ ٢٧)(٢٨٤٣) وصحيح مسلم (٣/ ١٥٠٧)١٣٦ - (١٨٩٥)

[(جهز غازيا) هيأ له ما يحتاجه في سفره وغزوه والغزو الجهاد.(فقد غزا) كتب له أجر الغزو وإن لم يغز لأنه سـاعد عليه.(خلف غازيا) قام مقامه في قضاء حاجات أهله حال غيبته.(بخير) بإحسان وأمانة وإخلاص]

403 –» الجهاد لابن أبي عاصم (١/ ٢٨٤)(٨٩) صحيح

404 – صحيح البخاري (٣/ ١٣٨)(٢٤٨٦) وصحيح مسلم (٤/ ١٩٤٤)١٦٧ - (٢٥٠٠)

[(أرملوا) من الإرمال وهو فناء الزاد وقلة الطعام أصله من الرمل كأنهم لصقوا بالرمل من القلة.(في إنـاء واحـد) أي اقتسموه بمكيال واحد حتى لا يتميز بعضهم عن بعض.(بالسوية) متساوين.(فهم مني وأنا منهم) طـريقتي وطريقتـهم واحدة في التعاون على البر والتقوى وطاعة الله عز وجل ولذلك لا أتخلى عنهم]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا،نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ،يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا،سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...»[405]

بل حذر النبي ﷺ من التقاعس في ذلك

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا،أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ،أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» الجهاد لابن أبي عاصم (١/ ٣١١)(٩٨) ومسند الشاميين للطبراني (١/ ٤٥١)(٧٩٦) صحيح لغيره

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا،أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ أَصَابَهُ اللَّهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»الجهاد لابن أبي عاصم (١/ ٣١٢)(٩٩) صحيح لغيره

التاسع عشر – كل من فقد شهيدا في هذه الانتفاضة المباركة أو قبلها على يدي هذه العصابة المجرمة،سوف يعطى ذويه ما يكفيهم من المال وغيره حتى يستغنوا

وكذلك من كان مسجونا ظلما وعدوانا ونحوه،وهذا من واجب الدولة الإسلامية،إعطاء كل ذي حق حقه .فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ:بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺجَيْشًا،وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ،فَقَالَ:" إِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ قَبْلَ ذَلِكَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرٌ،فَإِنْ قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ "،فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ،فَقَاتَلَ،حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ،فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ،فَقَاتَلَ،وَلَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُ قُتِلَ،وَأُرَى ذَلِكَ سَقَطَ مِنَ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ،وَمِمَّنْ سِوَاهُ مِنْ رُوَاةِ هَذَا الْحَدِيثِ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،فَفَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ،فَأَتَى خَبَرُهُمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،فَخَرَجَ إِلَى النَّاسِ،فَحَمِدَ اللهَ،وَأَثْنَى عَلَيْهِ،ثُمَّ قَالَ:" إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ لَقُوا الْعَدُوَّ،وَإِنَّ زَيْدًا أَخَذَ الرَّايَةَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ بَعْدَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَاتَلَ

---

405 - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٧٤)٣٨ - (٢٦٩٩)

حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ،فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ أَوِ اسْتُشْهِدَ،ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ مِنْ بَعْدِهِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ،فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ " ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ لَمْ يَأْتِهِمْ،ثُمَّ أَتَاهُمْ،فَقَالَ:" لَا تَبْكُوا عَلَى أَخِي بَعْدَ الْيَوْمِ،ادْعُ لِي بَنِي أَخِي "،فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ،فَقَالَ:" ادْعُوا لِيَ الْحَلَّاقَ "،فَجِيءَ بِالْحَلَّاقِ،فَحَلَقَ رُءُوسَنَا،ثُمَّ قَالَ:" أَمَّا مُحَمَّدٌ فَيُشْبِهُ عَمِّي أَبَا طَالِبٍ،وَأَمَّا عَوْنٌ فَيُشْبِهُ خَلْقِي وَخُلُقِي "،ثُمَّ قَالَ:" اللهُمَّ اخْلُفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ،وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ "،ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،فَجَاءَتْ أُمُّنَا،فَذَكَرَتْ يُتْمَنَا،فَقَالَ:" الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ؟،فَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ "[406]

العشرون – كل من فقد شهيدا أو عذب له أو اعتقل وعرف الذي قتله أو عذبه،فسوف ينال جزاءه العادل في الدنيا قبل الآخرة

قال تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا} [الإسراء:٣٣]

وقال تعالى:{ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا } [النساء:٩٣]

وَإذا عَرَفَ الرَّجُلُ الإِسْلاَمَ وَشَرَائِعه،ثُمَّ قَتَلَ رَجُلاً مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً قَتْلَهُ،مُسْتَحِلاً ذَلِكَ القَتْلَ،فَجَزَاؤُهُ عِنْدَ اللهِ جَهَنَّمَ يَبْقَى مُخَلَّداً فِيهَا،وَيَلْعَنُهُ اللهُ،وَيُبْعِدُهُ مِنْ رَحْمَتِهِ،وَيَجْعَلُهُ فِي النَّارِ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ .

وَلِلْفُقَهَاءِ ثَلاَثَةُ آرَاءٍ فِي تَوْبَةِ قَاتِلِ الْمُؤْمِنِ عَمْداً:

١- ابْنُ عَبَّاسٍ وَفَرِيقٍ مِنَ السَّلَفِ - يَرَوْنَ أنَّ قَاتِلَ الْمُؤْمِنِ لاَ تَوْبَةَ لَهُ إِطْلاقاً،وَيَبْقَى فِي النَّارِ خَالِداً.وَيَسْتَنِدُونَ فِي ذَلِكَ إلى حديث أبي الدَّرْدَاءِ،قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«كُلُّ ذَنْبٍ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَهُ،إِلَّا مَنْ مَاتَ مُشْرِكًا،أَوْ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا» "[407]

406 - شرح مشكل الآثار (١٣/ ١٦٥)(٥١٦٩) صحيح

407 - صحيح ابن حبان - مخرجا (١٣/ ٣١٨)(٥٩٨٠) صحيح

وَإِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ " مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ:آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ " [٤٠٨]

وَإِلى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ:«لَوْ أَنَّ الثَّقَلَيْنِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وجُوهِهِمْ فِي النَّارِ،وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَشْتَرِكُ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ فِي قَتْلِ مُؤْمِنٍ إِلَّا كُتِبَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ،إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى الْقَاتِلِ وَالْآمِرِ» [٤٠٩]

٢- وَيَرَى فَرِيقٌ آخَرُ أَنَّ الخُلُودَ يَعْنِي المُكْثَ الطَّوِيلَ لاَ الدَّوَامَ،لِظَاهِرِ النُّصُوصِ القَاطِعَةِ عَلَى أَنَّ عُصَاةَ المُؤْمِنِينَ لاَ يَدُومُ عَذَابُهُمْ.وَمَا فِي الآيَةِ إِخْبَارٌ مِنَ اللهِ أَنَّ جَزَاءَهُ ذَلِكَ،لاَ أَنَّهُ يَجْزِيهِ بِذَلِكَ حَتْماً،كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:{ وَجَزَآءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } فَلَوْ كَانَ المُرَادُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَجْزِي كُلَّ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا لَعَارَضَهُ قَوْلُهُ جَلَّ شَأْنُهُ:{ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ } فَالمُرَادُ بِذَلِكَ أَنَّ هَذا هُوَ جَزَاؤُهُ إِنْ أَرَادَ اللهُ مُجَازَاتَهُ .

٣- وَيَرى فَرِيقٌ ثَالِثٌ أَنَّ حُكْمَ الآيَةِ يَتَعَلَّقُ بِالقَاتِلِ المُسْتَحِلِّ لِلْقَتْلِ،وَحُكْمُهُ مِمَّا لاَ شَكَّ فِيهِ .وَقَدْ فَسَّرَ عِكْرَمَةُ وَابْنُ جُرَيجٍ (مُتَعَمِّداً) ب (مُسْتَحِلاً) فِي الآيَةِ . [٤١٠]

فإن لم يعرف فحسابه عند رب العالمين يوم القيامة،قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) } [إبراهيم]

وعَنْ جَابِرٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ،فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،وَاتَّقُوا الشُّحَّ،فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ،وَحَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ،وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» [٤١١]

وعَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ قَالَ:قَالَ جُنْدُبٌ:حَدَّثَنِي فُلَانٌ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ:" يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِقَاتِلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،فَيَقُولُ:سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ قَتَلْتُهُ عَلَى مُلْكِ فُلَانٍ " قَالَ جُنْدُبٌ:فَاتَّقِهَا" [٤١٢]

---

[408] - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٧٤) حسن لغيره

[409] - حديث أبي الفضل الزهري (ص: ٤٧٩)(٤٦١) والترغيب والترهيب لقوام السنة (٣/ ١٩٠)(٢٣٣٠) حسن لغيره

[410] - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٨٦، بترقيم الشاملة آليا)

[411] - الأدب المفرد مخرجا (ص: ١٧١)(٤٨٨) صحيح

وعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ:سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ،عَنْ قَاتِلِ مُؤْمِنٍ مُتَعَمِّدًا قَالَ:" {فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ} [النساء:٩٣] الْآيَةَ ".قِيلَ لَهُ:أَرَأَيْتَ لَهُ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا،ثُمَّ اهْتَدَى؟ " قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:أَنَّى لَهُ الْهُدَى؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ قَاتِلَ مُؤْمِنٍ مُتَعَمِّدًا،يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَامِلًا رَأْسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ يَلْزَمُ صَاحِبَهُ بِالْيَدِ الْأُخْرَى،تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ فِي قُبُلِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ جَلَّ وَعَزَّ يَقُولُ:سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ نَزَلَتْ وَمَا نَسَخَهَا مِنْ آيَةٍ حَتَّى قُبِضَ نَبِيُّكُمْ ﷺ وَمَا أُنْزِلَ بَعْدَهَا مِنْ بُرْهَانٍ " [٤١٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:ثنا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ قَالَ:" فَيَكُونُ أَوَّلُ مَا يَقْضِي بَيْنَهُمْ فِي الدِّمَاءِ وَيَأْتِي كُلُّ قَتِيلٍ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،فَيَأْمُرُ كُلَّ مَنْ قُتِلَ فَيَحْمِلُ رَأْسَهُ وَتَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ لَهُ وَهُوَ أَعْلَمُ:فِيمَ قَتَلْتَهُ؟،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لَكَ.فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:صَدَقْتَ فَيَجْعَلُ اللَّهُ وَجْهَهُ مِثْلَ نُورِ الشَّمْسِ،ثُمَّ تَشَيِّعُهُ الْمَلَائِكَةُ إِلَى الْجَنَّةِ،ثُمَّ يَأْتِي كُلُّ مَنْ قَتَلَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ،يَأْتِي كُلُّ مِنْ قُتِلَ يَحْمِلُ رَأْسَهُ وَتَشْخُبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا،فَيَقُولُ:يَا رَبِّ سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟ فَيَقُولُ وَهُوَ أَعْلَمُ:لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ:يَا رَبِّ قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِي.فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:تَعِسْتَ ثُمَّ لَا تَبْقَى قَتْلَةٌ إِلَّا قُتِلَ بِهَا،وَلَا مَظْلِمَةٌ ظَلَمَهَا إِلَّا أُخِذَ بِهَا،وَكَانَ فِي مَشِيئَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ،وَإِنْ شَاءَ رَحِمَهُ "[٤١٤]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ،قَالَ:«أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا:الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ،فَقَالَ:«إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ،وَصِيَامٍ،وَزَكَاةٍ،وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا،وَقَذَفَ هَذَا،وَأَكَلَ مَالَ هَذَا،وَسَفَكَ دَمَ

---

412 - السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٤١٩)(٣٤٤٧) صحيح

413 - المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي (ص: ٢٢٧)(٦٨٠) صحيح

414 - الفوائد الشهير بالغيلانيات لأبي بكر الشافعي (٢/ ٨٠٥)(١١١١) والبعث والنشور للبيهقي (ص: ٣٣٦)(٦٠٩) فيه مبهم

هَذَا،وَضَرَبَ هَذَا،فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِه،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِه،فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ،ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[415]

ـــــــــــــــــــ

الحادي والعشرون – على كل شاب لم يتزوج أو متزوج ويستطيع التعدد أن يتزوج امرأة شهيد ويضم أولادها إليه،فله أجر عظيم عند الله تعالى

وهكذا فعل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم،فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،قَالَ:قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ:هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ:لاَ،قَالَ:«فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»[416]

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:«أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى" [417]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:«السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ»[418]

وعَنْ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو الْقُشَيْرِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ،يَقُولُ:"..مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يُغْنِيَهُ اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ "[419]

ـــــــــــــــــــ

الثاني والعشرون– لا يمكن الحصول على النصر الحقيقي دون تضحيات جسام.

فكلما ازدات التضحيات كلما كان النصر قريبا بإذن الله تعالى:

---

[415] – صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٧) ٥٩ - (٢٥٨١)

[ش (إن المفلس من أمتي) معناه أن هذا حقيقة المفلس أما من ليس له مال ومن قل ماله فالناس يسمونه مفلسا وليس هو حقيقة المفلس لأن هذا الأمر يزول وينقطع بموته وربما ينقطع بيسار يحصل له بعد ذلك في حياته وإنما حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه]

[416] – صحيح البخاري (٧/ ٣)(٥٠٦٩)

[417] – صحيح البخاري (٨/ ٩)(٦٠٠٥)

[418] – الأدب المفرد مخرجا (ص: ٥٩)(١٣١) صحيح

[419] – شعب الإيمان (١٣/ ٣٨٨)(١٠٥٢٠) حسن

قال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ } [البقرة:٢١٤]

يُخَاطِبَ اللهُ تَعَالَى الذِينَ هَدَاهُمْ إلى السِّلْمِ ،وَإِلَى الخُرُوجِ مِنْ ظُلْمَةِ الاخْتِلاَفِ ،إلى نُورِ الوِفَاقِ ،باتِّبَاعِهِمْ هُدَى الكِتَابِ زَمَنَ التَّنْزِيلِ ،الذِينَ يَظُنُّونَ مِنْهُمْ أَنَّ انْتِسَابَهُمْ إلى الإِسْلاَمِ فيه الكِفَايَةُ لِدُخُولِ الجَنَّةِ دُونَ أَنْ يَتَحَمَّلُوا الشَّدَائِدَ وَالأَذَى فِي سَبِيلِ الحَقِّ ،وَهِدَايَةِ الخَلْقِ ،جَهْلاً مِنْهُمْ بِسُنَّةِ اللهِ تَعَالَى فِي أَهْلِ الهُدَى مُنْذُ أَنْ خَلَقَهُمْ . فَيَقُولُ لَهُمْ :هَلْ تَحْسَبُونَ أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ تُبْتَلَوا وَتُخْتَبَرُوا كَمَا فُعِلَ بالذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الأُمَمِ الذِينَ ابْتُلُوا بِالفَقْرِ (البَأْسَاءُ) ،وَبالأَسْقَامِ وَالأَمْرَاضِ (الضَّرَّاءُ) ،وَخُوِّفُوا وَهُدِّدُوا مِنَ الأَعْدَاءِ (زُلْزِلُوا) ،وَامتُحِنُوا امْتِحَاناً عَظِيماً ،وَاشْتَدَّت الأُمُورُ بِهِمْ حَتَّى تَسَاءَلَ الرَّسُولُ وَالمُؤْمِنُونَ قَائِلِينَ :مَتَى يَأْتِي نَصْرُ اللهِ .وَحِينَما تَثْبُتُ القُلُوبُ عَلَى مِثْلِ هذه المِحَنِ المُزَلْزِلَةِ ،حِينَئِذٍ تَتِمُّ كَلِمَةُ اللهِ ،وَيَجِيءُ نَصْرُهُ الذِي يَدَّخِرُهُ لِمَنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنْ عِبَادِهِ الذِينَ يَسْتَيْقِنُونَ أَنْ لاَ نَصْرَ إلاَّ نَصْرُ اللهِ .[٤٢٠]

وقال تعالى:{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران:١٤٢]

وَلاَ تَحْسَبُوا أَنَّكُمْ تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ قَبْلَ أَنْ يَخْتَبِرَكُمُ اللهُ تَعَالَى وَيُمَحِّصَكُمْ فِي الشَّدَائِدِ وَالجِهَادِ لِيَرَى صِدْقَ إيمَانِكُمْ ،وَيَرَى مَنْ يَسْتَجِيبُ للهِ ،وَيُخْلِصُ فِي طَاعَتِهِ ،وَقِتَالِ أَعْدَائِهِ ،وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الحُرُوبِ .[٤٢١]

وقال تعالى:{ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٤) مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ

---

[420] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٢١، بترقيم الشاملة آليا)

[421] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٥، بترقيم الشاملة آليا)

وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٥) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٦) } [العنكبوت:٢ - ٦]

هَلْ ظَنَّ النَّاسُ أنْ نَتْرَكَهُمْ وشَأْنَهُمْ بِمُجَرَّدِ نُطْقِهِمْ بالشَّهادَتَيْنِ ،وَقَوْلِهِمْ آمنَّا باللهِ وَرَسُولِهِ ،دُونَ أَنْ يَبْتَلِيَهُم اللهُ ،ويَخْتَبِرَ صِدْقَ إِيمَانِهِمْ :بالهجْرَةِ ،والتَّكَاليفِ الدِّيْنِيةِ الأُخرى ،والجِهَادِ ،والمَصَائِبِ؟ كلاّ ،فإنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا بُدَّ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ المُؤْمِنينَ ،بِحَسَبِ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ إِيمانٍ .

وَلَقَدِ امتَحَنَ اللهُ المُؤمنينَ السَّالفينَ ،وَعَرَّضَهُمْ للفِتْنَةِ والاخْتِبَارِ ،وغَايَتُهُ سُبحَانَهُ وَتَعالى مِنْ هذا الابتلاءِ والاختِبارِ هيَ أَنْ يُمَحِّصَهُم فَيَعْلَمَ الذينَ صَدَقُوا في دَعوى الإيمانِ ،ممَّنْ هُمْ كاذبون في دَعواهُم ،وليُجَازِيَ كُلاً بمَا يَسْتَحقُّهُ .[422]

وقال تعالى:{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) } [آل عمران:١٤٦ - ١٤٨]

فِي هَذِهِ الآيَةِ يُسَلِّي اللهُ تَعَالَى المُؤْمِنينَ عَمَّا وَقَعَ فِي نُفُوسِهِمْ يَوْمَ أحُدٍ ،فَقَالَ لَهُمْ :كَمْ مِنْ نَبيٍّ قُتِلَ وَهُوَ يُقَاتِلُ ،وَكَانَ مَعَه جَمَاعَات كَثِيرَةٌ (رِبِّيُّونَ) مِمَّنْ آمَنُوا بِهِ ،وَاعْتَقَدُوا أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ ،فَمَا وَهنُوا ،وَمَا ضَعُفُوا بَعْدَ قَتْلِ النَّبيِّ ،وَمَا اسْتَكَانُوا ،وَمَا استَذَلُّوا لِمَا أصَابَهُمْ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ ،وَفِي سَبِيلِ إعْلاَءِ دِينِهِ ،وَإنَّمَا صَبَرُوا عَلَى قِتَالِ الأَعْدَاءِ ،وَلَمْ يَهْرُبُوا مُوَلِّينَ الأَدْبَارَ ،لأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ فِي سَبِيلِ نَبِيِّهِمْ ،فَعَلَيْكُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ أنْ تَعْتَبِرُوا بِأولَئِكَ الرِّبِّيِّينَ ،وَتَصْبِرُوا كَمَا صَبَرُوا فَإِنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ ،وَسُنَّتَهُ فِي خَلْقِهِ وَاحِدَةٌ .

فَاحْتَسَبَ هَؤُلاءِ المُؤْمِنُونَ (الرِّبِّيُّونَ) اللهَ عِنْدَ اشْتِدَادِ الخَطْبِ،وَهُمْ يُقَاتِلُونَ أَعْدَاءَهُمْ ،وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ قَوْلٍ عِنْدَ نُزُولِ الكَوَارِثِ إلاَ الدُّعَاءُ إِلَى اللهِ أنْ يَغْفِرَ لَهُمْ بِجِهَادِهِمْ مَا

422 - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٣٢٢٤، بترقيم الشاملة آليا)

كَانُوا أَلَمُّوا بِهِ مِنْ ذُنُوبٍ،وَتَجَاوُزَوا فِيهِ حُدُودَ الشَّرائعِ،وَأن يُثَبِّتَ أَقْدَامَهُمْ عَلَى الصِّـــرَاطِ القَوِيمِ ،حَتَّى لا تُزَحْزِحَهُم الفِتَنُ،وَلاَ يَعْرُوهُمُ الفَشَلُ حِينَ مُقَابَلَة الأعْدَاءِ فِي سَاحَةِ الحَرْبِ. فَآتَاهُمُ اللهُ النَّصْرَ وَالظَّفَرَ عَلَى الأَعْدَاءِ ،وَهُمَا ثَوَابُ الدُّنْيا ،وَجَمَعَ لَهُمْ ،إلَى ذَلِكَ الظَّفَـــرِ ،حُسْنَ ثَوابِ الآخِرَةِ ،وَهُوَ الفَوْزُ بِرُضْوَانِ اللهِ وَرَحْمَتِهِ ،وَاللهُ يُحِبُّ الذِينَ يُحْسِنُونَ العَمَلَ ،لأَنَّهُمْ يُقِيمُونَ سُنَّتَهُ فِي أَرْضِهِ ،وَيُظْهِرُونَ بِأَنْفُسِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ أَنَّهُمْ جَدِيرُونَ بِخِلاَفَـــةِ اللهِ فِيهَا .[423]

لذا أرجو الله تعالى أن ينفعكن بهذه الكلمات الطيبة،وأن يجعلكن خير قدوة للأجيـــال القادمة

في ١١ جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـــ الموافق ل ١٤/٥/٢٠١١م

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

423 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٩، بترقيم الشاملة آليا)

المبحث الثاني عشر
رسالة عزاء ووفاء وفخر لكل من قدم شهيدا أو جريحاً أو أسيراً

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين،وعلى آله وصحبه أجمعين،ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أيها الأحبة الكرام:

لقد جاءت هذه الثورة المباركة على قدر من الله تعالى،كما قال عن موسى عليه السلام:{ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى} [طه:٤٠]

هذه الثورة المباركة تؤرخ لتاريخ جديد ينبغي أن يكتب بماء الذهب

فمن كان يصدِّق أن الجيل الذي ولد وتربَّى في ظل البعث الملحد وأكاذيب النظام الطاغوتي الأسدي سوف يخرج منه من يقول للطاغية الصنم:الشعب يريد إعدام الرئيس ؟؟؟!!!!

لقد كان الناس يعيشون في ظل الإرهاب والبطش والخوف والرعب الذي يجعل المرء يخاف من أقرب الناس إليه ...

أذكر مرة كنت أخطب الجمعة بأحد المساجد وكانت المناسبة عن حرب تشرين التحريرية كما يزعمون ..عام ١٩٨٨

وكان من عادتي أنني لا أحضر لخطبة الجمعة لكوني مواظب على طلب العلم قراءة وسماعاً وتدريساً .

كنت راكبا في باص أريد الذهاب لخطبة الجمعة فإذا بالحديث الديني الصباحي يتكلم أحد المنافقين عن حرب تشرين التحريرية وما قدمه الأسد فيها بطل التشارين ... فلو كان جنبي ذاك المنافق لسحبت لسانه على هذا الكذب فاستثار حفيظتي وقلت في نفسي:سوف

أخطب عن هذا الموضوع بالذات حيث كنت لا ألتزم بخطب الأوقاف أصلاً ... المهم أعطيت درسا قبل الجمعة وأنا في غاية الغضب والتوفز وصعدت المنبر وتكلمت عن حرب العاشر من رمضان وبينت أننا لم نحرر شيئا فيها وأن الذي استفاد منها هم اليهود فقط وتكلمت بكلام شديد اللهجة على النظام الأسدي حتى ظن الحاضرون أن الأسد سوف يقصف المسجد بمن فيه ولكن الله سلم ....

أيها الأحبة الكرام:

لا يمكن للمرء أن يحصل على شيء من حقوقه دون ثمن باهظ يدفعه،وهذا أمر طبيعي فهو من السنن الكونية في الحياة ....

فلا بد من الابتلاء والامتحان حتى ينال المرء ما يريد .. قال تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة:٢١٤]

وقال تعالى :{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [البقرة]

وعَنْ صُهَيْبٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ،إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ،وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ،فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ،صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»[٤٢٤]

وبما أنكم قد قررتم التخلص من هذا النظام الفرعوني فسوف ينصركم الله تعالى عليه وعلى جنده كما قال تعالى:{ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (٦)} [القصص]

---

[424] - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٩٥)٦٤ - (٢٩٩٩)

فوالله إن نصر الله آت بمنه وكرمه قريبا فلا تيأسوا من رحمة الله أبدا،قال تعالى:{ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ } [يوسف:١١٠]

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ،قَالَ:شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقُلْنَا:أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ:«قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ،يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ،فَيُجْعَلُ فِيهَا،فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ،وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ،مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ،فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ،حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ،لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ،وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ،وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[٤٢٥]

الرسالة الأولى

لكل من فقد شهيدا رجلا أو امرأة أو طفلا

أقول لهم:

عظم الله أجركم وخلفكم خيرا مما فقدتم،فإن هذا الشهيد هو حي يرزق عند الله تعالى،قال تعالى:{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)} [آل عمران:١٦٩ - ١٧١]

ويكفيهم فخرا أيضا ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ،وَأَقَامَ الصَّلاَةَ،وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»،فَقَالُوا:يَا رَسُولَ اللَّهِ،أَفَلاَ

---

[425] - صحيح البخاري (٩/ ٢٠)(٦٩٤٣)

[ش (متوسد بردة) جعلها وسادة له. (تستنصر) تطلب النصرة من الله تعالى. (ليتمن) من الإتمام والكمال. (هذا الأمر) وهو الإسلام. (تستعجلون) النتائج والثمرات]

نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ:«إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ،أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ،فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ،فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ،فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ،وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ»[٤٢٦]

ويكفيه ما جاء عن عَنْ قَتَادَةَ،حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ (ﷺ)،فَقَالَتْ:يَا نَبِيَّ اللَّهِ،أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ،وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ،فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ،وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ،اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ،قَالَ:«يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ،وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى»[٤٢٧]

واسمعوا ماذا أعد له أيضا ما جاء عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ،عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:" لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ:يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ،وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ،وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ،وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ،وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ،وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ،وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ "[٤٢٨]

ولذلك كوني أختي الفاضلة صابرة محتسبة عند الله لتنالي السعادة في الدارين،قال تعالى:{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)} [البقرة]

---

426 - صحيح البخاري (٤/ ١٦)(٢٧٩٠)

[ش (الفردوس) هو البستان الذي يجمع ما في البساتين كلها من شجر وزهر ونبات. (أوسط الجنة) أفضلها وخيرها. (أراه) أظنه وهذا من كلام يحيى بن صالح شيخ البخاري أي أظنه قال (فوقه. .) (تفجر) تنشق]

427 - صحيح البخاري (٤/ ٢٠)(٢٨٠٩)

[ش (تحدثني) تخبرني. (غرب) لا يدري من رمى به. (اجتهدت) بذلت وسعي وطاقتي. (أصاب) كان نصيبه. (الفردوس الأعلى) أفضل مكان في الجنة والفردوس هو البستان الذي يجمع ما في البساتين من شجر وزهر ونبات]

428 - سنن ابن ماجه (٢/ ٩٣٥)(٢٧٩٩) صحيح

(ستة خصال) المذكورات سبع. إلا أن يجعل الإجازة والأمن من الفزع واحدة (دفعة) الدفعة بالضم ما دفع من إناء أو سقاء فانصب بمرة. وكذلك الدفعة من المطر. يقال داء القوم دفعة واحدة إذا دخلوا بمرة واحدة. (حلة الإيمان) غضافة الحلة إلى الإيمان بمعنى أنها مسببة عنه.

وعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ،أَنَّهَا قَالَتْ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ)،يَقُولُ:" مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ،فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ:{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة:١٥٦]،اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي،وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا،إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "،قَالَتْ:فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ،قُلْتُ:أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ (ﷺ)،ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا،فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ (ﷺ)،..»[٤٢٩]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:دَخَلْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) عَلَى أَبِي سَيْفٍ القَيْنِ،وَكَانَ ظِئْرًا لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ،فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِبْرَاهِيمَ،فَقَبَّلَهُ،وَشَمَّهُ،ثُمَّ دَخَلْنَا عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ،فَجَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) تَذْرِفَانِ،فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ:«يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ»،ثُمَّ أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى،فَقَالَ (ﷺ):«إِنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ،وَالقَلْبَ يَحْزَنُ،وَلاَ نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا،وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ» [٤٣٠]

---

429 - صحيح مسلم (٢/ ٦٣١)٣ - (٩١٨)

[ش (ما أمره الله) أي في ضمن مدح الصابرين بقوله في سورة البقرة {الذين إذا أصابتهم مصيبة} الخ فإن كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن الأمر بها كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها (اللهم أجرني) كذا بهمزة واحدة وهو أمر من أجره الله إذا أصابه فهمزة الوصل المجلوبة لصيغة الأمر أسقطت كما أسقطت في نحو فأتنا كراهة توالي المثلين وبابه نصر وضرب فيجوز في الجيم الضم والكسر والأول أكثر قال النووي قال القاضي يقال أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته (وأخلف لي) هو بقطع الهمزة وكسر اللام قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب مالا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لاجد له ولا والد له قيل له خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه عليك (أي المسلمين خير من أبي سلمة) استعظام منها لشأن زوجها وتعجب من أن يكن لها خلف خير منه (أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أي هو أول أهل بيت هاجر مع عياله فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم المدينة وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وابن عمته (وأنا غيور) هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة تكون للرجل على امرأته ولها عليه يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعولا يشترك فيه الذكر والأنثى قال النووي يقال امرأة غيرى وغيور ورجل غيور وغيران وقد جاء فعول في صفات المؤنث كثيرا كقولهم امرأة عروس وعروب وضحوك لكثيرة الضحك وعقبة كؤود وأرض صعود وهبوط وحدور وأشباهها (يذهب بالغيرة) يقال أذهب الله الشيء وذهب به كقوله تعالى ذهب الله بنورهم]

430 - صحيح البخاري (٢/ ٨٣)(١٣٠٣) وصحيح مسلم (٤/ ١٨٠٧)٦٢ - (٢٣١٥)

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ:مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرٍ،فَقَالَ:«اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ:إِلَيْكَ عَنِّي،فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبْ بِمُصِيبَتِي،وَلَمْ تَعْرِفْهُ،فَقِيلَ لَهَا:إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ،فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ،فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ،فَقَالَتْ:لَمْ أَعْرِفْكَ،فَقَالَ:«إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى»[٤٣١]

وعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" أَنَا وَامْرَأَةٌ سَفْعَاءُ الْخَدَّيْنِ كَهَاتَيْنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " وَجَمَعَ بَيْنَ أُصْبُعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى " امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ آمَتْ مِنْ زَوْجِهَا،حَبَسَتْ نَفْسَهَا عَلَى أَيْتَامِهَا حَتَّى بَانُوا أَوْ مَاتُوا "[٤٣٢]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ،كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،أَوِ القَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ»[٤٣٣]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى[٤٣٤]

-[ش(ظئرا) زوج مرضعته وهي خولة بنت المنذر الأنصارية النجارية. (تذرفان) يجري دمعهما. (وأنت) تفعل كما يفعل الناس عند المصائب. (بأخرى) أتبع الدمعة بأخرى أو بالكلمة التي قالها بأخرى]

431 - صحيح البخاري (٢/ ٧٩)(١٢٨٣) وصحيح مسلم (٢/ ٦٣٧)١٤ - (٩٢٦)

[ش (إليك عني) اسم فعل بمعنى تنح وابعد. (إنما الصبر) الكامل الأجر والثواب. (الصدمة الأولى) أول وقوع المصيبة الذي يصدم القلب فجأة وأصلها من الصدم وهو الضرب في الشيء الصلب]

432 - مسند أحمد ط الرسالة (٣٩/ ٤٣٢)(٢٤٠٠٦) حسن لغيره

قال السندي: قوله: "سفعاء الخدّين" أي: متغيرة لونها بسبب خدمة الأيتام.=وقوله: "آمت من زوجها" أي: فَقَدت زوجها.

433 - صحيح البخاري (٧/ ٦٢)(٥٣٥٣) وصحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٦)٤١ - (٢٩٨٢)

[ش(الساعي) الذي يسعى ليحصل ما ينفقه على من ذكر. (الأرملة) التي مات عنها زوجها غنية كانت أم فقيرة. (المسكين) الذي ليس له من المال ما يسد حاجته. (كالمجاهد) له أجر كأجر المجاهد أو القائم الصائم]

434 - صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٧)٤٢ - (٢٩٨٣) [ش (كافل اليتيم) القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية (له أو لغيره) فالذي له أن يكون قريبا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجنبيا]

وعَنْ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ:«مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ،وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَتْ فِكَاكَهُ مِنَ النَّارِ يَفْرِي كُلُّ عُضْوٌ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ»[435]

الرسالة الثانية

لكل جريح

أخي الجريح:

لك أجر كبير عند الله تعالى ...قال تعالى:{ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١٢٠) وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢١)} [التوبة]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ):«تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ،لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادًا فِي سَبِيلِي،وَإِيمَانًا بِي،وَتَصْدِيقًا بِرُسُلِي،فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ،أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ،نَائِلًا مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ،إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ حِينَ كُلِمَ،لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ،وَرِيحُهُ مِسْكٌ،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا،وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ،وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً،وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي،وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ،لَوَدِدْتُ أَنِّي أَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ،ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»[436]

---

[435] - المعجم الكبير للطبراني (١٩/ ٣٠٠)(٦٧٠) حسن

[436] - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٥)(١٠٣ - (١٨٧٦)

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لقَتْلَى أُحُد:«زَمِّلُــوهُمْ بدمَائِهِمْ،فَإِنَّــهُ لَيْسَ كَلْمٌ يُكْلَمُ فِي اللَّهِ إِلَّا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى،لَوْنُهُ لَوْنُ الدَّمِ،وَرِيحُهُ رِيحُ الْمِسْكِ»[٤٣٧]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَكُونُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ طُعِنَتْ تَتَفَجَّرُ دَمًا،اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالْعَرْفُ عَرْفُ الْمِسْكِ» [٤٣٨]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:«كُلُّ كَلْمٍ يُكْلَمُهُ الْمُسْلِمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،يَكُونُ يَــوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهَا،إِذْ طُعِنَتْ،تَفَجَّرُ دَمًا،اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالعَرْفُ عَرْفُ المِسْكِ»[٤٣٩]

وعَنْ جُنْدُبٍ،قَالَ:كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ (ﷺ) فِي غَارٍ،فَنُكِبَتْ إِصْبَعُهُ فَقَالَ:«هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْــبَعٌ دَمِيتِ،وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ» [٤٤٠]

وعَنْ جُنْدَبِ بْنِ سُفْيَانَ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ فِي بَعْــضِ الْمَشَــاهِدِ وَقَــدْ دَمِيَــتْ إِصْبَعُهُ،فَقَالَ:«هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ،وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ»[٤٤١]

[ش (تضمن الله) وفي الرواية الأخرى تكفل الله ومعناهما أوجب الله تعالى له الجنة بفضله وكرمه سبحانه وتعالى وهــذا الضمان والكفالة موافق لقوله تعالى {إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة} الآيــة(إلا جهــادا في سبيلي) هكذا هو في جميع النسخ جهادا بالنصب وكذا قال بعده وإيمانا بي وتصديقا وهو منصوب على أن لا مفعول له وتقديره لا يخرجه المخرج ويحركه المحرك إلا للجهاد والإيمان والتصديق ومعناه لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى(نائلا ما نال من أجر) قالوا معناه ما حصل له من الأجر بلا غنيمة إن لم يغنموا أو من الأجر والغنيمــة معــا إن غنموا وقيل إن أو هنا بمعنى الواو أي من أجر أو غنيمة ومعنى الحديث أن الله تعالى ضمن أن الخارج للجهاد ينال خيرا بكل حال فإما أن يستشهد فيدخل الجنة وإما أن يرجع بأجر وإما أن يرجع بأجر وغنيمة(ما من كلم يكلم في سبيل الله) أما الكلم فهو الجرح ويكلم أي يجرح والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى(خلاف سرية) أي خلفها وبعدها(لا أجد سعة فأحملهم) أي ليس لي من سعة الرزق ما أجد به لهــم دواب فأحملهم عليها(ولا يجدون سعة) فيه حذف يدل عليه ما ذكر قبله أي ولا يجدون سعة يجدون بها من الدواب ما يحملهم ليتبعوني ويكونوا معي(ويشق عليهم أن يتخلفوا عني) أي ويوقعهم تأخرهم عني في المشقة يعني يصعب علــيهم ذلك]

437 - سنن النسائي (٤/ ٧٨) (٢٠٠٢) صحيح

438 - صحيح البخاري (١/ ٥٧)(٢٣٧) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٩٧)١٠٦ - (١٨٧٦)

٢٣٥ (٩٣/١) -[ش(كلم) جرح. (كهيئتها إذ طعنت) على حالتها حين جرحت في الدنيا. (تفجر) يسيل منها بكثرة. (العرف) الرائحة الطيبة]

439 - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٧)(١٧٩) صحيح

440 - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٤٨٨) (١٨٠) صحيح

441 - صحيح البخاري (٤/ ١٨)(٢٨٠٢) وصحيح مسلم (٣/ ١٤٢١)١١٢ - (١٧٩٦)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:" مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا بَعَثَهُ اللَّهُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا:اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ " [442]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)،قَالَ:«لَا يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ،وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ،إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ،اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ،وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ» [443]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) قَالَ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ،وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ» [444]

وعَنْ مَالِكِ بْنِ يَخَامِرَ السَّكْسَكِيِّ،أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«مَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ،جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِيحُهُ كَرِيحِ الْمِسْكِ،لَوْنُهُ لَوْنَ الزَّعْفَرَانِ،عَلَيْهِ طَابَعُ الشُّهَدَاءِ،وَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ الشَّهَادَةَ مُخْلِصًا،أَعْطَاهُ اللَّهُ أَجْرَ شَهِيدٍ،وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ» [445]

الرسالة الثالثة

لكل أسير عند النظام الإجرامي الأسدي

أيها الأحبة الكرام:

إن كل ما يصيبكم في الله لكم أجر كبير وثواب عظيم عليه عند الله تعالى،ولقد أسر وسجن من هو خير منكم فاصبروا واحتسبوا فالله معكم

[ش (المشاهد) المغازي. (دميت) جرحت وظهر منها الدم]

442 - الجهاد لابن أبي عاصم (٢/ ٤٧٢)(١٧٥) صحيح

443 - صحيح مسلم (٣/ ١٤٩٦)(١٠٥ - (١٨٧٦)

[ش (يثعب) أي يجري متفجرا أي كثيرا وهو بمعنى الرواية الأخرى يتفجر]

444 - صحيح البخاري (٤/ ١٩)(٢٨٠٣)

445 - صحيح ابن حبان - مخرجا (٧/ ٤٦٤)(٣١٩١) صحيح

فعَنِ الزُّهْرِيِّ،قَالَ:أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ،أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،زَوْجَ النَّبِيِّ (ﷺ)،قَالَتْ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):«مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ،حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا»[446]

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ،وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ:عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ) قَالَ:«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ،مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ،وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ،حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا،إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[447]

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا،قَالَتْ:" مَرَّ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ عَلَى بِلَالٍ وَهُوَ يُعَذَّبُ بِرَمْضَاءِ مَكَّةَ يَقُولُ:أَحَدٌ أَحَدٌ.فَقَالَ وَرَقَةُ:أَحَدٌ أَحَدٌ وَاللَّهِ يَا بِلَالُ.ثُمَّ نَهَاهُمْ عَنْهُ،فَقَالَ:وَاللَّهِ لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ لَأَتَّخِذَنَّ قِنْوَهُ حَنَانًا،فَسَّرَهُ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ كَأَنَّهُ يَقُولُ:لَأَتَمَسَّحَنَّ بِهِ"[448]

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ:" إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ إِسْلَامَهُ سَبْعَةٌ:رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ،وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَنَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْمِهِ،وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ،فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ وَأَوْقَفُوهُمْ فِي الشَّمْسِ،فَمَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ آتَاهُمْ كُلَّمَا أَرَادُوا غَيْرَ بِلَالٍ،فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَعْطُوهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ وَجَعَلَ يَقُولُ:أَحَدٌ أَحَدٌ »[449]

وعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ،قَالَ:" لَقِيتُ رَسُولَ اللهِ (ﷺ) بِالْبَطْحَاءِ ، فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَمَرَّ بِعَمَّارٍ ، وَأَبِي عَمَّارٍ ، وَأُمِّ عَمَّارٍ ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ:" صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ،فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ "[450]

---

[446] - صحيح البخاري (٧/ ١١٤)(٥٦٤٠)

-[ش(كفر الله بها عنه) محي بسببها من ذنوبه(يشاكها) يصاب بها جسده]

[447] - صحيح البخاري (٧/ ١١٤)(٥٦٤١)

[ش(نصب) تعب(وصب) مرض(هم) كره لما يتوقعه من سوء(حزن) أسى على ما حصل له من مكروه في الماضي(أذى) من تعدي غيره عليه(غم) ما يضيق القلب والنفس(خطاياه) ذنوبه]

[448] - أمالي ابن بشران - الجزء الثاني (ص:١٨٠) (١٣٠١) صحيح

[449] - المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٣٢٠) (٥٢٣٨) صحيح

[450] - معرفة الصحابة لأبي نعيم (٥/ ٢٨١٢)(٦٦٦٢) صحيح

وعَنْ عَائشَةَ زَوْجِ النَّبيِّ (ﷺ) قَالَتْ:لَمَّا اجْتَمَعَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّـهِ (ﷺ) فَكَـانُوا ثَمَانيَةً وَثَلَاثينَ رَجُلًا ، أَلَحَّ أَبُو بَكْرٍ رَضيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) في الظُّهُـورِ ، فَقَالَ:«يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّا قَليلٌ» ، فَلَمْ يَزَلْ أَبُو بَكْرٍ يُلحُّ عَلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) حَتَّى ظَهَـرَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) وَتَفَرَّقَ الْمُسْلمُونَ في نَوَاحي الْمَسْجد ، كُلُّ رَجُلٍ في عَشيرَته ، وَقَامَ أَبُو بَكْرٍ في النَّاسِ خَطيبًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ) جَالسًا ، فَكَانَ أَوَّلَ خَطيبٍ دَعَا إِلَى اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُوله (ﷺ) ، وَثَارَ الْمُشْركُونَ عَلَى أَبي بَكْرٍ وَعَلَـى الْمُسْـلمينَ فَضُرِبُوا في نَوَاحي الْمَسْجد ضَرْبًا شَديدًا ، وَوُطيَ أَبُو بَكْرٍ وَضُربَ ضَرْبًا شَديدًا ، فَـدَنَا منْهُ الْفَاسقُ عُتْبَةُ بْنُ رَبيعَةَ فَجَعَلَ يَضْربُهُ بنَعْلَيْنِ مَخْصُوفَيْنِ وَيُحَرِّفُهُمَا لوَجْهه وَنَزَى عَلَـى بَطْنِ أَبي بَكْرٍ حَتَّى مَا يُعْرَفُ وَجْهُهُ منْ أَنْفه ، وَجَاءَتْ بَنُـو تَـيْمٍ يَتَعَـادَوْنَ وَأَجْلَـتِ الْمُشْركينَ عَنْ أَبي بَكْرٍ ، وَحَمَلَتْ بَنُو تَيْمٍ أَبَا بَكْرٍ في ثَوْبٍ حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَنْزلَـهُ ، وَلَـا يَشُكُّونَ في مَوْته ، ثُمَّ رَجَعَتْ بَنُو تَيْمٍ فَدَخَلُوا الْمَسْجدَ وَقَالُوا:وَاللَّه لَئنْ مَاتَ أَبُـو بَكْـرٍ لَنَقْتُلَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبيعَةَ ، فَرَجَعُوا إِلَى أَبي بَكْرٍ فَجَعَلَ أَبُو قُحَافَةَ وَبَنُو تَيْمٍ يُكَلِّمُونَ أَبَا بَكْـرٍ حَتَّى أَجَابَ ، فَتَكَلَّمَ آخرَ النَّهَارِ فَقَالَ:مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ)؟ فَمَسُّوا منْهُ بأَلْسـنَتهمْ وَعَذَلُوهُ ، ثُمَّ قَامُوا وَقَالُوا لأُمِّه أُمِّ الْخَيْرِ بنْت صَخْرٍ:انْظُري أَنْ تُطْعميه شَيْئًا ، أَوْ تَسْقيه إِيَّاهُ ، فَلَمَّا خَلَتْ به أَلَحَّتْ عَلَيْه ، وَجَعَلَ يَقُولُ:مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ)؟ فَقَالَتْ:وَاللَّه مَا لي علْمٌ بصَاحبكَ ، فَقَالَ:اذْهَبي إِلَى أُمِّ جَميلٍ بنْت الْخَطَّاب فَسَليهَا عَنْهُ ، فَخَرَجَتْ حَتَّـى جَاءَتْ أُمَّ جَميلٍ فَقَالَتْ:إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكَ عَنْ مُحَمَّد بْن عَبْد اللَّه ، فَقَالَتْ:مَا أَعْرفُ أَبَا بَكْرٍ وَلَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْد اللَّه ، فَإِنْ تُحبِّينَ أَنْ أَمْضيَ مَعَك إِلَى ابْنك؟ قَالَتْ:نَعَمْ فَمَضَـتْ مَعَهَا حَتَّى وَجَدَتْ أَبَا بَكْرٍ صَريعًا دَنفًا ، فَدَنَتْ أُمُّ جَميلٍ وَأَعْلَنَتْ بالصِّيَاحِ وَقَالَتْ:وَاللَّـه إِنَّ قَوْمًا نَالُوا هَذَا منْكَ لَأَهْلُ فسْقٍ وَكُفْرٍ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَنْتَقمَ اللَّهُ لَكَ منْهُمْ ، قَالَ:فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّه (ﷺ)؟ قَالَتْ:هَذه أُمُّكَ تَسْمَعُ ، قَالَ:فَلَا شَيْءَ عَلَيْك فيهَا ، قَالَتْ:سَالمٌ صَالحٌ ، قَالَ:فَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَتْ:في دَارِ أَبي الْأَرْقَمِ ، قَالَ:فَإِنَّ للَّه عَلَيَّ أَنْ لَا أَذُوقَ طَعَامًـا أَوْ شَرَابًا أَوْ آتيَ رَسُولَ اللَّه (ﷺ) ، فَأَمْهَلَتَا حَتَّى إِذَا هَدَأَت الرِّجْلُ وَسَكَنَ النَّاسُ ، خَرَجَتَا به يَتَّكي عَلَيْهمَا حَتَّى أَدْخَلَتَاهُ عَلَى رَسُولِ اللَّه (ﷺ) ، قَالَ:وَأَكَبَّ عَلَيْه رَسُـولُ اللَّـه

فَقَبَّلَهُ،وَأَكَبَّ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَرَقَّ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) رِقَّةً شَدِيدَةً ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ:بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَيْسَ مِنْ بَأْسٍ إِلَّا مَا نَالَ الْفَاسِقُ مِنْ وَجْهِي ، وَهَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَلَدِهَا ، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ ، فَادْعُهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَادْعُ اللَّهَ لَهَا؛ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَسْتَنْقِذَهَا بِكَ مِنَ النَّارِ ، قَالَ:فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ، ثُمَّ دَعَاهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَسْلَمَتْ ، فَقَامُوا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي الدَّارِ شَهْرًا وَهُمْ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلًا ، وَقَدْ كَانَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَسْلَمَ يَوْمَ ضُرِبَ أَبُو بَكْرٍ ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَلِأَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ ، وَأَصْبَحَ عُمَرُ ، وَكَانَتِ الدَّعْوَةُ يَوْمَ الْأَرْبِعَاءِ ، فَأَسْلَمَ عُمَرُ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَأَهْلُ الْبَيْتِ تَكْبِيرَةً سُمِعَتْ بِأَعْلَى مَكَّةَ ، وَخَرَجَ ابْنُ الْأَرْقَمِ وَهُوَ أَعْمَى كَافِرٌ وَهُوَ يَقُولُ:اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِبَنِي عُبَيْدٍ الْأَرْقَمِ؛ فَإِنَّهُ كَفَرَ ، فَقَامَ عُمَرُ فَقَالَ:يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَلَى مَا نُخْفِي دِينَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْحَقِّ ، وَيَظْهَرُ دِينُهُمْ وَهُمْ عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ:«يَا عُمَرُ ، إِنَّا قَلِيلٌ؛ فَإِنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ مَا لَقِينَا» ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَا يَبْقَى مَجْلِسٌ جَلَسْتُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ ، ثُمَّ خَرَجَ فَطَافَ بِالْبَيْتِ ثُمَّ مَرَّ بِقُرَيْشٍ وَهِيَ تَنْتَظِرُهُ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ لِعُمَرَ:أَرَى أَنَّكَ صَبَوْتَ ، فَقَالَ عُمَرُ:أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَوَثَبَ الْمُشْرِكُونَ إِلَيْهِ ، وَوَثَبَ عَلَى عُتْبَةَ فَبَرَكَ عَلَيْهِ فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ وَأَدْخَلَ إِصْبَعَيْهِ فِي عَيْنَيْهِ ، فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيحُ ، فَتَنَحَّى النَّاسُ ، فَقَامَ عُمَرُ فَجَعَلَ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا أَخَذَ بِشَرِيفٍ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ حَتَّى أَعْجَزَ النَّاسَ ، وَاتَّبَعَ الْمَجَالِسَ الَّتِي كَانَ يُجَالِسُ فِيهَا فَيُظْهِرُ الْإِيمَانَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ) وَهُوَ ظَاهِرٌ عَلَيْهِمْ فَقَالَ:مَا عَلَيْكَ بِأَبِي وَأُمِّي ، وَاللَّهِ مَا بَقِيَ مَجْلِسٌ كُنْتُ أَجْلِسُ فِيهِ بِالْكُفْرِ إِلَّا أَظْهَرْتُ فِيهِ الْإِيمَانَ غَيْرَ هَايِبٍ وَلَا خَائِفٍ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) وَخَرَجَ عُمَرُ أَمَامَهُ وَحَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى طَافَ بِالْبَيْتِ وَصَلَّى الظُّهْرَ مُعْلِنًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ وَمَعَهُ عُمَرُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ عُمَرُ وَحْدَهُ وَصَلَّى ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)"[٤٥١]

[451] – من حديث خيثمة بن سليمان (ص:١٢٦) حسن

إن هذا الحدث العظيم في طياته دروس وعبر لكل مسلم حريص على الاقتـــداء بهـــؤلاء الصحب الكرام ونحاول أن نستخرج بعض هذه الدروس التي منها:

١-حرص الصديق على إعلان الإسلام واظهاره أمام الكفار وهذا يدل على قـــوة إيمانـــه وشجاعته وقد تحمل الأذى العظيم حتى أن قومه كانوا لايشكون في موته،لقد أشرب قلبه حب الله ورسوله أكثر من نفسه،ولم يعد يهمه -بعـــد إســـلامه- إلا أن تعلـــوا رايـــة التوحيد،ويرتفع النداء لا إله إلا الله محمد رسول الله في أرجاء مكة حتى لو كـــان الـــثمن حياته،وكاد أبو بكر فعلاً أن يدفع حياته ثمناً لعقيدته وإسلامه.

٢-إصرار أبي بكر على الظهور بدعوة الإسلام وسط الطغيان الجاهلي،رغبـــة في إعـــلام الناس بذلك الدين الذي خالطت بشاشته القلوب،رغم علمه بالأذى الذي قد يتعرض لـــه وصحبه وماكان ذلك إلا لأنه قد خرج من حظ نفسه.

٣-حب الله ورسوله تغلغل في قلب أبي بكر على حبه لنفسه،بدليل أنه رغم ما ألم به،كان أول ما سأل عنه:مافعل رسول الله - ﷺ -،قبل أن يطعم أو يشرب،وأقسم أنه لن يفعـــل حتى يأتي رسول الله - ﷺ -،وهكذا يجب أن يكون حب الله ورسوله - ﷺ - عند كل مسلم أحب إليه مما سواهما حتى لو كلفه ذلك نفسه وماله.

٤-إن العصبية القبلية كان لها في ذلك الحين دور في توجيه الأحداث والتعامل مع الأفراد حتى مع اختلاف العقيدة،فهذه قبيلة أبي بكر تهدد بقتل عتبة إن مات أبو بكر.

٥-تظهر مواقف رائعة لأم جميل بنت الخطاب،توضح لنا كيف تربت على حُبِّ الـــدعوة والحرص عليها،وعلى الحركة لهذا الدين،فحينما سألتها أم أبي بكر عن رسول الله قالت:ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله،فهذا تصرف حذر سليم،لأن أم الخير لم تكن ساعتئذ مسلمة وأم جميل كانت تخفي إسلامها،ولاتود أن تعلم به أم الخير،وفي ذات الوقت أخفت عنها مكان الرسول - ﷺ - مخافة أن تكون عيناً لقريش،وفي نفس الوقـــت حرصـــت أم جميل أن تطمئن على سلامة الصديق ولذلك عرضت على أم الخير أن تصحبها إلى ابنـــها وعندما وصلت للصديق كانت أم جميل في غاية الحيطة والحذر من أن تتسرب منـــها أي معلومة عن مكان رسول الله وأبلغت الصديق بأن رسول الله سالم صالح،ويتجلى الموقـــف

الحذر من الجاهلية التي تفتن الناس عن دينهم في خروج الثلاثة عندما:هدأت الرجل وسكت الناس

٦-يظهر بر الصديق بأمه وحرصه على هدايتها في قوله لرسول الله - ﷺ -:هذه أمي برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى أن يستنقذها بك من النار. إنه الخوف من عذاب الله والرغبة في رضاه وجنته،ولقد دعا رسول الله - ﷺ - لأم أبي بكر بالهداية فاستجاب الله له،وأسلمت أم أبي بكر وأصبحت من ضمن الجماعة المؤمنة المباركة التي تسعى لنشر دين الله تعالى،ونلمس رحمة الله بعباده ونلحظ من خلال الحدث قانون المنحة بعد المحنة.

٧-إن من أكثر الصحابة الذين تعرضوا لمحنة الأذى والفتنة بعد رسول الله - ﷺ - أبا بكر الصديق - رضي الله عنه - نظراً لصحبته الخاصة له،والتصاقه به في المواطن التي كان يتعرض فيها للأذى من قومه فينبري الصديق مدافعاً عنه وفادياً إياه بنفسه،فيصيبه من أذى القوم وسفههم،هذا مع أن الصديق يعتبر من كبار رجال قريش المعروفين بالعقل والإحسان.[452]

وعَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ابْنِ أَبِي سَلَمَةَ،عَنْ جَدَّتِهِ أُمِّ سَلَمَةَ،زَوْجِ النَّبِيِّ (ﷺ)،قَالَتْ:لَمَّا أَجْمَعَ أَبُو سَلَمَةَ الْخُرُوجَ إِلَى الْمَدِينَةِ رَحَلَ لِي بَعِيرَهُ ثُمَّ حَمَلَنِي عَلَيْهِ،وَحَمَلَ مَعِي ابْنِي سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَةَ فِي حِجْرِي،ثُمَّ خَرَجَ بِي يَقُودُ بِي بَعِيرَهُ،فَلَمَّا رَأَتْهُ رِجَالُ بَنِي الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ مَخْزُومٍ قَامُوا إِلَيْهِ،فَقَالُوا هَذِهِ نَفْسُكَ غَلَبْتَنَا عَلَيْهَا،أَرَأَيْتَ صَاحِبَتَكَ هَذِهِ؟ عَلَامَ نَتْرُكُكَ تَسِيرُ بِهَا فِي الْبِلَادِ؟ قَالَتْ:فَنَزَعُوا خِطَامَ الْبَعِيرِ مِنْ يَدِهِ،فَأَخَذُونِي مِنْهُ. قَالَتْ:وَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ،رَهْطُ أَبِي سَلَمَةَ،فَقَالُوا:لَا وَاَللَّهِ،لَا نَتْرُكُ ابْنَنَا عِنْدَهَا إذْ نَزَعْتُمُوهَا مِنْ صَاحِبِنَا.

قَالَتْ:فَتَجَاذَبُوا بَنِي سَلَمَةَ بَيْنَهُمْ حَتَّى خَلَعُوا يَدَهُ،وَانْطَلَقَ بِهِ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ،وَحَبَسَنِي بَنُو الْمُغِيرَةِ عِنْدَهُمْ،وَانْطَلَقَ زَوْجِي أَبُو سَلَمَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ. قَالَتْ:فَفَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَ زَوْجِي وَبَيْنَ ابْنِي. قَالَتْ:فَكُنْتُ أَخْرُجُ كُلَّ غَدَاةٍ فَأَجْلِسُ بِالْأَبْطُحِ،فَمَا أَزَالُ أَبْكِي،حَتَّى أَمْسَى سَنَةً أَوْ

452 - أبوبكر الصديق رضي الله عنه شخصيته وعصره (١/ ٣٨)

قَرِيبًا مِنْهَا حَتَّى مَرَّ بِي رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّي،أَحَدُ بَنِي الْمُغِيرَةِ،فَرَأَى مَا بِي فَرَحِمَنِي فَقَالَ لِبَنِي الْمُغِيرَةِ:أَلَا تُخْرِجُونَ هَذِهِ الْمِسْكِينَةَ،فَرَّقْتُمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ زَوْجِهَا وَبَيْنَ وَلَدِهَا! قَالَتْ:فَقَالُوا لِي:الْحَقِي بِزَوْجِكَ إنْ شِئْتِ. قَالَتْ:وَرَدَّ بَنُو عَبْدِ الْأَسَدِ إلَيَّ عِنْدَ ذَلِكَ ابْنِي. قَالَتْ:فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي ثُمَّ أَخَذْتُ ابْنِي فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِي،ثُمَّ خَرَجْتُ أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَتْ:وَمَا مَعِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ. قَالَتْ:فَقُلْتُ:أَتَبَلَّغُ بِمَنْ لَقِيتُ حَتَّى أَقْدَمَ عَلَيَّ زَوْجِي،حَتَّى إذَا كُنْتُ بِالتَّنْعِيمِ لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ،أَخَا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ فَقَالَ لِي:إلَى أَيْنَ يَا بِنْتَ أَبِي أُمَيَّةَ؟ قَالَتْ:فَقُلْتُ:أُرِيدُ زَوْجِي بِالْمَدِينَةِ. قَالَ:أَوَمَا مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَتْ:فَقُلْتُ:لَا وَاَللَّهِ،إلَّا اللَّهُ وَبُنَيَّ هَذَا. قَالَ:وَاَللَّهِ مَا لَكَ مِنْ مَتْرَكٍ،فَأَخَذَ بِخِطَامِ الْبَعِيرِ،فَانْطَلَقَ مَعِي يهوى بى،فو الله مَا صَحِبْتُ رَجُلًا مِنْ الْعَرَبِ قَطُّ،أَرَى أَنَّهُ كَانَ أَكْرَمَ مِنْهُ،كَانَ إذَا بَلَغَ الْمَنْزِلَ أَنَاخَ بِي،ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي،حَتَّى إذَا نَزَلْتُ اسْتَأْخَرَ بِبَعِيرِي،فَحَطَّ عَنْهُ،ثُمَّ قَيَّدَهُ فِي الشَّجَرَةِ،ثُمَّ تَنَحَّى (عَنِّي) إلَى شَجَرَةٍ،فَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا،فَإِذَا دَنَا الرَّوَاحُ،قَامَ إلَى بَعِيرِي فَقَدَّمَهُ فَرَحَلَهُ،ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي،وَقَالَ:ارْكَبِي. فَإِذَا رَكِبْتُ وَاسْتَوَيْتُ عَلَى بَعِيرِي أَتَى فَأَخَذَ بِخِطَامِهِ،فَقَادَهُ،حَتَّى يَنْزِلَ بِي. فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذَلِكَ بِي حَتَّى أَقْدَمَنِي الْمَدِينَةَ،فَلَمَّا نَظَرَ إلَى قَرْيَةِ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقُبَاءٍ،قَالَ:زَوْجُكَ فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ- وَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ بِهَا نَازِلًا- فَادْخُلِيهَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ،ثُمَّ انْصَرَفَ رَاجِعًا إلَى مَكَّةَ.

قَالَ:فَكَانَتْ تَقُولُ:وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ فِي الْإِسْلَامِ أَصَابَهُمْ مَا أَصَابَ آلَ أَبِي سَلَمَةَ،وَمَا رَأَيْتُ صَاحِبًا قَطُّ كَانَ أَكْرَمَ مِنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ ".[453]

فهذا مثل على الطرق القاسية التي سلكتها قريش لتحول بين أبي سلمة والهجرة،فرجل يفرق بينه وبين زوجه عنوة،وبينه وبين فلذة كبده،على مرأى منه،كل ذلك من أجل أن يثنوه عن الهجرة،ولكن متى ما تمكن الإيمان من القلب،استحال أن يُقدِّم صاحبه على الإسلام والإيمان شيئاً،حتى لو كان ذلك الشيء فلذة كبده،أو شريكة حياته لذا انطلق أبو سلمة – رضي الله عنه – إلى المدينة لا يلوي على أحد،وفشل معه هذا الأسلوب وللدعاة إلى الله فيه أسوة.

453 – سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٤٦٩) حسن

وهكذا أَثَر الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب،فهذه أسرة فُرِّق شملُها،وامرأة تبكي شـــدة مصابها،وطفل خُلعت يده وحُرم من أبويه،وزوج وأب يســـجل أروع صـــور التضـــحية والتجرد،ليكون أول مهاجر يصل أرض الهجرة،محتسبين في سبيل الله ما يلقون،مصـــممين على المضي في طريق الإيمان،والانحياز إلى كتيبة الهـــدى،فماذا عســـى أن ينـــال الكفـــر وصناديده من أمثال هؤلاء؟

وأما صنيع عثمان بن طلحة – رضي الله عنه – فقد كان يومئذ كافراً (وأسلم قبل الفتح) ومع ذلك تشهد له أم سلمة رضي الله عنها بكرم الصحبة،وذلك شاهد صدق على نفاسة هذا المعدن،وكمال مروءته،وحمايته للضعيف،فقد أبت عليه مروءته وخلقه العربي الأصيل أن يدع امرأة شريفة تسير وحدها في هذه الصحراء الموحشة،وإن كانـــت علـــى غـــير دينه،وهو يعلم أنها بهجرتها تراغمه وأمثاله من كفار قريش.

فأين من هذه الأخلاق،يا قوم المسلمين،أخلاق الحضارة في القرن العشرين،من سطو على الحريات،واغتصاب للأعراض،بل وعلى قارعة الطريق،وما تطالعنا به الصحافة كل يوم من أحداث يندى لهـــا جـــبين الإنســـانية،ومن تفـــنن في وســـائل الاغتصـــاب وانتـــهاك الأعراض،والسطو على الأموال.

إن هذه القصة– ولها مثل ونظائر– لتشهد أن ما كان للعرب من رصيد من الفضائل كان أكثر من مثالبهم ورذائلهم،فمن ثم اختار الله منهم خاتم أنبيائه ورسله،وكانوا أهلاً لحمـــل الرسالة،وتبليغها للناس كافة .

وتظهر عناية الله تعالى بأوليائه،وتسخيره لهم،فهو جل وعلا الذي سخر قلب عثمان ابـــن طلحة للعناية بأم سلمة،ولذلك بذل الجهد والوقت من أجلها كما تظهر ســـلامة فطـــرة عثمان بن طلحة،التي قادته أخيراً إلى الإسلام بعد صلح الحديبية،ولعل إضاءة قلبه بدأ منذ تلك الرحلة،في مصاحبته لأم سلمة رضي الله عنهم[٤٥٤]

في ١٧ ذو القعدة ١٤٣٢ هـــ الموافق ل ٢٠١١/١٠/١٤ م

---

[454] – السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث (ص:٢٥٤)



المبحث الثالث

زوجة الشهيد بين الصبر على تربية الأولاد وبين الزواج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين ،وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه إلى يوم الدين .

أما بعد :

أيها الأحبة الكرام :

جاء في رسالتي **رسالة مفتوحة إلى كل امرأة فقدت زوجها ابنها أخاها الحادي والعشرون – على كل شاب لم يتزوج أو متزوج ويستطيع التعدد أن يتزوج امرأة شهيد ويضم أولادها إليه ،فله أجر عظيم عند الله تعالى**

وهكذا فعل الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم،فعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،قَالَ:قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ:هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ قُلْتُ:لاَ،قَالَ:«فَتَزَوَّجْ فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً»[٤٥٥]

وعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:«أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا» وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى" [٤٥٦]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ :«السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسَاكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَكَالَّذِي يَصُومُ النَّهَارَ وَيَقُومُ اللَّيْلَ»[٤٥٧]

وعَنْ مَالِكِ بْنِ عَمْرٍو الْقُشَيْرِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ،يَقُولُ:"..مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبَوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يُغْنِيَهُ اللهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ "[٤٥٨]

---

[455] - صحيح البخاري (٧/ ٣)(٥٠٦٩)

[456] - صحيح البخاري (٨/ ٩)(٦٠٠٥)

[457] - الأدب المفرد مخرجا (ص: ٥٩)(١٣١) صحيح

[458] - شعب الإيمان (١٣/ ٣٨٨)(١٠٥٢٠) حسن

أقول وبالله التوفيق تفصيلا لهذه النقطة :

إن الإسلام دين الواقعية وليس دينا خياليا ، فهو من جهة أمر المرأة التي مات أو استشهد زوجها بالصبر ،وحثها على تربية أولادها تربية صالحة ...

لكن قد لا تستطيع المرأة هنا أن تصبر كثيرا بلا زوج فما هو الحل يا ترى ؟؟؟

الجواب في المباحث التالية :

المبحث الأول

الحلول الواقعية أمام زوجة الشهيد بالنسبة للزاج

الحل الأول

بالزواج الشرعي الطبيعي الذي أحله الله تعالى

وهنا لا بد من بحث بعض القضية الشرعية التالية وهي :

حق حضانة الأطفال (اليتامى)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ امْرَأَةً قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ ابْنِي هَذَا كَانَ بَطْنِي لَهُ وِعَاءً، وَثَدْيِي لَهُ سِقَاءً، وَحِجْرِي لَهُ حِوَاءً، وَإِنَّ أَبَاهُ طَلَّقَنِي، وَأَرَادَ أَنْ يَنْتَزِعَهُ مِنِّي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي»[٤٥٩]

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الْخَاصَّةُ بِالْحَوَاضِنِ مِنَ النِّسَاءِ فَهِيَ :

أَوَّلاً – أَلاَّ تَكُونَ الْحَاضِنَةُ مُتَزَوِّجَةً مِنْ أَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمَحْضُونِ ، لأَِنَّهَا تَكُونُ مَشْغُولَةً بِحَقِّ الزَّوْجِ ، وَقَدْ قَال النَّبِيُّ ﷺ : أَنْتِ أَحَقُّ بِهِ مَا لَمْ تَنْكِحِي ، فَلاَ حَضَانَةَ لِمَنْ تَزَوَّجَتْ بِأَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمَحْضُونِ ، وَتَسْقُطُ حَضَانَتُهَا مِنْ حِينِ الْعَقْدِ عِنْدَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ ، وَبِالدُّخُول عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ ، وَهُوَ احْتِمَالٌ لاِبْنِ قُدَامَةَ فِي الْمُغْنِي.[٤٦٠]

---

[459] – سنن أبي داود (٢/ ٢٨٣)(٢٢٧٦) صحيح – حواء : حويت الشيء : إذا ضممته إلى نفسك.

[460] – جواهر الإكليل ١ / ٤٠٩ – ٤١٠ ، ومنح الجليل ٢ / ٤٥٦ – ٤٥٧ ، وابن عابدين ٢ / ٦٣٩ ، والبدائع ٤ / ٤٢ ، وأسنى المطالب ٣ / ٤٤٨ ، ومغني المحتاج ٣ / ٤٥٥ ، وكشاف القناع ٥ / ٤٩٩ ، والمغني ٧ / ٦١٩ ، والإنصاف للمرداوي ٩ / ٤٢٥ .

وَاسْتَثْنَى الْمَالِكِيَّةُ حَالاَتٍ لاَ يَسْقُطُ فِيهَا حَقُّ الْحَاضِنَةِ بِتَزَوُّجِهَا مِنْ أَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمَحْضُونِ وَهِيَ :

أ – أَنْ يَعْلَمَ مَنْ لَهُ حَقُّ الْحَضَانَةِ بَعْدَهَا بِدُخُولِ زَوْجِهَا بِهَا ، وَسُقُوطِ حَقِّهَا فِي الْحَضَانَةِ وَيَسْكُتَ – بَعْدَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ بِلاَ عُذْرٍ – سَنَةً فَلاَ تَسْقُطُ حَضَانَتُهَا حِينَئِذٍ .

ب – أَلاَّ يَقْبَلَ الْمَحْضُونُ غَيْرَ مُسْتَحِقَّةِ الْحَضَانَةِ أُمًّا أَوْ غَيْرَهَا – فَلاَ تَسْقُطُ بِدُخُولِ الزَّوْجِ بِهَا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ .

ج – أَلاَ تَقْبَلَ الْمُرْضِعَةُ أَنْ تُرْضِعَهُ عِنْدَ بَدَلِ أُمِّهِ الَّذِي انْتَقَلَتْ لَهُ الْحَضَانَةُ بِسَبَبِ تَزَوُّجِ الأُمِّ .

د – أَلاَّ يَكُونَ لِلْوَلَدِ حَاضِنٌ غَيْرُ الْحَاضِنَةِ الَّتِي دَخَلَ الزَّوْجُ بِهَا ، أَوْ يَكُونَ لَهُ حَاضِنٌ غَيْرُهَا وَلَكِنَّهُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ، أَوْ عَاجِزٌ عَنِ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِ الْمَحْضُونِ .

هـ – أَلاَّ تَكُونَ الْحَاضِنَةُ الَّتِي تَزَوَّجَتْ بِأَجْنَبِيٍّ وَصِيَّةً عَلَى الْمَحْضُونِ ، وَذَلِكَ فِي رِوَايَةٍ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ ، وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى عِنْدَهُمْ لاَ يُشْتَرَطُ ذَلِكَ .[461]

هَذَا بِالنِّسْبَةِ لِزَوَاجِ الْحَاضِنَةِ مِنْ أَجْنَبِيٍّ مِنَ الْمَحْضُونِ ، فَإِنْ تَزَوَّجَتْ بِذِي رَحِمٍ مَحْرَمٍ مِنَ الْمَحْضُونِ كَالْجَدَّةِ إِذَا تَزَوَّجَتْ بِجَدِّ الصَّبِيِّ ، أَوْ تَزَوَّجَتْ بِقَرِيبٍ وَلَوْ غَيْرَ مَحْرَمٍ مِنَ الْمَحْضُونِ كَابْنِ عَمِّهِ فَلاَ تَسْقُطُ حَضَانَتُهَا ، وَهَذَا عِنْدَ الْجُمْهُورِ – الْمَالِكِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ وَالشَّافِعِيَّةِ – فِي الأَصَحِّ ، وَمُقَابِلُ الأَصَحِّ عِنْدَهُمْ يَسْقُطُ حَقُّهَا لاِشْتِغَالِهَا بِالزَّوْجِ . وَاشْتَرَطَ الشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ أَنْ يَكُونَ مَنْ نَكَحَتْهُ مِمَّنْ لَهُ حَقٌّ فِي الْحَضَانَةِ ، لأَنَّ شَفَقَتَهُ تَحْمِلُهُ عَلَى رِعَايَتِهِ فَيَتَعَاوَنَانِ عَلَى ذَلِكَ . كَمَا اشْتَرَطَ الشَّافِعِيَّةُ رِضَا الزَّوْجِ ، وَقَيَّدَ الْحَنَفِيَّةُ بَقَاءَ الْحَضَانَةِ بِمَا إِذَا كَانَ الزَّوْجُ رَحِمًا مَحْرَمًا ، فَلَوْ كَانَ غَيْرَ مَحْرَمٍ كَابْنِ الْعَمِّ سَقَطَتْ حَضَانَتُهَا .[462]

---

461 – جواهر الإكليل ١ / ٤٠٩ ، ومنح الجليل ٢ / ٤٥٦ .

462 – البدائع ٤ / ٤٢ ، وابن عابدين ٢ / ٦٣٩ ، والدسوقي ٢ / ٥٢٩ ، وأسنى المطالب ٣ / ٤٤٨ ، ومغني المحتاج ٣ / ٤٥٥ ، وكشاف القناع ٥ / ٤٩٩ ، والمغني ٧ / ٦١٩ . وانظر " الفقه الإسلامي وأدلته للزحيلي – دار الفكر (١٠/ ٥٢) والفتاوى المعاصرة في الطلاق (٢/ ١٠٧) والموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (١٧/ ٣٠٧)

وهنا نلاحظ أن الإسلام يحث أقرباء الزوج على الزواج بها لكي لا يؤثر ذلك نهائيا على تربية الأولاد والعناية بهم ... وهنا لا يكون مشكلة بالنسبة للحضانة وغيرها ...

الحل الثاني

أن تترك الأولاد لأهلهم ثم تتزوج

وهذا حق مشروع لها ، فلا يجبرها الإسلام في البقاء على تربية الأولاد دون زواج ، وإنما يستحب لها ذلك إذا كانت قادرة على عصمة نفسها ...

والأولاد في الحالة الثانية إذا تزوجت من غير قريب لهم أو لها قد يضيعون ، أولا يهتم بهم بالشكل اللائق بهم ...

وهنا تصبح الأم بين نارين إما أن تطلب الطلاق لترجع لأولادها أو تطلب من الزوج ضمهم معها ..

الحل الثالث

أن تبقى بلا زوج ولكنها لا تستطيع الصبر فتنحرف

فالمرأة كالرجل تماما تحس بما يحس به وتشعر بما يشعر به ، كيف لا والله تعالى يقول لنا : {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة: ١٨٧]

واللباس ساتر وواق .. وكذلك هذه الصلة بين الزوجين. تستر كلًّا منهما وتقيه.

والإسلام الذي يأخذ هذا الكائن الإنساني بواقعه كله، ويرتضي تكوينه وفطرته كما هي، ويأخذ بيده إلى معارج الارتفاع بكليته ..

وهو القائل سبحانه تعالى : {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [الروم: ٢١]

والناس يعرفون مشاعرهم تجاه الجنس الآخر، وتشغل أعصابهم ومشاعرهم تلك الصلة بين الجنسين وتدفع خطاهم وتحرك نشاطهم تلك المشاعر المختلفة الأنماط والاتجاهات بين الرجل والمرأة. ولكنهم قلما يتذكرون يد الله التي خلقت لهم من أنفسهم أزواجا، وأودعت نفوسهم هذه العواطف والمشاعر، وجعلت في تلك الصلة سكنا للنفس والعصب، وراحة للجسم والقلب، واستقرارا للحياة والمعاش، وأنسا للأرواح والضمائر، واطمئنانا للرجل والمرأة على السواء.

والتعبير القرآني اللطيف الرفيق يصور هذه العلاقة تصويرا موحيا، وكأنما يلتقط الصورة من أعماق القلب وأغوار الحس: «لِتَسْكُنُوا إِلَيْها» .. «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً» .. «إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» .. فيدركون حكمة الخالق في خلق كل من الجنسين على نحو يجعله موافقا للآخر. ملبيا لحاجته الفطرية: نفسية وعقلية وجسدية. بحيث يجد عنده الراحة والطمأنينة والاستقرار ويجدان في اجتماعهما السكن والاكتفاء، والمودة والرحمة، لأن تركيبهما النفسي والعصبي والعضوي ملحوظ فيه تلبية رغائب كل منهما في الآخر، وائتلافهما وامتزاجهما في النهاية لإنشاء حياة جديدة تتمثل في جيل جديد ..[٤٦٣]

قلت : ويؤيد ذلك ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى امْرَأَةٍ لَا تَشْكُرُ لِزَوْجِهَا، وَهِيَ لَا تَسْتَغْنِي عَنْهُ»[٤٦٤]

الحل الرابع

أن تتزوج بشرط بقاء أولادها معها

وعندئذ في هذه الحالة لم تخسر شيئا بل كسبت كثيرا

فهي من جهة عصمت نفسها عن الحرام.....

ومن جهة أخرى لم يؤثر ذلك على تربية أولادها ....

---

463 – في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ – ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٥١٥)

464 – المستدرك على الصحيحين للحاكم (٢/ ٢٠٧)(٢٧٧١) والسنن الكبرى للنسائي (٨/ ٢٣٩)(٩٠٨٦) صحيح

وكذلك قد تتنازل المرأة عن بعض حقوقها إذا كان الرجل متزوجا ،ومن جملتها أن تبقى في بيتها مع أولادها ، وقد تعفيه من اشتراط العدل في النوم ...وقد تعفيه من النفقة إذا كانت غنية .. وكل ذلك جائز شرعا ....

وقد تزوج النبي ﷺ أكثر من زوجة شهيد ومنهن أم سلمة وبقي أولادها معها ، وتزوج الصديق رضي الله عنه أسماء بنت عميس زوجة الشهيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، وبقي أولادها معها ، وتزوجها علي رضي الله عنه وبقي أولادها معها وأنجبت منهما أيضا ..

فنحن عندما نقول :

على كل شاب أعزب أو متزوج يستطيع التعدد الزواج من امرأة شهيد وضم أولادها معها كما فعل السلف الصالح فنكون بذلك راعينا جميع الحالات في هذا الأمر .... حالة المرأة وحالة الأولاد وحالة المجتمع أيضا

المبحث الثاني

وجوب النفقة على أولاد الشهيد

النفقة على أولاد الشهيد تكون في الأصل من بيت مال المسلمين حتى يستغنوا

فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، جَيْشًا وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ: «فَإِنْ قُتِلَ، وَاسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ، وَاسْتُشْهِدَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ» فَانْطَلَقُوا فَلَقُوا الْعَدُوَّ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، فَأَتَى خَبَرُهُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجَ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ إِخْوَانَكُمْ لَقُوا الْعَدُوَّ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، - أَوِ اسْتُشْهِدَ - ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرٌ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، - أَوِ اسْتُشْهِدَ - ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، أَوِ اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ

سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، فَفَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ» ، ثُمَّ أَمْهَلَ آلَ جَعْفَرٍ ثَلَاثًا، أَنْ يَأْتِيَهُمْ ثُمَّ أَتَاهُمْ، فَقَالَ: «لَا تَبْكُوا عَلَيْهِ بَعْدَ الْيَوْمِ» ، ثُمَّ قَالَ: «ادْعُوا بَنِي أَخِي» ، فَجِيءَ بِنَا كَأَنَّا أَفْرُخٌ، فَقَالَ: «ادْعُوا لِي الْحَلَّاقَ» ، فَأَمَرَهُ فَحَلَقَ رُءُوسَنَا، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا مُحَمَّدٌ فَشَبِيهُ عَمِّنَا أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا عَوْنٌ فَشَبِيهُ خَلْقِي، وَخُلُقِي» ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَشَالَهَا، فَقَالَ: «اللهُمَّ أَخْلِفْ جَعْفَرًا فِي أَهْلِهِ، وَبَارِكْ لِعَبْدِ اللهِ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ» ، قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَجَاءَتْ أُمُّنَا فَذَكَرَتْ يُتْمَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعَيْلَةَ تَخَافِينَ عَلَيْهِمْ، وَأَنَا وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَالْآخِرَةِ»[465]

فإن لم توجد الدولة الإسلامية فمن الجمعيات الخيرية أو من أخيار المسلمين الأغنياء

فعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، فَقَدْ غَزَا»[466]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَافِلُ الْيَتِيمِ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى"[467]

المبحث الثالث

إذا لم ترغب بالزواج فلها ذلك وعليها بالصوم

---

465 – المعجم الكبير للطبراني (٢/ ١٠٥)(١٤٦١) صحيح – والعيلة: الفاقة والفقر والحاجة.

466 – صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٦)١٣٥ – (١٨٩٥) [ش (فقد غزا) أي حصل له أجر بسبب الغزو وهذا الأجر يحصل بكل جهاد وسواء قليله وكثيره ولكل خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم وإنفاق عليهم أو ذب عنهم أو مساعدتهم في أمر لهم]

467 – صحيح مسلم (٤/ ٢٢٨٧)٤٢ – (٢٩٨٣)

[ش (كافل اليتيم) القائم بأموره من نفقة وكسوة وتأديب وتربية وغير ذلك وهذه الفضيلة تحصل لمن كفله من مال نفسه أو من مال اليتيم بولاية شرعية (له أو لغيره) فالذي له أن يكون قريبا له كجده وأمه وجدته وأخيه وأخته وعمه وخاله وعمته وخالته وغيرهم من أقاربه والذي لغيره أن يكون أجنبيا]

إن المرأة إذا كانت تستطيع الصبر وليس عندها رغبة بالزواج من غير زوجها الأول،فلها ذلك،وهي سوف تكون لزوجها الأخير يوم القيامة،وعليها بصيام التطوع

فعَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ أَنَّهَا قَالَتْ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ عِنْدَ الْمَوْتِ: " إِنَّكَ خَطَبْتَنِي إِلَى أَبَوَيَّ فِي الدُّنْيَا فَأَنْكَحَاكَ وَإِنِّي أَخْطُبُكَ إِلَى نَفْسِكَ فِي الْآخِرَةِ "، قَالَ " فَلَا تَنْكِحِي بَعْدِي " فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ فَأَخْبَرَتْهُ بِالَّذِي كَانَ فَقَالَ: " عَلَيْكِ بِالصِّيَامِ "[٤٦٨]

وعَنْ عَطِيَّةَ بْنِ قَيْسٍ الْكِلَابِيِّ قَالَ: خَطَبَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ أُمَّ الدَّرْدَاءِ بَعْدَ وَفَاةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ، فَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: إِنِّي سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ تُوُفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا، فَتَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ فَهِيَ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا» وَمَا كُنْتُ لِأَخْتَارَكَ عَلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ فَكَتَبَ إِلَيْهَا مُعَاوِيَةُ: فَعَلَيْكِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ مَحْسَمَةٌ "[٤٦٩]

وعَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ لِامْرَأَتِه"إِنْ أَرَدْتِ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الْجَنَّةِ فَلَا تَزَوَّجِي بَعْدِي فَإِنَّ الْمَرْأَةَ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا، وَلِذَلِكَ حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَى أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ بَعْدَهُ "[٤٧٠]

وأم الدرداء هذه هي الصغرى رضي الله عنها كان لها شأن كبير عند الخلفاء،فعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، أَنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ مَرْوَانَ، بَعَثَ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاءِ بِأَنْجَادٍ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَمَّا أَنْ كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، قَامَ عَبْدُ الْمَلِكِ مِنَ اللَّيْلِ، فَدَعَا خَادِمَهُ، فَكَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ، فَلَعَنَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَتْ لَهُ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُكَ اللَّيْلَةَ، لَعَنْتَ خَادِمَكَ حِينَ دَعَوْتَهُ، فَقَالَتْ: سَمِعْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٤٧١]

---

468 - شرح مشكل الآثار (٢/ ١٢٢) صحيح

469 - المعجم الأوسط (٣/ ٢٧٥)(٣١٣٠) حسن لغيره

470 - شرح مشكل الآثار (٢/ ١٢١) صحيح

471 - صحيح مسلم (٤/ ٢٠٠٦)٨٥ - (٢٥٩٨)

[ش (بأنجاد) جمع نجد وهو متاع البيت الذي يزينه من فرش ونمارق وستور وقال الجوهري بإسكان الجيم قال وجمعه نجود حكاه عن أبي عبيد فهما لغتان (شفعاء) معناه لا يشفعون يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين استوجبوا النار (شهداء) فيه ثلاثة أقوال أصحها وأشهرها لا يكونون شهداء يوم القيامة على الأمم بتبليغ رسلهم إليهم الرسالات والثاني لا يكونون شهداء في الدنيا أي لا تقبل شهادتهم لفسقهم والثالث لا يرزقون الشهادة وهي القتل في سبيل الله]

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: كَانَ عَبْدُ الْمَلك بْنُ مَرْوَانَ يُرْسلُ إِلَى أُمِّ الدَّرْدَاء، فَتَبيتُ عنْدَ نسَائه، وَيُسَائلُهَا عَنِ الشَّيْء، قَالَ: فَقَامَ لَيْلَةً فَدَعَا خَادمَهُ فَأَبْطَأَتْ عَلَيْه، فَلَعَنَهَا فَقَالَتْ: لَا تَلْعَنْ، فَإِنَّ أَبَا الدَّرْدَاءِ حَدَّثَني أَنَّهُ سَمعَ النَّبيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لَا يَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفَعَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ»[٤٧٢]

علي بن نايف الشحود

في ١٩ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ الموافق ل ١٦/١٠/٢٠١١ م



472 - جامع معمر بن راشد (١٠/ ٤١٢)(١٩٥٣٠) صحيح

المبحث الرابع عشر

الشهيد الذي حفر قبره بيده

في هذا الفيديو شهيد حفر قبرا لغيره فدفن هو به [٤٧٣]

بارك الله بكم

هذا أمر طبيعي،فمن قدَّر الله تعالى له الشهادة فسوف ينالها لا محالة،والموت أمر مقدَّر لن يستطيع أحد الفرار منه أبدا،قال تعالى:{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ } [آل عمران:١٤٥]

لاَ يَمُوتُ أحَدٌ إلاَّ بِقَدَرِ اللهِ،وَحَتَّى يَسْتَوْفِيَ المُدَّةَ التي جَعَلَهَا اللهُ لَهُ أَجَلاً (كِتَاباً مُؤَجَّلاً)،فَلاَ يَتَقَدَّمُ عَنْهُ وَلاَ يَتَأَخَّرُ.وَإِذَا كَانَ مَحْيَا الإِنْسَانِ وَمَمَاتُهُ بِإِذْنِ اللهِ فَلاَ مَحَلَّ لِلْخَوْفِ وَالجُبْنِ،وَلاَ عُذْرَ فِي الوَهَنِ وَالضَّعْفِ .

وَفِي هَذِهِ الآيَةِ تَشْجِيعٌ لِلْجُبَنَاءِ عَلَى القِتَالِ.فَإِنَّ الإِقْدَامَ وَالإِحْجَامَ لاَ يُنْقِصَانِ مِنْ عُمْرِ الإِنْسَانِ،وَلاَ يَزِيْدَانِ فِيهِ.وَمَنْ كَانَ عَمَلُهُ لِلْدُّنيا فَقَطْ نَالَهُ مِنَها مَا قَدَّرَهُ اللهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِها،وَلَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الآخِرَةِ نَصِيبٌ.وَمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الآخِرَةِ أَعْطَاهُ اللهُ مِنْ ثَوَابِهَا،وَأَعْطَاهُ مَعَها مَا قَسَمَهُ لَهُ فِي الدُّنيا مِنْ نَصِيبٍ.وَاللهُ يَجْزِي الشَّاكِرِينَ الذينَ يَعْرِفُونَ أَنْعُمَ اللهِ عَلَيْهِمْ،وَيَسْتَعْمِلُونَهَا فَي الأَعْمالِ الصَّالِحَةِ.وَيُعْطِيهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ بِمِقْدَارِ شُكْرِهِمْ وَعَمَلِهِمْ . [٤٧٤]

إن لكل نفس كتابا مؤجلا إلى أجل مرسوم.ولن تموت نفس حتى تستوفي هذا الأجل المرسوم.فالخوف والهلع،والحرص والتخلف،لا تطيل أجلا.والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرا.فلا كان الجبن،ولا نامت أعين الجبناء.والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد! بذلك تستقر حقيقة الأجل في النفس،فتترك الاشتغال به،ولا تجعله في

---

473 - http://www.youtube.com/watch?v=OrdpU...layer_embedded

474 - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٨، بترقيم الشاملة آليا)

الحساب،وهي تفكر في الأداء والوفاء بالالتزام ات والتكاليف الإيمانية.وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص،كما ترتفع على وهلة الخوف والفزع.وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزام اته،في صبر وطمأنينة،وتوكل على الله الذي يملك الآجال وحده.

ثم ينتقل بالنفس خطوة وراء هذه القضية التي حسم فيها القول ..فإنه إذا كان العمر مكتوبا،والأجل مرسوما ..فلتنظر نفس ما قدمت لغد ولتنظر نفس ماذا تريد ..أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان،وأن تحصر همها كله في هذه الأرض،وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى،وإلى اهتمامات أرفع،وإلى حياة أكبر من هذه الحياة؟ ..مع تساوي هذا الهم وذلك فيما يختص بالعمر والحياة؟! «وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها.وَمَنْ يُرِدْ ثَوابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْها».

وشتان بين حياة وحياة! وشتان بين اهتمام واهتمام! – مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل – والذي يعيش لهذه الأرض وحدها،ويريد ثواب الدنيا وحدها ..إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب.والذي يتطلع إلى الأفق الآخر ..إنما يحيا حياة «الإنسان» الذي كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب والذي يتطلع إلى الأفق الآخر ..إنما يحيا حياة "الإنسان" الذي كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت في موعده المضروب بأجله المكتوب ....«وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا» ..«وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» ..الذين يدركون نعمة التكريم الإلهي للإنسان،فيرتفعون عن مدارج الحيوان ويشكرون الله على تلك النعمة،فينهضون بتبعات الإيمان ..

وهكذا يقرر القرآن حقيقة الموت والحياة،وحقيقة الغاية التي ينتهي إليها الأحياء،وفق ما يريدونه لأنفسهم،من اهتمام قريب كاهتمام الدود،أو اهتمام بعيد كاهتمام الإنسان! وبذلك ينقل النفس من الانشغال بالخوف من الموت والجزع من التكاليف – وهي لا

تملك شيئا في شأن الموت والحياة – إلى الانشغال بما هو أنفع للنفس،في الحقل الذي تملكه،وتملك فيه الاختيار.فتختار الدنيا أو تختار الآخرة.وتنال من جزاء الله ما تختار![475]

وقد أكرمه الله تعالى بالشهادة وهي من أعلى الرتب يوم القيامة،فلا بد من ذلك ليكونوا شهداء على الناس في الدنيا والآخرة،وليكون القود الحقيقي للثورة المباركة لكي تستمر في حتى تحقق أهدافها كاملة غير منقوصة بإذن الله تعالى،قال تعالى:{ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) } [آل عمران:١٣٩،١٤٠]

وَلاَ تَضْعَفُوا عَنِ الجِهَادِ،وَمَا يَتَطَلَّبُهُ مِنْ حُسْنِ التَّدْبِيرِ وَالإِعْدَادِ،بِسَبَبِ ما أَصَابَكُمْ مِنَ الفَشَلِ وَالجِرَاحِ يَوْمَ أحُدٍ،وَلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَقَدْتُمْ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ،فَإِنَّ العَاقِبَةَ وَالنَّصْرَ سَيَكُونَانِ لَكُمْ إِذَا تَمَسَّكْتُمْ بِحَبْلِ اللهِ،وَرَاعَيْتُمْ تَعَالِيمَهُ،فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ اللهِ أنْ يَجْعَلَ العَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

إِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَصَابَتْكُمْ جِرَاحٌ،وَقُتِلَ مِنْكُمْ رِجَالٌ يَوْمَ أحُدٍ،فَقَدْ أَصَابَ أَعْدَاءَكُمْ قَرِيبٌ مِمَّا أَصَابَكُمْ،فَلاَ يَنْبَغِي لَكُمْ أنْ تَقْعُدُوا وَتَتَقَاعَسُوا عَنِ الجِهَادِ بِسَبَبِ مَا أَصَابَكُمْ،فَالمُشْرِكُونَ قَدْ سَبَقَ أنْ أَصَابَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ مِثْلَ مَا أَصَابَكُمْ أَنْتُمْ فِي أحُدٍ،فَلَمْ يَتَقَاعَسُوا،وَلَمْ يَقْعُدُوا عَنِ الإِعْدَادِ لِلْحَرْبِ وَمُبَاشَرَتِهَا،وَهُمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ،فَكَيْفَ تَتَرَدَّدُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى حَقٍّ،وَاللهُ وَعَدَكُمْ نَصْرَهُ،وَجَعَلَ العَاقِبَةَ لَكُمْ؟ وَمِنْ سُنَنِ اللهِ تَعَالَى مُدَاوَلَةُ الأَيَّامِ بَيْنَ النَّاسِ،فَمَرَّةً تَكُونُ الغَلَبَةُ لِلْبَاطِلِ عَلَى الحَقِّ،إِذَا أَعَدَّ لَهُ أَهْلُهُ وَاحْتَاطُوا،وَتَرَاخَى أَهْلُ الحَقِّ،وَمَرَّةً تَكُونُ الغَلَبَةُ لِلْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ.وَلَكِنَّ العَاقِبَةَ تَكُونُ دَائِماً لِلْحَقِّ وَأَهْلِه.وَاللهُ تَعَالَى يَبْتَلِي المُؤْمِنِينَ لِيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ الصَّادِقِينَ مِنْهُمْ،وَلِيَتّخِذَ مِنَ المُؤمِنِينَ رِجَالاً يُكْرِمُهُمْ بِالشَّهَادَةِ .[476]

---

[475] – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٧٩٠)

[476] – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٤٣٢، بترقيم الشاملة آليا)

إن الشدة بعد الرخاء،والرخاء بعد الشدة،هما اللذان يكشفان عن معادن النفوس،وطبائع القلوب،ودرجة الغبش فيها والصفاء،ودرجة الهلع فيها والصبر،ودرجة الثقة فيها بالله أو القنوط،ودرجة الاستسلام فيها لقدر الله أو البرم به والجموح! عندئذ يتميز الصف ويتكشف عن:مؤمنين ومنافقين،ويظهر هؤلاء وهؤلاء على حقيقتهم،وتتكشف في دنيا الناس دخائل نفوسهم.ويزول عن الصف ذلك الدخل وتلك الخلخلة التي تنشأ من قلة التناسق بين أعضائه وأفراده،وهم مختلطون مبهمون! والله سبحانه يعلم المؤمنين والمنافقين.والله سبحانه يعلم ما تنطوي عليه الصدور.ولكن الأحداث ومداولة الأيام بين الناس تكشف المخبوء،وتجعله واقعا في حياة الناس،وتحول الإيمان إلى عمل ظاهر،وتحول النفاق كذلك إلى تصرف ظاهر،ومن ثم يتعلق به الحساب والجزاء.فالله سبحانه لا يحاسب الناس على ما يعلمه من أمرهم ولكن يحاسبهم على وقوعه منهم.

ومداولة الأيام،وتعاقب الشدة والرخاء،محك لا يخطئ،وميزان لا يظلم.والرخاء في هذا كالشدة.

وكم من نفوس تصبر للشدة وتتماسك،ولكنها تتراخى بالرخاء وتنحل.والنفس المؤمنة هي التي تصبر للضراء ولا تستخفها السراء،وتتجه إلى الله في الحالين،وتوقن أن ما أصابها من الخير والشر فبإذن الله.

وقد كان الله يربي هذه الجماعة - وهي في مطالع خطواتها لقيادة البشرية - فرباها بهذا الابتلاء بالشدة بعد الابتلاء بالرخاء،والابتلاء بالهزيمة المريرة بعد الابتلاء بالنصر العجيب - وإن يكن هذا وهذه قد وقعا وفق أسبابهما ووفق سنن الله الجارية في النصر والهزيمة.لتتعلم هذه الجماعة أسباب النصر والهزيمة.ولتزيد طاعة لله،وتوكلا عليه،والتصاقا بركنه.ولتعرف طبيعة هذا المنهج وتكاليفه معرفة اليقين.

ويمضي السياق يكشف للأمة المسلمة عن جوانب من حكمة الله فيما وقع من أحداث المعركة،وفيما وراء مداولة الأيام بين الناس،وفيما بعد تمييز الصفوف،وعلم الله للمؤمنين:«وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ» ..

وهو تعبير عجيب عن معنى عميق – إن الشــهداء لمختــارون.يختــارهم الله مــن بــين المجاهدين،ويتخذهم لنفسه – سبحانه – فما هي رزية إذن ولا خســارة أن يستشــهد في سبيل الله من يستشهد.إنما هو اختيار وانتقاء،وتكريم واختصاص ..إن هؤلاء هم الــذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة،ليستخلصهم لنفسه – سبحانه – ويخصهم بقربه.

ثم هم شهداء يتخذهم الله،ويستشهدهم على هذا الحق الذي بعث به للناس.يستشــهدهم فيؤدون الشهادة.يؤدونها أداء لا شبهة فيه،ولا مطعن عليه،ولا جــدال حولــه.يؤدونهــا بجهادهم حتى الموت في سبيل إحقاق هذا الحق،وتقريره في دنيــا النــاس.يطلــب الله – سبحانه – منهم أداء هذه الشهادة،على أن ما جاءهم من عنده الحق،وعلى أنهــم آمنــوا به،وتجردوا له،وأعزوه حتى أرخصوا كل شيء دونه وعلى أن حياة الناس لا تصــلح ولا تستقيم إلا بهذا الحق وعلى أنهم هم استيقنوا هذا،فلم يألوا جهدا في كفاح الباطل وطرده من حياة الناس،وإقرار هذا الحق في عالمهم وتحقيق منهج الله في حكم الناس ..يستشهدهم الله على هذا كله فيشهدون.وتكون شهادتهم هي هذا الجهاد حتى الموت.وهي شــهادة لا تقبل الجدال والمحال! وكل من ينطق بالشهادتين:شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.لا يقال له إنه شهد،إلا أن يؤدي مدلول هذه الشهادة ومقتضاها.ومــدلولها هــو ألا يتخذ إلا الله إليها.ومن ثم لا يتلقى الشريعة إلا من الله.فأخص خصائص الألوهية التشريع للعباد وأخص خصائص العبودية التلقي من الله ..ومدلولها كذلك ألا يتلقى من الله إلا عن محمد بما أنه رسول الله.ولا يعتمد مصدرا آخر للتلقي إلا هذا المصدر ..

ومقتضى هذه الشهادة أن يجاهد إذن لتصبح الألوهية لله وحده في الأرض،كما بلغها محمد – ﷺ – فيصبح المنهج الذي أراده الله للناس،والذي بلغه عنه محمد – ﷺ – هو المنــهج السائد والغالب والمطاع،وهو النظام الذي يصرّف حياة الناس كلها بلا استثناء.

فإذا اقتضى هذا الأمر أن يموت في سبيله،فهو إذن شهيد.أي شاهد طلب الله إليه أداء هذه الشهادة فأداها.واتخذه الله شهيدا..ورزقه هذا المقام.هذا فقه ذلك التعبير العجيب:«وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ..».وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رســول الله،ومقتضــاه

..لا ما انتهى إليه مدلول هذه الشهادة من الرخص والتفاهة والضياع! «وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» ..

والظلم كثيرا ما يذكر في القرآن ويراد به الشرك.بوصفه أظلم الظلم وأقبحه.وفي القرآن:«إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» ..وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:سَأَلْتُ - أَوْ سُئِلَ - رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:أَيُّ الذَّنْبِ عِنْدَ اللَّهِ أَكْبَرُ،قَالَ:«أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ» قُلْتُ:ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:«ثُمَّ أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ» قُلْتُ:ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ:«أَنْ تُزَانِيَ بِحَلِيلَةِ جَارِكَ» قَالَ:وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:{وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ} [الفرقان:٦٨] [٤٧٧]

وقد أشار السياق من قبل إلى سنة الله في المكذبين فالآن يقرر أن الله لا يحب الظالمين.فهو توكيد في صورة أخرى لحقيقة ما ينتظر المكذبين الظالمين الذين لا يحبهم الله.والتعبير بأن الله لا يحب الظالمين،يثير في نفس المؤمن بغض الظلم وبغض الظالمين.وهذه الإشارة في معرض الحديث عن الجهاد والاستشهاد،لها مناسبتها الحاضرة.فالمؤمن إنما يبذل نفسه في مكافحة ما يكرهه الله ومن يكرهه.وهذا هو مقام الاستشهاد،وفي هذا تكون الشهادة ومن هؤلاء يتخذ الله الشهداء .. [٤٧٨]



[477] - صحيح البخاري (٦/ ١١٠)(٤٧٦١) وصحيح مسلم (١/ ٩٠)١٤١ - (٨٦)

[478] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٧٨٢)

المبحث الخامس عشر

العصابات الأسدية تريد نقل جثامين الشهداء من الحدائق لمقابر عادية لأنه منظر غير حضاري!!

شبكة حماه الاخبارية – H N N

بيان إلى أهالي شهداء مدينة حماه الكرام

سرت بعض الأخبار في هذه الأيام الأخيرة عن عزم النظام الأسدي المجرم بالتعاون مع مديرية الأوقاف والصليب الأحمر الدولي والهلال الأحمر السوري على نقل جثامين شهداء اجتياح مدينة حماه من الحدائق إلى المقابر العادية وذلك منعاً لأن تصبح هذه المقابر في الحدائق إلى رموز للثورة ...

ونحن إذ نهيب بأهالي الشهداء الكرام أن يرفضوا نقل جثامين شهدائهم وذلك للأسباب التالية:

١ – إن وجود هؤلاء الشهداء في الحدائق بين الأحياء إنما هو رمز مشرف للثورة الحموية.

٢ – إن وجودهم بين منازلنا إنما هو شرف وفخر لنا نحن الثوار ونحن نستبشر بوجودهم بيننا بالنصر القريب إن شاء الله، ونحن كلما رأيناهم إنما نستمد منهم القوة الدافعة لنا والشحنة المعنوية الهائلة لأن نسير على دربهم في الجهاد ضد هؤلاء القتلة المجرمين حتى النصر أو الشهادة.

٣ – لم يمض على استشهاد أبنائكم وإخوتنا سوى شهر واحد لذلك لو أخرجتم جثامين الشهداء الآن فإنها ستمثل إهانة لكم ولنا نحن الثوار كوننا لم نستطع الدفاع حتى عن جثامين الشهداء، لأن الوضع الأمني وانتشار الجيش كبير كما تعلمون، فأنتم الآن وحدكم قادرون على رفض هذا الأمر كونهم أولادكم.

٤ – لو تناولنا الأمر من الناحية الدينية والأخلاقية لوجدنا أن الأمر يوجد فيه شيء من الكراهة كون الشهيد يجب أن يدفن في ساحة المعركة ولا يحق لأحد أن ينقل جثته بعد دفنها.

٥ – لو تناولنا الأمر من الناحية الطبية لوجدنا أن الأمر سيء جداً كون الشهداء لم يمض على قتلهم سوى شهر ونحن نعلم بأن الجثة بحاجة إلى فترة بين ٤ – ٦ شهور حتى تتحلل ولو أخرجناهم لوجدنا أن الجثة الآن هي في أوج التحلل ويجب علينا الانتظار حتى تنتهي من التحلل، على الرغم من أننا عندما وقفنا على القبور لم نجد أية رائحة تفسخ أو تحلل، مع ذلك للميت حرمة فكيف إذا كان شهيداً في سبيل الله.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يتقبلهم من الشهداء وأن يمن علينا بالنصر العظيم عاجلاً غير آجل.

قسماً بالله يا شهيد لن يذهب دمك هدراً ...

قسماً بالله لنأخذن بثأرك ولو بعد حين ....

والله لناخد بالثار من الشبيحة ومن بشار ....

يا شهيد لا تهتم بدنا نجري العاصي دم ...

السلام عليكم دار قوم مؤمنين ونحن إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثوار مدينة حماه .....

=============

قلت:هذه خلاصة الأمر عند الفقهاء:

دَفْنُ الشَّهِيدِ:

مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُدْفَنَ الشُّهَدَاءُ فِي مَصَارِعِهِمْ،وَلاَ يُنْقَلُونَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ،فَإِنَّ قَوْمًا مِنَ الصَّحَابَةِ نَقَلُوا قَتْلاَهُمْ فِي وَاقِعَةِ أُحُدٍ إِلَى الْمَدِينَةِ،فَنَادَى مُنَادِي رَسُول اللَّهِ ﷺ بِالأَْمْرِ بِرَدِّ الْقَتْلَى إِلَى مَصَارِعِهِمْ [٤٧٩]

479 -(الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف الكويتية (٢٦/ ٢٧٨) و البدائع ١ / ٣٤٤، ابن عابدين ١ / ٦١٠، وجواهر الإكليل ١ / ١١١، والقليوبي ١ / ١٣٩، وروضة الطالبين ٢ / ١٢٠، ١٣١، والمغني ٢ / ٥٠٩، ٥٣١، ٥٣٢ .) .)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ،قَالَ:خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلَهُمْ،وَقَالَ لِي أَبِي عَبْدُ اللهِ:يَا جَابِرُ،لَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ فِي نَظَّارِي أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَتَّى تَعْلَمَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُنَا،فَإِنِّي وَاللهِ لَوْلَا أَنِّي أَتْرُكُ بَنَاتٍ لِي بَعْدِي،لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيَّ،قَالَ:فَبَيْنَمَا أَنَا فِي النَّظَّارِينَ إِذْ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأَبِي،وَخَالِي عَادِلَتَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ،فَدَخَلَتْ بِهِمَا الْمَدِينَةَ لِتَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا،إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يُنَادِي:أَلَا " إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى،فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ "،فَرَجَعْنَا بِهِمَا فَدَفَنَّاهُمَا حَيْثُ قُتِلَا فَبَيْنَمَا أَنَا فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ إِذْ جَاءَنِي رَجُلٌ فَقَالَ:يَا جَابِرُ بْنَ عَبْدِ اللهِ،وَاللهِ لَقَدْ أَثَارَ أَبَاكَ عُمَّالُ مُعَاوِيَةَ،فَبَدَا فَخَرَجَ طَائِفَةٌ مِنْهُ،فَأَتَيْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي دَفَنْتُهُ،لَمْ يَتَغَيَّرْ إِلَّا مَا لَمْ يَدَعِ الْقَتْلُ – أَوِ الْقَتِيلُ – فَوَارَيْتُهُ"[480]

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ،قَالَ:خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُقَاتِلَهُمْ،فَقَالَ لِي أَبِي عَبْدِ اللَّهِ:يَا جَابِرُ لَا عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ فِي نُظَّارِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،حَتَّى تَعْلَمَ إِلَى مَا يَصِيرُ أَمْرُنَا،فَإِنِّي وَاللَّهِ لَوْلَا أَنِّي أَتْرُكُ بَنَاتٍ لِي بَعْدِي لَأَحْبَبْتُ أَنْ تُقْتَلَ بَيْنَ يَدَيَّ،فَبَيْنَا أَنَا فِي النَّظَّارِينَ،إِذْ جَاءَ ابْنُ عَمَّتِي بِأَبِي وَخَالِي،عَادَلَهُمَا عَلَى نَاضِحٍ،فَدَخَلَ بِهِمَا الْمَدِينَةَ،لِيَدْفِنَهُمَا فِي مَقَابِرِنَا،إِذْ لَحِقَ رَجُلٌ يُنَادِي:«أَلَا إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَرْجِعُوا بِالْقَتْلَى،فَتَدْفِنُوهَا فِي مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ» قَالَ:فَرَجَعْنَاهُمَا مَعَ الْقَتْلَى حَيْثُ قُتِلَتْ.[481]

دَفْنُ أَكْثَرَ مِنْ شَهِيدٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ:

يَجُوزُ دَفْنُ الرَّجُلَيْنِ أَوِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقَبْرِ الْوَاحِدِ،فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺكَانَ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ،فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺيَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ،ثُمَّ يَقُولُ:«أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ»،فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ،وَقَالَ:«أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ القِيَامَةِ»،وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ،وَلَمْ يُغَسَّلُوا،وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ "[482]

---

480 – مسند أحمد ط الرسالة (٢٣/ ٤١٩)(١٥٢٨١) صحيح

481 – صحيح ابن حبان – مخرجا (٧/ ٤٥٧)(٣١٨٤) صحيح

482 – صحيح البخاري (٢/ ٩١)(١٣٤٣)

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ:" أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا خَرَجَ لِدَفْنِ شُهَدَاءِ أُحُد قَالَ:«زَمِّلُــوهُمْ بِجِرَاحِهِمْ،فَإِنِّي أَنَا الشَّهِيدُ عَلَيْهِمْ،مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَــوْمَ الْقِيَامَــةِ يَسِيلُ دَمًا،اللَّوْنُ لَوْنُ الزَّعْفَرَانِ،وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ».قَالَ جَابِرٌ:وَكُفِّنَ أَبِــي فِــي نَمِــرَةٍ وَاحِدَةٍ،وَكَانَ يَقُولُ ﷺ:«أَيُّ هَؤُلَاءِ كَانَ أَكْثَرَ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟»،فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَــى الرَّجُــلِ قَالَ:«قَدِّمُوهُ فِي اللَّحْدِ قَبْلَ صَاحِبِهِ»،قَالُوا:وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ أَوَّلَ قَتِيلٍ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ،قَتَلَهُ سُفْيَانُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ أَبُو أَبِي الْأَعْوَرِ السُّلَمِيُّ،فَصَــلَّى عَلَيْــهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْهَزِيمَةِ،وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«ادْفِنُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَعَمْــرَو بْــنَ الْجَمُوحِ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِنَ الصَّفَاءِ»،وَقَالَ:«ادْفِنُوا هَذَيْنِ الْمُتَحَابَّيْنِ فِــي الدُّنْيَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ».قَالَ:وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رَجُلًا أَحْمَرَ،أَصْلَعَ،لَيْسَ بِالطَّوِيلِ،وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ رَجُلًا طَوِيلًا،فَعُرِفَا فَدُفِنَا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ،وَكَانَ قَبْرُهُمَا مِمَّا يَلِي الْمَسِــيلَ فَدَخَلَهُ السَّيْلُ فَحُفِرَ عَنْهُمَا وَعَلَيْهِمَا نَمِرَتَانِ وَعَبْدُ اللَّهِ قَدْ أَصَابَهُ جُرْحٌ فِي وَجْهِهِ فَيَدُهُ عَلَى جُرْحِهِ،فَأُمِيطَتْ يَدُهُ عَنْ جُرْحِهِ فَانْبَعَثَ الدَّمُ،فَرُدَّتْ يَدُهُ إِلَى مَكَانِهَا فَسَــكَنَ الــدَّمُ،قَالَ جَابِرٌ:فَرَأَيْتُ أَبِي فِي حُفْرَتِهِ كَأَنَّهُ نَائِمٌ وَمَا تَغَيَّرَ مِنْ حَالِهِ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ،فَقِيلَ لَــهُ:فَرَأَيْــتَ أَكْفَانَهُ؟ قَالَ:إِنَّمَا كُفِّنَ فِي نَمِرَةٍ خُمِرَ بِهَا وَجْهُهُ،وَجُعِلَ عَلَى رِجْلَيْــهِ الْحَرْمَلُ،فَوَجَــدْنَا النَّمِرَةَ كَمَا هِيَ وَالْحَرْمَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ عَلَى هَيْئَتِهِ،وَبَيْنَ ذَلِكَ سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً،فَشَاوَرَهُمْ جَابِرٌ فِي أَنْ يُطَيِّبَ بِمِسْكٍ فَأَبَى ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَالُوا:لَا تُحْــدِثُوا فِــيهِمْ شَيْئًا،وَحُوِّلَا مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ،وَذَلِكَ أَنَّ الْقَنَاةَ كَانَتْ تَمُرُّ عَلَيْهِمَا،وَأُخْرِجُوا رِطَابًا يَتَثَنَّوْنَ "[٤٨٣]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

483 - الطبقات الكبرى ط دار صادر (٣/ ٥٦٢) ودلائل النبوة للبيهقي محققا (٣/ ٢٩٣) صحيح

المبحث السادس عشر

الشهيدة زينب الحصني رحمها الله وطبيعة النظام الطاغوتي الطائفي الأسدي

أيها الأحبة الكرام:

لا يوجد عاقل في الأرض عنده ضمير وإحساس يرى هذه الجرائم النكراء بحق الشهيدة الحية بإذن الله زينب الحصني إلا ويشعر بالأسى والألم والحنق الشديد على مرتكبي هذه الجريمة المنقطعة النظير

لقد اتبع النظام الطاغوتي الأسدي أسلوباً جديداً قديماً في محاولة يائسة لإسكات صوت الحق،والقضاء على الانتفاضة المباركة،ألا وهي مداهمة البيوت بقوات كبيرة بعد قطع الكهرباء والاتصال ومحاصرة المكان محاصرة تامة،لكي لا يراه أحد من الخلق،ونسي هؤلاء الكفرة الفجرة أن عين الله لا تنام { يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ } [المجادلة:٦]

وبعد مداهمة البيوت والعبث بها وترويع الآمنين وإلقاء القبض على أي واحد يمكن أن يكون مع الثورة المباركة .... والنهب السلب ....

فإن لم يجدوه يأخذون الأطفال والنساء رهينة حتى يسلم نفسه،فيصبح المرء بين خيارين أحلاهما مرٌّ ...

فإن لم يسلم نفسه لهم فسوف ينكلون بهؤلاء الصبية الذين لا يحتملون العذاب ...

وإن سلَّم نفسه فقد يكون مصيره التعذيب حتى الموت والتمثيل به ....

وقصة الشهيدة زينب رحمها الله هي قصة الكثيرين والكثيرات الذين ألقى زبانية النظام الفرعوني الطائفي في سوريا القبض عليهم كرهائن سواء من أجل الحصول على المال أو من أجل تسليم أقرباءهم أنفسهم للعصابات الأسدية .....

وهؤلاء المجرمون اختطفوا عددا غير قليل من النساء واغتصبوهن بالجملة،وبعد ذلك تفننوا في تعذيبهن ثم قتلهن،ثم التمثيل بهن وتقطيعهن إلى أشلاء ممزقة،بل وتسليم الجثة – إن لم

تدفن في مقبرة جماعية – لأهلها بعد أن يوقعوا على وثيقة أن الذي قتل ابنتهم –أو ابنهم هم العصابات المسلحة ....

نعم

إن الذي قتل ابنهم وابنتهم العصابات الأسدية المسلحة ولا يوجد في سورية عصابات مسلحة سواهم

ونأخذ من مثل هذه الحوادث المتكررة يوميا ما يلي:

أولا– هذا النظام الفرعوني من القاعدة لرأس الهرم جميعا من فصيلة واحدة لا يمتون للإنسانية بأية صلة أبداً

ثانيا– كلهم مشتركون في الجريمة لا ينكرها أحد منهم ...

إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا } [نوح:٢٧]

فَإِنَّكَ يَا رَبِّ إِنْ أَبْقَيْتَ أَحَداً مِنْهُمْ حَيّاً فَإِنَّهُمْ سَيَعْمَلُونَ عَلَى إِضْلاَلِ عِبَادِكَ . وَصَرْفِهِمْ عَنِ الهُدَى وَالإِيْمَانِ ، وَلاَ يَلِدُ هَؤُلاَءِ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ إِلاَّ كَفَرَةً فَجَرَةً مِنْ أَمْثَالِهِمْ .[٤٨٤]

ثالثا– هؤلاء القوم لا يعرفون إنسانية ولا قيما تعارف عليها البشر أو دعت إليها الرسل

فهم قوم متوحشون يتصفون بالغدر والخيانة والبطش والحقد .....وربما من أهم أسباب ذلك أنهم يبيحون كل المحرمات ومنها الزنا،فهو عندهم أسهل من شرب الماء،ومن ثم من النادر أن تجد أحدا منهم نظيف الأصل ....

رابعا– من المستحيل اللقاء معهم على أي صعيد،أو الثقة بهم أبدا

---

484 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٥٣٢٤، بترقيم الشاملة آليا)

قال تعالى: { كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)} [التوبة:٨ - ١٠]

كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله وهم لا يعاهدونكم إلا في حال عجزهم عن التغلب عليكم. ولو ظهروا عليكم وغلبوكم لفعلوا بكم الأفاعيل في غير مراعاة لعهد قائم بينهم وبينكم، وفي غير ذمة يرعونها لكم أو في غير تحرج ولا تذمم من فعل يأتونه معكم! فهم لا يرعون عهدا، ولا يقفون كذلك عند حد في التنكيل بكم ولا حتى الحدود المتعارف عليها في البيئة والتي يذمون لو تجاوزوها. فهم لشدة ما يكنونه لكم من البغضاء يتجاوزون كل حد في التنكيل بكم، لو أنهم قدروا عليكم. مهما يكن بينكم وبينهم من عهود قائمة. فليس الذي يمنعهم من أي فعل شائن معكم أن تكون بينكم وبينهم عهود إنما يمنعهم أنهم لا يقدرون عليكم ولا يغلبونكم! ..

وإذا كانوا اليوم - وأنتم أقوياء - يرضونكم بأفواههم بالقول اللين والتظاهر بالوفاء بالعهد. فإن قلوبهم تنغل عليكم بالحقد وتأبى أن تقيم على العهد فما بهم من وفاء لكم ولا ود!

«وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ. اشْتَرَوْا بِآياتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ. إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ» ..

وهذا هو السبب الأصيل لهذا الحقد الدفين عليكم، وإضمار عدم الوفاء بعهودكم، والانطلاق في التنكيل بكم - لو قدروا - من كل تحرج ومن كل تذمم .. إنه الفسوق عن دين الله، والخروج عن هداه. فلقد آثروا على آيات الله التي جاءتهم ثمنا قليلا من عرض هذه الحياة الدنيا يستمسكون به ويخافون فوته. وقد كانوا يخافون أن يضيع عليهم الإسلام شيئامن مصالحهم أو أن يكلفهم شيئا من أموالهم! فصدوا عن سبيل الله بسبب شرائهم هذا الثمن القليل بآيات الله. صدوا أنفسهم وصدوا غيرهم (فسيجيء أنهم أئمة الكفر) .. أما فعلهم هذا فهو الفعل السيئ الذي يقرر الله سوءه الأصيل:

«إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ! » ..

ثم إنهم لا يضمرون هذا الحقد لأشخاصكم ولا يتبعون تلك الخطة المنكرة معكم بذواتكم .. إنهم يضطغنون الحقد لكل مؤمن ويتبعون هذا المنكر مع كل مسلم .. إنهم يوجهون حقدهم وانتقامهم لهذه الصفة التي أنتم عليها .. للإيمان ذاته .. كما هو المعهود في كل أعداء الصفوة الخالصة من أهل هذا الدين، على مدار التاريخ والقرون .. فكذلك قال السحرة لفرعون وهو يتوعدهم بأشد أنواع التعذيب والتنكيل والتقتيل: «وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا» .. وكذلك قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأهل الكتاب بتوجيه من ربه: «قل: يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله؟ » وقال سبحانه عن أصحاب الأخدود الذين أحرقوا المؤمنين: «وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ». فالإيمان هو سبب النقمة، ومن ثم هم يضطغنون الحقد لكل مؤمن، ولا يراعون فيه عهدا ولا يتذممون من منكر: «لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلا ذِمَّةً، وَأُولئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ» .. فصفة الاعتداء أصيلة فيهم .. تبدأ من نقطة كرههم للإيمان ذاته وصدودهم عنه وتنتهي بالوقوف في وجهه وتربصهم بالمؤمنين وعدم مراعاتهم لعهد معهم ولا صلة، إذا هم ظهروا عليهم وأمنوا بأسهم وقوتهم. وعندئذ يفعلون بهم الأفاعيل غير مراعين لعهد قائم، ولا متحرجين ولا متذممين من منكر يأتونه معهم .. وهم آمنون ..![485]

إن المسلمين يواجهون أعداء يتربصون بهم ولا يقعد هؤلاء الأعداء عن الفتك بالمسلمين بلا شفقة ولا رحمة إلا عجزهم عن ذلك. لا يقعدهم عهد معقود، ولا ذمة مرعية، ولا تحرج من مذمة، ولا إبقاء على صلة .. ووراء هذا التقرير تاريخ طويل، يشهد كله بأن هذا هو الخط الأصيل الذي لا ينحرف إلا لطارئ زائل، ثم يعود فيأخذ طريقه المرسوم! هذا التاريخ الطويل من الواقع العملي بالإضافة إلى طبيعة المعركة المحتومة بين منهج الله الذي يخرج الناس من العبودية للعباد ويردهم إلى عبادة الله وحده، وبين مناهج الجاهلية التي تعبد الناس للعبيد .. يواجهه المنهج الحركي الإسلامي بتوجيه من الله سبحانه، بهذا

485 – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢١٨٠)

الحسم الصريح: «فَإِنْ تابُوا وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ فَإِخْوانُكُمْ فِي الـدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» .. «وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» ..

فإما دخول فيما دخل فيه المسلمون، وتوبة عما مضى من الشرك والاعتداء. وعندئذ يصفح الإسلام والمسلمون عن كل ما لقوا من هؤلاء المشركين المعتدين وتقوم الوشيجة على أساس العقيدة ويصبح المسلمون الجدد إخوانا للمسلمين القدامى ويسقط ذلك الماضي كله بمساءاته من الواقع ومن القلوب! [٤٨٦]

خامساً – ما فعلوه بزينب رحمها وغيرها كحمزة الخطيب رحمه الله يدلُّ على طبيعة واحدة ونفسية واحدة

وهي الحقد والغيظ من أهل السنة في سورية،وما جيء بهم للحكم إلا لسحق أهل السنة وتنفيذ مخططات أعداء الإسلام كلها ....لأنهم لا ينتمون لوطن ولا يخلصون إلا لأبناء جلدتهم

سادسا– الذين يقومون بخطف النساء والأطفال والعزل هم من أبناء هذه الطائفة الخبيثة

وهذا الذي كان يختطف النساء في بابا عمرو تبين أنه من قرية المزرعة وهي قرية شيعية رافضية خبيثة ..... فهذه هي الوحدة الوطنية التي كان يتشدق بها النظام ....

والحمد لله قد نال هذا المجرم نصيبه البارحة بما يستحق

سابعا–هم يفعلون ذلك من أجل إرهاب أهل السنة لكي يستسلموا للطاغية الصنم بشار الأسد وعصاباته المجرمة ...

486 – في ظلال القرآن للسيد قطب–ط١ – ت– علي بن نايف الشحود (ص: ٢١٨١)

كما قال فرعون للسحرة لما آمنوا:{ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦) } [الأعراف:١٢٣ - ١٢٦]

وَأَدْرَكَ فِرْعَوْنَ الأَثْرَ العَظِيمَ الذي تَرَكَتْهُ فِي نُفُوسِ الشَّعْبِ ، هَزِيمَةُ جَمِيعِ السَّحَرَةِ ، الذي حَشَدَهُمْ ، أَمَامَ عَصَا مُوسَى ، ثُمَّ مَا تَبِعَ ذَلِكَ مِنْ إِيمَانِ السَّحَرَةِ بِاللهِ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ، وَإِعْلاَنِهِمْ إِيمَانَهُمْ ، أَمَامَ فِرْعَونَ وَجُمُوعِهِ ، بِالسُّجُودِ للهِ ، وَهذَا يَعْنِي كُفْرَهُمْ بِأُلُوهِيَّةِ فِرْعَونَ وَعِبَادَتِهِ ، فَأَدْرَكَ سُوءَ عَاقِبَةِ جَمِيعِ ذلكَ عَلَيْهِ ، فَأَرَادَ إِزَالَةَ هذَا الأَثْرِ مِنْ نُفُوسِ الشَّعْبِ ، وَإِلْهَاءِ الشَّعْبِ بِشَيءٍ آخَرَ ، فَأَخَذَ يَتَوَعَّدُ السَّحَرَةَ لإِيمَانِهِمْ بِرَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ وَبِنُبُوَّتِهِمَا ، قَبْلَ أَنْ يَأْذَنَ هُوَ لَهُمْ بِذَلِكَ ، وَاتَّهَمَهُمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُتَوَاطِئِينَ فِي ذَلِكَ مَعَ مُوسَى وَهَارُونَ ، عَلَى أَنْ يَغْلِبَهُمْ مُوسَى ، وَقَدْ تَمَّ ذَلِكَ عَنْ سَبْقِ اتِّفَاقٍ وَتَشَاوُرٍ مَعَهُما ، وَذلِكَ لِيُتِيحُوا لَهُمَا إِخْرَاجَ قَوْمِهِمَا مِنْ مِصْرَ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُمْ سَيَعْلَمُونَ مَا سَيَصْنَعُهُ بِهِمْ .

ثُمَّ شَرَحَ لَهُمْ مَا سَوْفَ يَصْنَعُهُ بِهِمْ ، وَهُوَ أَنَّهُ سَيَقْطَعُ أَيْدِيَهُمْ وَأَرْجُلَهُمْ ، بِصُورَةٍ مُتَخَالِفَةٍ ، فَيَقْطَعُ اليَدَ اليُمْنَى وَالرِّجْلَ اليُسْرَى ، أَوْ يَقْطَعُ اليَدَ اليُسْرَى وَالرِّجْلَ اليُمْنَى ، ثُمَّ أَنَّهُ سَيَصْلُبُهُمْ جَمِيعاً عَلَى جُذُوعِ النَّخْلِ حَتَّى يَمُوتُوا ، لِيَكُونُوا عِبْرَةً لِغَيْرِهِمْ .

فَقَالَ السَّحَرَةُ يَرُدُّونَ عَلَى تَهْدِيدِ فِرْعَوْنَ : إِنَّنَا نَعْلَمُ يَقِيناً أَنَّنَا سَنَرْجِعُ إِلى اللهِ رَبِّنَا ، وَعَذَابُهُ تَعَالَى أَشَدَّ مِنْ عذَابِكَ ، وَنَكَالُهُ عَلَى مَا أَكْرَهْتَنا عَلَيهِ مِنْ مُمَارَسَةِ السِّحْرِ لِمُعَارَضَةِ الحَقِّ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، أَعْظَمُ مِنْ نَكَالِكَ ، لِذلكَ فَإِنَّنَا سَنَصْبِرُ عَلَى أَذَاكَ لِنَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ .

وَنَحْنُ لَمْ نَرْتَكِبْ إِثْماً أَوْ جُرْماً تَنْقِمُ بِهِ عَلَينا ، وَالشَّيءُ الوَحِيدُ الذي تُؤاخِذُنَا عَليه هُوَ أَنَّنَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا آيَاتُهُ . ثُمَّ اتَّجَهَ السَّحَرَةُ بِالدُّعَاءِ إِلى اللهِ تَعَالَى قَائِلِينَ : اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى

دِينكَ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الأَذَى الذِي سَيُلْحِقُهُ فِرْعَوْنُ بنا ، وَتَوَفَّنَا وَنَحْنُ مُتَّبِعُونَ دِينَكَ وَنَبِسَّكَ ، مُسْتَسْلِمُونَ لِقَضَائِكَ .[٤٨٧]

هكذا .. «آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ! » .. كأنما كان عليهم أن يستأذنوه في أن تنتفض قلوبهم للحق – وهم أنفسهم لا سلطان لهم عليها – أو يستأذنوه في أن ترتعش وجداناتهم – وهم أنفسهم لا يملكون من أمرها شيئا – أو يستأذنوه في أن تشرق أرواحهم – وهم أنفسهم لا يمسكون مداخلها. أو كأنما كان عليهم أن يدفعوا اليقين وهو ينبت من الأعماق. أو أن يطمسوا الإيمان وهو يترقرق من الأغوار. أو أن يحجبوا النور وهو ينبعث من شعاب اليقين! ولكنه الطاغوت جاهل غبي مطموس وهو في الوقت ذاته متعجرف متكبر مغرور!

ثم إنه الفزع على العرش المهدد والسلطان المهزوز: «إِنَّ هذا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْها أَهْلَها» .. وفي نص آخر: «إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ»! والمسألة واضحة المعالم .. إنها دعوة موسى إلى «رب العالمين» .. هي التي تزعج وتخيف .. إنه لا بقاء ولا قرار لحكم الطواغيت مع الدعوة إلى رب العالمين. وهم إنما يقوم ملكهم على تنحية ربوبية الله للبشر بتنحية شريعته. وإقامة أنفسهم أربابا من دون الله يشرعون للناس ما يشاءون، ويعبدون الناس لما يشرعون! .. إنهما منهجان لا يجتمعان ... أو هما دينان لا يجتمعان .. أو هما ربان لا يجتمعان .. وفرعون كان يعرف وملؤه كانوا يعرفون .. ولقد فزعوا للدعوة من موسى وهارون إلى رب العالمين. فأولى أن يفزعوا الآن وقد ألقي السحرة ساجدين. قالوا: آمنا برب العالمين. رب موسى وهارون! والسحرة من كهنة الديانة الوثنية التي تؤله فرعون، وتمكنه من رقاب الناس باسم الدين! وهكذا أطلق فرعون ذلك التوعد الوحشي الفظيع: «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ، ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ» ..

إنه التعذيب والتشويه والتنكيل .. وسيلة الطواغيت في مواجهة الحق، الذي لا يملكون دفعه بالحجة والبرهان .. وعدة الباطل في وجه الحق الصريح ..

---

487 – أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ١٠٧٨، بترقيم الشاملة آليا)

ولكن النفس البشرية حين تستعلن فيها حقيقة الإيمان تستعلي على قوة الأرض، وتستهين ببأس الطغاة وتنتصر فيها العقيدة على الحياة، وتحتقر الفناء الزائل إلى جوار الخلود المقيم. إنها لا تقف لتسأل: ماذا ستأخذ وماذا ستدع؟ ماذا ستقبض وماذا ستدفع؟ ماذا ستخسر وماذا ستكسب؟ وماذا ستلقى في الطريق من صعاب وأشواك وتضحيات؟ .. لأن الأفق المشرق الوضيء أمامها هناك، فهي لا تنظر إلى شيء في الطريق .. «قالُوا: إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ .. وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا. ربنا أفرغ علينا صبرا، وتوفنا مسلمين» ..

إنه الإيمان الذي لا يفزع ولا يتزعزع. كما أنه لا يخضع أو يخنع. الإيمان الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويستيقن من الرجعة إلى ربه فيطمئن إلى جواره: «قالُوا: إِنَّا إِلى رَبِّنا مُنْقَلِبُونَ» ..والذي يدرك طبيعة المعركة بينه وبين الطاغوت .. وأنها معركة العقيدة في الصميم .. لا يداهن ولا يناور .. ولا يرجو الصفح والعفو من عدو لن يقبل منه إلا ترك العقيدة، لأنه إنما يحاربه ويطارده على العقيدة: «وَما تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآياتِ رَبِّنا لَمَّا جاءَتْنا» ..

والذي يعرف أين يتجه في المعركة، وإلى من يتجه لا يطلب من خصمه السلامة والعافية، إنما يطلب من ربه الصبر على الفتنة والوفاة على الإسلام: «رَبَّنا أَفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَتَوَفَّنا مُسْلِمِينَ» ..

ويقف الطغيان عاجزا أمام الإيمان، وأمام الوعي، وأمام الاطمئنان .. يقف الطغيان عاجزا أمام القلوب التي خيل إليه أنه يملك الولاية عليها كما يملك الولاية على الرقاب! ويملك التصرف فيها كما يملك التصرف في الأجسام. فإذا هي مستعصية عليه، لأنها من أمر الله، لا يملك أمرها إلا الله .. وماذا يملك الطغيان إذا رغبت القلوب في جوار الله؟ وماذا يملك الجبروت إذا اعتصمت القلوب بالله؟ وماذا يملك السلطان إذا رغبت القلوب عما يملك السلطان! إنه موقف من المواقف الحاسمة في تاريخ البشرية. هذا الذي كان بين فرعون وملئه، والمؤمنين من السحرة .. السابقين ..

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بانتصار العقيدة على الحياة. وانتصار العزيمة على الألم. وانتصار «الإنسان» على «الشيطان»! إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية. بإعلان ميلاد الحرية الحقيقية. فما الحرية إلا الاستعلاء بالعقيدة على جبروت المتجبرين وطغيان الطغاة. والاستهانة بالقوة المادية التي تملك أن تتسلط على الأجسام والرقاب وتعجز عن استذلال القلوب والأرواح. ومتى عجزت القوة المادية عن استذلال القلوب فقد ولدت الحرية الحقيقية في هذه القلوب.

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية بإعلان إفلاس المادية! فهذه القلة التي كانت منذ لحظة تسأل فرعون الأجر على الفوز، وتمنى بالقرب من السلطان .. هي ذاتها التي تستعلي على فرعون وتستهين بالتهديد والوعيد، وتقبل صابرة محتسبة على التنكيل والتصليب. وما تغير في حياتها شيء، ولا تغير من حولها شيء- في عالم المادة - إنما وقعت اللمسة الخفية التي تسلك الكوكب المفرد في الدورة الكبرى. وتجمع الذرة التائهة إلى المحور الثابت، وتصل الفرد الفاني بقوة الأزل والأبد .. وقعت اللمسة التي تحوّل الإبرة، فيلتقط القلب إيقاعات القدرة، ويتسمع الضمير أصداء الهداية، وتتلقى البصيرة إشراقات النور .. وقعت اللمسة التي لا تنتظر أي تغيير في الواقع المادي ولكنها هي تغير الواقع المادي وترفع «الإنسان» في عالم الواقع إلى الآفاق التي لم يكن يطمح إليها الخيال! ويذهب التهديد .. ويتلاشى الوعيد .. ويمضي الإيمان في طريقه. لا يتلفت، ولا يتردد، ولا يحيد! ويسدل السياق القرآني الستار على المشهد عند هذا الحد ولا يزيد .. إن روعة الموقف تبلغ ذروتها وتنتهي إلى غايتها. وعندئذ يتلاقى الجمال الفني في العرض مع الهدف النفسي للقصة، على طريقة القرآن في مخاطبة الوجدان الإيماني بلغة الجمال الفني، في تناسق لا يبلغه إلا القرآن.[٤٨٨]

ولكن هيهات هيهات،فمن ذاق طعم الحرية والكرامة الإنسانية لن يستسلم أبداً ولو قطع إربا إرباً

----

[488] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١٨١٦)

ثامنا– هذه الجرائم المتكررة كل يوم توقد نار الثورة وتجعلها متقدة كلما فترت،لأنه لا يمكن الوقوف في منتصف الطريق

فلا بد من المضي قدما وبعزم أكيد حتى تحقيق النصر المؤزر بعون الله تعالى.{ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا } [النساء:١٠٤]

إنهن كلمات معدودات. يضعن الخطوط الحاسمة، ويكشفن عن الشقة البعيدة، بين جبهتي الصراع ..

إن المؤمنين يحتملون الألم والقرح في المعركة .. ولكنهم ليسوا وحدهم الذين يحتملونه .. إن أعداءهم كذلك يتألمون وينالهم القرح واللأواء .. ولكن شتان بين هؤلاء وهؤلاء .. إن المؤمنين يتوجهون إلى الله بجهادهم، ويرتقبون عنده جزاءهم .. فأما الكفار فهم ضائعون مضيعون، لا يتجهون لله، ولا يرتقبون عنده شيئا في الحياة ولا بعد الحياة ..

فإذا أصر الكفار على المعركة، فما أجدر المؤمنين أن يكونوا هم أشد إصرارا، وإذا احتمل الكفار آلامها، فما أجدر المؤمنين بالصبر على ما ينالهم من آلام. وما أجدرهم كذلك أن لا يكفوا عن ابتغاء القوم ومتابعتهم بالقتال، وتعقب آثارهم، حتى لا تبقى لهم قوة، وحتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله.

وإن هذا لهو فضل العقيدة في الله في كل كفاح. فهناك اللحظات التي تعلو فيها المشقة على الطاقة، ويربو الألم على الاحتمال. ويحتاج القلب البشري إلى مدد فائض وإلى زاد. هنالك يأتي المدد من هذا المعين، ويأتي الزاد من ذلك الكنف الرحيم.

ولقد كان هذا التوجيه في معركة مكشوفة متكافئة. معركة يألم فيها المتقاتلون من الفريقين. لأن كلا الفريقين يحمل سلاحه ويقاتل.

ولربما أتت على العصبة المؤمنة فترة لا تكون فيها في معركة مكشوفة متكافئة .. ولكن القاعدة لا تتغير.

فالباطل لا يكون بعافية أبدا، حتى ولو كان غالبا! إنه يلاقي الآلام من داخله. من تناقضه الداخلي ومن صراع بعضه مع بعض. ومن صراعه هو مع فطرة الأشياء وطبائع الأشياء.

وسبيل العصبة المؤمنة حينئذ أن تحتمل ولا تنهار. وأن تعلم أنها إن كانت تألم، فإن عدوها كذلك يألم.والألم أنواع. والقرح ألوان .. «وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ» .. وهذا هو العزاء العميق. وهذا هو مفرق الطريق .. «وَكانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً» .. يعلم كيف تعتلج المشاعر في القلوب. ويصف للنفس ما يطب لها من الألم والقرح ..[489]

تاسعا- العالم كله يرى هذه الجرائم التي لا يحتملها عقل وهو ساكت يتفرج على ذبحنا والتمثيل بنا كل يوم

وأقصى ما عنده سوف نحقق بالموضوع،وربما إن ثبت أن يرقى لجرائم ضد الإنسانية !!!!

وهم الذين وضعوا الأسود علينا وهم الذين يدعمونهم ليل نهار ويحمون عروشهم،وهم الذين يتعاونون معهم بالسر والعلانية لسحق الصحوة الإسلامية باسم محاربة الإرهاب والتطرف ..... {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) } [البقرة]

ومتى كان هؤلاء الكفار عندهم رحمة أو إنسانية أصلاً ؟؟؟!!!!

عاشرا – علماء الطاغوت النصيري وعلى رأسهم البوطي لا يعدمون الوسيلة والحيلة لتبرير كل جرائم النظام الفرعوني

وسوف يقولون لك مباشرة:

لا تبحثوا عن النتيجة وابحثوا عن السبب وهو أن أهلها قاموا يتظاهرون ويعلنون إسقاط النظام،فلولا فعلتهم الشنعاء هذه لما ألقي القبض عليها وفعل بها ما فعل ......!!!!!!

ونحن نقول له ولأمثاله من المنافقين:

نحن لا ننظر إلى النتيجة وهي دفاعكم المستميت عن النظام الفرعوني في سورية ولكن ننظر إلى السبب وهو أنكم ممن استحب العمى على الهدى،وباع دينه بثمن بخس فتبا لكم ، فعَنْ أَبِي تَمِيمٍ الْجَيْشَانِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ ، يَقُولُ : كُنْتُ مُخَاصِرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

---

[489] - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ١١١٢)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا إِلَى مَنْزِله ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِي مِنَ الدَّجَّالِ فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَدْخُلَ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَيُّ شَيْءٍ أَخْوَفُ عَلَى أُمَّتِكَ مِنَ الدَّجَّالِ ؟ قَالَ : الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ.[490]

الحادي عشر – هناك علماء في داخل الشام أعرفهم جيدا إلى الآن لا نسمع لهم صوتا ذا قيمة يؤثر في مسار الثورة السورية

فإن تكلموا تكلموا على استحياء ..... أو سكتوا سكوت الأموات ....

ربما انعدمت الغيرة عندهم لهذا الحد ....المهم أن يسلموا هم وذريتهم ومشاريعهم ....

وهناك قلة قليلة من أهل العلم قد صدعوا بالحق فهنيئا لهم ... وهم تاج ثورتنا المباركة

الثاني عشر– أما حكام العرب فلا تهمهم هذه الجرائم

وهم الذين يدعمون النظام الإجرامي في سورية إلى الآن إما خوفا على أنفسهم أو إرضاء لأسيادهم .... وإن تكلموا تكلموا بكلام لا يسمن ولا يغني من جوع،فقد انعدمت عندهم النخوة العربية والإسلامية،فلو ذبح جميع المسلمين على قارعة الطريق لا يتحرك لهم ضمير – لأنهم منعدمو الضمير – المهم بقاؤهم على العروش

وحذاء المعتصم رحمه الله خير منهم جميعا الذي استغاثت به امرأة مسلمة أسرها الروم فجهز جيشا عرمرما وغزا الروم ومرغ أنفهم في التراب،وأعطاهم درساً ما بعده درس

ففي كتب التاريخ أن أمير المؤمنين المعصم بلغه أنّ هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم:وا معتصماه! فأجاب وهو على سريره لبيك،لبيك! ونادى بالنفير ونهض من ساعته فركب دابته واحتقب شكالا وسكة من حديد فيها رداؤه. وجمع العساكر وأحضر قاضي بغداد

[490] – مسند أحمد (عالم الكتب) (٧/ ١٤٧)(٢١٢٩٧) ٢١٦٢٢– صحيح لغيره

عبد الرحمن بن إسحاق ومعه ابن سهل في ثلاثمائة وثلاثين من العدول فأشهدهم بما وقف من الضياع،ثلثا لولده وثلثا لمواليه،وثلثا لوجه الله..... [٤٩١]

وصدق الشاعر العربي الشريف عمر أبو ريشة رحمه الله:

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتّم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

أمتي كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عبيد الدرهم

الثالث عشر – أما الذين لا يبالون بما يجري من مجازر على الأرض الشامية سواء كانوا في الداخل أو في الخارج،فنقول لهم:سوف يأتيكم ما أتانا وزيادة

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ،وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِإِمَامِهِ وَلِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ» [٤٩٢]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ،عَنْ أَبِيهِ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:«مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَلَمْ يَنْصُرْهُ،وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ،أَذَلَّهُ اللهُ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [٤٩٣]

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ فَلَمْ يَنْصُرْهُ أَذَلَّهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ،وَمَنْ أَكَلَ بِمُؤْمِنٍ أَكْلَةً أَطْعَمَهُ اللهُ مِثْلَهَا مِنْ طَعَامِ أَهْلِ النَّارِ،وَمَنْ لَبِسَ بِمُؤْمِنٍ لُبْسَةً أَلْبَسَهُ اللهُ مِثْلَهَا مِنْ لِبَاسِ أَهْلِ النَّارِ " [٤٩٤]

وعن مُحَمَّدَ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَمْزَةَ الْحَضْرَمِيِّ،قَالَ:سَمِعْتُ أَبِي قَالَ:وَلَّانِي الْمَهْدِيُّ الْقَضَاءَ،ثُمَّ قَالَ:يَا يَحْيَى،عَلَيْكَ بِالْحَقِّ،وَالشَّدِّ بِيَدَيِ الْمَظْلُومِ،وَقَمْعِ الظَّالِمِ،فَإِنِّي سَمِعْتُ

---

491 – وانظر التفاصيل في الإنباء في تاريخ الخلفاء (ص: ١٠٦) والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم (١١/ ٢٩) وتاريخ ابن خلدون (٣/ ٣٢٧) وتجارب الأمم وتعاقب الهمم (٤/ ٢٢١)

492 – المعجم الأوسط (٧/ ٢٧٠)(٧٤٧٣) حسن لغيره

493 – المعجم الكبير للطبراني (٦/ ٧٣)(٥٥٥٤) حسن لغيره

494 – شعب الإيمان (١٠/ ١٠٠)(٧٢٢٧) حسن لغيره

أَبِي،يَقُولُ:عَنْ أَبِيهِ،عَنْ جَدِّهِ،عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" قَالَ رَبُّكَ:وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْتَقِمَنَّ مِنَ الظَّالِمِ فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ،أَوْ فِي آجِلِهِ،وَلَأَنْتَقِمَنَّ مِمَّنْ رَأَى مَظْلُومًا يُظْلَمُ،فَقَدَرَ أَنْ يَنْصُرَهُ،فَلَمْ يَفْعَلْ لَهُ "[495]

الرابع عشر – إن هذه الجرائم التي يبتكرها هذا النظام الخبيث الفرعوني الطائفي النجس لتعجل بزواله قريبا بإذن الله تعالى

لأن أفعاله هذه تزيد من غضب الله تعالى عليهم،ومن غضب الناس بل والمخلوقات جميعا قال تعالى:{وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٣) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٤) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٦) } [الزخرف]

إن ملك مصر وهذه الأنهار التي تجري من تحت فرعون، أمر قريب مشهود للجماهير، يبهرها وتستخفها الإشارة إليه. فأما ملك السماوات والأرض وما بينهما – ومصر لا تساوي هباءة فيه – فهو أمر يحتاج إلى قلوب مؤمنة تحسه، وتعقد الموازنة بينه وبين ملك مصر الصغير الزهيد! والجماهير المستعبدة المستغفلة يغريها البريق الخادع القريب من عيونها ولا تسمو قلوبها ولا عقولها إلى تدبر ذلك الملك الكوني العريض البعيد! ومن ثم عرف فرعون كيف يلعب بأوتار هذه القلوب ويستغفلها بالبريق القريب! «أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكادُ يُبِينُ؟ ». وهو يعني بالمهانة أن موسى ليس ملكا ولا أميرا ولا صاحب سطوة ومال مشهود. أم لعله يشير بهذا إلى أنه من ذلك الشعب المستعبد المهين. شعب إسرائيل. أما قوله: «وَلا يَكادُ يُبِينُ» فهو استغلال لما كان معروفا عن موسى قبل خروجه من مصر من حبسة اللسان. وإلا فقد استجاب الله سؤاله حين دعاه: «رَبِّ

---

495 – مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٩١)(٦٢٣) والمعجم الكبير للطبراني (١٠/ ٢٧٨)(١٠٦٥٢) فيه جهالة

اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي» .. وحلت عقدة لسانه فعلا، وعاد يبين.

وعند الجماهير الساذجة الغافلة لا بد أن يكون فرعون الذي له ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحته، خيرا من موسى – عليه السّلام – ومعه كلمة الحق ومقام النبوة ودعوة النجاة من العذاب الأليم! «فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ؟ » .. هكذا. من ذلك العرض التافه الرخيص! أسورة من ذهب تصدق رسالة رسول! أسورة من ذهب تساوي أكثر من الآيات المعجزة التي أيد الله بها رسوله الكريم! أم لعله كان يقصد من إلقاء أسورة الذهب تتويجه بالملك، إذ كانت هذه عادتهم، فيكون الرسول ذا ملك وذا سلطان؟

«أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ» .. وهو اعتراض آخر له بريق خادع كذلك من جانب آخر، تؤخذ به الجماهير، وترى أنه اعتراض وجيه! وهو اعتراض مكرور، ووجه به أكثر من رسول! «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ، إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» .. واستخفاف الطغاة للجماهير أمر لا غرابة فيه فهم يعزلون الجماهير أولا عن كل سبل المعرفة، ويحجبون عنهم الحقائق حتى ينسوها، ولا يعودوا يبحثون عنها ويلقون في روعهم ما يشاءون من المؤثرات حتى تنطبع نفوسهم بهذه المؤثرات المصطنعة. ومن ثم يسهل استخفافهم بعد ذلك، ويلين قيادهم، فيذهبون بهم ذات اليمين وذات الشمال مطمئنين! ولا يملك الطاغية أن يفعل بالجماهير هذه الفعلة إلا وهم فاسقون لا يستقيمون على طريق، ولا يمسكون بحبل الله، ولا يزنون بميزان الإيمان. فأما المؤمنون فيصعب خداعهم واستخفافهم واللعب بهم كالريشة في مهب الريح. ومن هنا يعلل القرآن استجابة الجماهير لفرعون فيقول: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطاعُوهُ. إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ» .. ثم انتهت مرحلة الابتلاء والإنذار والتبصير وعلم الله أن القوم لا يؤمنون وعمت الفتنة فأطاعت الجماهير فرعون الطاغية المتباهي في خيلاء، وعشت عن الآيات البينات والنور فحقت كلمة الله وتحقق النذير: «فَلَمَّا آسَفُونا انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ أَجْمَعِينَ، فَجَعَلْناهُمْ سَلَفاً وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ» ..

يتحدث الله سبحانه عن نفسه في مقام الانتقام والتدمير إظهارا لغضبه ولجبروته في هذا المقام. فيقول: «فَلَمَّا آسَفُونا» .. أي أغضبونا أشد الغضب .. «انْتَقَمْنا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْناهُمْ

أَجْمَعِينَ» .. يعني فرعون وملأه وجنده. وهم الذين غرقوا على إثر موسى وقومه وجعلهم الله سلفا يتبعه كل خلف ظالم «وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ» الذين يجيئون بعدهم، ويعرفون قصـــتهم، فيعتبرون.[496]

فسيروا على برك الله تعالى وعين الله ترعاكم،فالنصر قاب قوسين أو أدنى بإذن الله تعالى

قال تعالى:{ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ } [الروم:٦٠]

إنه الصبر وسيلة المؤمنين في الطريق الطويل الشائك الذي قد يبدو أحيانا بلا نهاية!

والثقة بوعد الله الحق،والثبات بلا قلق ولا زعزعة ولا حيرة ولا شكوك ..

الصبر والثقة والثبات على الرغم من اضطراب الآخرين،ومن تكذيبهم للحق وشكهم في وعد الله. ذلك أنهم محجوبون عن العلم محرومون من أسباب الـــيقين. فأمـــا المؤمنـــون الواصلون الممسكون بحبل الله فطريقهم هو طريق الصبر والثقة واليقين. مهما يطل هـــذا الطريق،ومهما تحتجب نهايته وراء الضباب والغيوم! [497]



496 - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٤٠٠٢)

497 - في ظلال القرآن للسيد قطب-ط١ - ت- علي بن نايف الشحود (ص: ٣٥٣١)

خاتمة

في الحث على الجهاد في سبيل الله

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)} [التوبة]

وَأَعَاضَهُمْ عَلَيْهَا الْجَنَّةَ،وَأَنَّ هَذَا الْعَقْدَ وَالْوَعْدَ قَدْ أَوْدَعَهُ أَفْضَلَ كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ مِنَ السَّمَاءِ،وَهِيَ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ وَالْقُرْآنُ،ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِإِعْلَامِهِمْ أَنَّهُ لَا أَحَدَ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى،ثُمَّ أَكَّدَ ذَلِكَ بِأَنْ أَمَرَهُمْ بِأَنْ يَسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِهِمُ الَّذِي عَاقَدُوهُ عَلَيْهِ،ثُمَّ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

فَلْيَتَأَمَّلِ الْعَاقِدُ مَعَ رَبِّهِ عَقْدَ هَذَا التَّبَايُعِ،مَا أَعْظَمَ خَطَرَهُ وَأَجَلَّهُ،فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ الْمُشْتَرِي،وَالثَّمَنُ جَنَّاتُ النَّعِيمِ وَالْفَوْزُ بِرِضَاهُ،وَالتَّمَتُّعُ بِرُؤْيَتِهِ هُنَاكَ.وَالَّذِي جَرَى عَلَى يَدِهِ هَذَا الْعَقْدُ أَشْرَفُ رُسُلِهِ وَأَكْرَمُهُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ،وَإِنَّ سِلْعَةً هَذَا شَأْنُهَا لَقَدْ هُيِّئَتْ لِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَسِيمٍ:

قَدْ هَيَّئُوكَ لِأَمْرٍ لَوْ فَطِنْتَ لَهُ ...فَارْبَأْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرْعَى مَعَ الْهَمَلِ

مَهْرُ الْمَحَبَّةِ وَالْجَنَّةِ بَذْلُ النَّفْسِ وَالْمَالِ لِمَالِكِهِمَا الَّذِي اشْتَرَاهُمَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ،فَمَا لِلْجَبَانِ الْمُعْرِضِ الْمُفْلِسِ وَسَوْمِ هَذِهِ السِّلْعَةِ،بِاللَّهِ مَا هُزِلَتْ فَيَسْتَامَهَا الْمُفْلِسُونَ،وَلَا كَسَدَتْ فَيَبِيعَهَا بِالنَّسِيئَةِ الْمُعْسِرُونَ،لَقَدْ أُقِيمَتْ لِلْعَرْضِ فِي سُوقِ مَنْ يُرِيدُ،فَلَمْ يَرْضَ رَبُّهَا لَهَا بِثَمَنٍ دُونَ بَذْلِ النُّفُوسِ،فَتَأَخَّرَ الْبَطَّالُونَ،وَقَامَ الْمُحِبُّونَ يَنْتَظِرُونَ أَيُّهُمْ يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ نَفْسُهُ الثَّمَنَ،فَدَارَتِ السِّلْعَةُ بَيْنَهُمْ وَوَقَعَتْ فِي يَدِ {أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة:٥٤] [الْمَائِدَةِ:٥٤] .

لَمَّا كَثُرَ الْمُدَّعُونَ لِلْمَحَبَّةِ طُولِبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَى صِحَّةِ الـدَّعْوَى،فَلَوْ يُعْطَـى النَّـاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى الْخَلِيُّ حِرْفَةَ الشَّجِيِّ،فَتَنَوَّعَ الْمُدَّعُونَ فِي الشُّهُودِ،فَقِيلَ:لَا تَثْبُـتُ هَـذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا بِبَيِّنَةٍ {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:٣١] [آلِ عِمْرَانَ:٣١] فَتَأَخَّرَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ،وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الرَّسُـولِ فِـي أَفْعَالِـهِ وَأَقْوَالِـهِ وَهَدْيِـهِ وَأَخْلَاقِهِ،فَطُولِبُوا بِعَدَالَةِ الْبَيِّنَةِ،وَقِيلَ:لَا تُقْبَلُ الْعَدَالَةُ إِلَّا بِتَزْكِيَةٍ {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة:٥٤] [الْمَائِدَةِ:٥٤] فَتَأَخَّرَ أَكْثَـرُ الْمُـدَّعِينَ لِلْمَحَبَّـةِ،وَقَامَ الْمُجَاهِدُونَ فَقِيلَ لَهُمْ:إِنَّ نُفُوسَ الْمُحِبِّينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ فَسَلِّمُوا مَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْعَقْدُ فَإِنَّ {اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة:١١١] وَعَقْـدُ التَّبَايُعِ يُوجِبُ التَّسْلِيمَ مِنَ الْجَانِبَيْنِ،فَلَمَّا رَأَى التُّجَّارُ عَظَمَةَ الْمُشْتَرِي وَقَدْرَ الثَّمَنِ وَجَلَالَةَ قَدْرِ مَنْ جَرَى عَقْدُ التَّبَايُعِ عَلَى يَدَيْهِ وَمِقْدَارَ الْكِتَابِ الَّذِي أُثْبِتَ فِيهِ هَذَا الْعَقْدُ عَرَفُـوا أَنَّ لِلسِّلْعَةِ قَدْرًا وَشَأْنًا لَيْسَ لِغَيْرِهَا مِنَ السِّلَعِ،فَرَأَوْا مِنَ الْخُسْرَانِ الْبَيِّنِ وَالْغَـبْنِ الْفَـاحِشِ أَنْ يَبِيعُوهَا بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهَا وَشَهْوَتُهَا وَتَبْقَى تَبِعَتُهَا وَحَسْـرَتُهَا،فَإِنَّ فَاعِلَ ذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي جُمْلَةِ السُّفَهَاءِ،فَعَقَدُوا مَعَ الْمُشْتَرِي بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ رِضًى وَاخْتِيَـارًا مِنْ غَيْرِ ثُبُوتِ خِيَارٍ،وَقَالُوا:وَاللَّهِ لَا نَقِيلُكَ وَلَا نَسْتَقِيلُكَ،فَلَمَّا تَمَّ الْعَقْدُ وَسَلَّمُوا الْمَبِيعَ قِيلَ لَهُمْ:قَدْ صَارَتْ أَنْفُسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ لَنَا،وَالْآنَ فَقَدْ رَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ وَأَضْعَافَ أَمْوَالِكُمْ مَعَهَا {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران:١٦٩] [آلِ عِمْرَانَ:١٦٩] لَمْ نَبْتَعْ مِنْكُمْ نُفُوسَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ طَلَبًـا لِلـرِّبْحِ عَلَيْكُمْ،بَلْ لِيَظْهَرَ أَثَرُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ فِي قَبُولِ الْمَعِيبِ وَالْإِعْطَاءِ عَلَيْهِ أَجَـلَّ الْأَثْمَـانِ،ثُمَّ جَمَعْنَا لَكُمْ بَيْنَ الثَّمَنِ وَالْمُثَمَّنِ.

تَأَمَّلْ قِصَّةَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ " وَقَدِ اشْتَرَى مِنْهُ ﷺ بَعِيرَهُ،ثُمَّ وَفَّاهُ الثَّمَنَ وَزَادَهُ،وَرَدَّ عَلَيْـهِ الْبَعِيرَ،وَكَانَ أَبُوهُ قَدْ قُتِلَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ،فَذَكَّرَهُ بِهَذَا الْفِعْلِ حَالَ أَبِيـهِ مَـعَ اللَّهِ،وَأَخْبَرَهُ («أَنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُ،وَكَلَّمَهُ كِفَاحًا،وَقَالَ:يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ») ".

فَسُبْحَانَ مَنْ عَظُمَ جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يُحِيطَ بِهِ عِلْمُ الْخَلَائِقِ،فَقَدْ أَعْطَـى السِّـلْعَةَ،وَأَعْطَى الثَّمَنَ،وَوَفَّقَ لِتَكْمِيلِ الْعَقْدِ،وَقَبِلَ الْمَبِيعَ عَلَى عَيْبِهِ،وَأَعَاضَ عَلَيْهِ أَجَلَّ الْأَثْمَانِ،وَاشْتَرَى عَبْدَهُ

مِنْ نَفْسِهِ بِمَالِهِ،وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الثَّمَنِ وَالْمُثَمَّنِ،وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَدَحَهُ بِهَذَا الْعَقْدِ،وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي وَفَّقَهُ لَهُ وَشَاءَهُ مِنْهُ.

فَحَيَّهَلَا إِنْ كُنْتَ ذَا هِمَّةٍ فَقَدْ ...حَدَا بِكَ حَادِي الشَّوْقِ فَاطْوِ الْمَرَاحِلَا

وَقُلْ لِمُنَادِي حُبِّهِمْ وَرِضَاهُمْ ...إِذَا مَا دَعَا لَبَّيْكَ أَلْفًا كَوَامِلَا

وَلَا تَنْظُرِ الْأَطْلَالَ مِنْ دُونِهِمْ فَإِنْ ...نَظَرْتَ إِلَى الْأَطْلَالِ عُدْنَ حَوَائِلَا

وَلَا تَنْتَظِرْ بِالسَّيْرِ رِفْقَةَ قَاعِدٍ ...وَدَعْهُ فَإِنَّ الشَّوْقَ يَكْفِيكَ حَامِلَا

وَخُذْ مِنْهُمْ زَادًا إِلَيْهِمْ وَسِرْ عَلَى ...طَرِيقِ الْهُدَى وَالْحُبِّ تُصْبِحْ وَاصِلَا

وَأَحْيِ بِذِكْرَاهُمْ شِرَاكَ إِذَا دَنَتْ ...رِكَابُكَ فَالذِّكْرَى تُعِيدُكَ عَامِلَا

وإِمَّا تَخَافَنَّ الْكَلَالَ فَقُلْ لَهَا ...أَمَامَكِ وِرْدُ الْوَصْلِ فَابْغِي الْمَنَاهِلَا

وَخُذْ قَبَسًا مَنْ نُورِهِمْ ثُمَّ سِرْ بِهِ ...فَنُورُهُمْ يَهْدِيكَ لَيْسَ الْمَشَاعِلَا

وَحَيِّ عَلَى وَادِي الْأَرَاكِ فَقِلْ بِهِ ...عَسَاكَ تَرَاهُمْ ثَمَّ إِنْ كُنْتَ قَائِلَا

وَإِلَّا فَفِي نَعْمَانَ عِنْدِي مُعَرِّفُ الْـــ ...أَحِبَّةِ فَاطْلُبْهُمْ إِذَا كُنْتَ سَائِلَا

وَإِلَّا فَفِي جَمْعٍ بِلَيْلَتِهِ فَإِنْ ...تَفُتْ فَمِنًى يَا وَيْحَ مَنْ كَانَ غَافِلَا

وَحَيِّ عَلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فَإِنَّهَا ...مَنَازِلُكَ الْأُولَى بِهَا كُنْتَ نَازِلَا

وَلَكِنْ سَبَاكَ الْكَاشِحُونَ لِأَجْلِ ذَا ...وَقَفْتَ عَلَى الْأَطْلَالِ تَبْكِي الْمَنَازِلَا

وَحَيِّ عَلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ بِجَنَّةِ الْـــ ...خُلُودِ فَجُدْ بِالنَّفْسِ إِنْ كُنْتَ بَاذِلَا

فَدَعْهَا رُسُومًا دَارِسَاتٍ فَمَا بِهَا ...مَقِيلٌ وَجَاوِزْهَا فَلَيْسَتْ مَنَازِلَا

رُسُومًا عَفَتْ يَنْتَابُهَا الْخَلْقُ كَمْ بِهَا ...قَتِيلٌ وَكَمْ فِيهَا لِذَا الْخَلْقِ قَاتِلَا

وَخُذْ يَمْنَةً عَنْهَا عَلَى الْمَنْهَجِ الَّذِي ...عَلَيْهِ سَرَى وَفْدُ الْأَحِبَّةِ آهِلَا

وَقُلْ سَاعِدِي يَا نَفْسُ بِالصَّبْرِ سَاعَةً ...فَعِنْدَ اللِّقَا ذَا الْكَدُّ يُصْبِحُ زَائِلَا

فَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقَضِي ...وَيُصْبِحُ ذُو الْأَحْزَانِ فَرْحَانَ جَاذِلَا

لَقَدْ حَرَّكَ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ وَإِلَى دَارِ السَّلَامِ النُّفُوسَ الْأَبِيَّةَ،وَالْهِمَمَ الْعَالِيَةَ وَأَسْمَعَ مُنَادِي الْإِيمَانِ مَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ،وَأَسْمَعَ اللَّهُ مَنْ كَانَ حَيًّا،فَهَزَّهُ السَّمَاعُ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ،وَحَدَا بِهِ فِي طَرِيقِ سَيْرِهِ،فَمَا حَطَّتْ بِهِ رِحَالُهُ إِلَّا بِدَارِ الْقَرَارِ،عَنِ

الزُّهْرِيِّ،قَالَ:أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ،أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ،قَالَ:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:«مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ،وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ،كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ،وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ،بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ،أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[498]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ،قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،لَوِ اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا،وَلَمَلَأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحًا،وَلَنَصِيفُهَا عَلَى رَأْسِهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» [499]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ قَالَ:«أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِي ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي ضَمِنْتُ لَهُ إِنْ رَجَعْتُهُ أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ،وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ وَرَحِمْتُهُ» [500]

وعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ،عَنِ النَّبِيِّ ﷺ،أَنَّهُ:كَانَ يَأْخُذُ الْوَبَرَةَ مِنْ جَنْبِ الْبَعِيرِ مِنَ الْمَغْنَمِ،وَيَقُولُ:«مَا لِي فِيهِ إِلَّا مِثْلَ مَا لِأَحَدِكُمْ،إِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ،فَإِنَّهُ خِزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،فَأَدُّوا الْخِيَاطَ،وَالْمِخْيَطَ،وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ،وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ الْقَرِيبَ،وَالْبَعِيدَ،فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ،فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُنَجِّي صَاحِبَهُ مِنَ الْهَمِّ،وَالْغَمِّ»[501]

وقال أيضا:

"لَمَّا كَثُرَ الْمُدَّعُونَ لِلْمَحَبَّةِ طُولِبُوا بِإِقَامَةِ الْبَيِّنَةِ عَلَى صِحَّةِ الدَّعْوَى.فَلَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى الْخَلِيُّ حُرْقَةَ الشَّجِيِّ.فَتَنَوَّعَ الْمُدَّعُونَ فِي الشُّهُودِ.فَقِيلَ:لَا تُقْبَلُ هَذِهِ الدَّعْوَى إِلَّا بِبَيِّنَةٍ {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران:٣١] .

---

[498] - صحيح البخاري (٤/ ١٥)(٢٧٨٧)

[ش (أعلم بمن يجاهد في سبيله) الله أعلم بنيته إن كانت خالصة لإعلاء كلمته.(كمثل الصائم القائم) من حيث الأجر والمنزلة لأنه مثله في حبس نفسه عن شهواتها.(توكل) ضمن وتكفل على وجه التفضل منه سبحانه.(مع أجر) وحده إذا لم توجد غنيمة.(أو غنيمة) إن وجدت مع تحقيق الأجر]

[499] - صحيح ابن حبان- مخرجا (١٦/ ٤١٣)(٧٣٩٩) وصحيح البخاري (٨/ ١١٧)(٦٥٦٨)

[500] - السنن الكبرى للنسائي (٤/ ٢٨٠)(٤٣١٩) صحيح

[501] - المعجم الأوسط (٦/ ١٥)(٥٦٦٠) وأمالي ابن بشران - الجزء الأول (ص: ٢١٠)(٤٨٤) والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم (٣/ ٤٣١)(١٨٦٥) صحيح لغيره وانظر زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٦٥) فما بعدها

فَتَأَخَّرَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ.وَثَبَتَ أَتْبَاعُ الْحَبِيبِ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَخْلَاقِهِ.فَطُولِبُوا بِعَدَالَةِ الْبَيِّنَةِ بِتَزْكِيَةِ {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ} [المائدة:٥٤] .

فَتَأَخَّرَ أَكْثَرُ الْمُحِبِّينَ وَقَامَ الْمُجَاهِدُونَ،فَقِيلَ لَهُمْ:إِنَّ نُفُوسَ الْمُحِبِّينَ وَأَمْوَالَهُمْ لَيْسَتْ لَهُمْ.فَهَلُمُّوا إِلَى بَيْعَةِ {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة:١١١] .

فَلَمَّا عَرَفُوا عَظَمَةَ الْمُشْتَرِي،وَفَضْلَ الثَّمَنِ،وَجَلَالَةَ مَنْ جَرَى عَلَى يَدَيْهِ عَقْدُ التَّبَايُعِ:عَرَفُوا قَدْرَ السِّلْعَةِ،وَأَنَّ لَهَا شَأْنًا.فَرَأَوْا مِنْ أَعْظَمِ الْغَبْنِ أَنْ يَبِيعُوهَا لِغَيْرِهِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ.فَعَقَدُوا مَعَهُ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ بِالتَّرَاضِي،مِنْ غَيْرِ ثُبُوتِ خِيَارٍ.وَقَالُوا:وَاللَّهِ لَا نُقِيلُكَ وَلَا نَسْتَقِيلُكَ.

فَلَمَّا تَمَّ الْعَقْدُ وَسَلَّمُوا الْمَبِيعَ،قِيلَ لَهُمْ:مُذْ صَارَتْ نُفُوسُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ لَنَا رَدَدْنَاهَا عَلَيْكُمْ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ،وَأَضْعَافَهَا مَعًا {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [آل عمران:١٦٩ - ١٧٠] ."[٥٠٢]

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

502 - مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٠)

الفهرس العام